تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 291 يناير 2024

الرياح والأهوية في الإمارات..
بين التحدّي والإبداع

آفاق الأمن الثقافي في أوراق تراثية

مسرح الفرجان
تراث شعبي إماراتي

نبوءات الشعراء
بين الفراسة وشيطان الشعر

الزراعة وأرق الشعراء

الرياح والأهوية من أهم روافد
إبداع الشعر النبطي في الإمارات

مظاهر التفكير الفلسفي
في الأمثال الشعبية الإماراتية

نادي تراث الإمارات
يحتفي بالعيد الوطني الـ«52»

ذكريات زمن البدايات: **عمير اليوسف... البساطة لم تفارق حياته**

الرياح والأهوية في الثقافة الإماراتية

تشكّل الرياح والأهوية حيزاً مهماً في تراث الإمارات الثقافي والتاريخي، فهي تعكس الارتباط العميق الذي يجمع سكان الإمارات ببيئتهم، ويظهر هذا الارتباط بشكل واضح في العديد من جوانب حياتهم. ومنذ القدم، كان لدى الإماراتيين تقنيات تقليدية للتنبؤ بالأحوال الجوية، حيث استخدموا علامات خاصة مرتبطة باتجاه الرياح وشدتها. كما استفادوا من تصميم مبانيهم بأساليب تعزز تدفق الهواء أو لخلق هياكل فريدة تستجيب لحركة الرياح.

وفيما يتعلق بالتنقل والتجارة، اعتمد السكان على الرياح في توجيه قوارب الشحن التقليدية، ما أسهم في تسهيل انتقالهم بين الجزر والموانئ. وفي الزراعة، تلعب الرياح دوراً كبيراً في التأثير في المواسم الزراعية، خاصة في نقل حبات الطلع وغباره ما يساعد على التلقيح والتكاثر في النباتات وجلب الأمطار على المزروعات.

كما تحتل الرياح والأهوية مكانة مميزة في الأدب الإماراتي، فالكُتّاب والأدباء يركزون في أشعارهم وقصصهم على الرياح كعنصر يربط بين الأفراد وبيئتيهم الصحراوية والبحرية، ففي كثير من الأحيان يتناول الأدب الإماراتي القصص والروايات في تراث الصيد والحياة البحرية وتفاصيل حياة الصيادين وكيف تكون الرياح محركاً لرحلاتهم، وقد يدمج الشعراء في قصائدهم وكلماتهم توصيفات للرياح وتأثيرها في الحياة اليومية أو في عاداتهم وتقاليدهم. أو يستخدمون الرياح والأهوية لنقل المشاعر والأحداث، كأن يركز الشاعر على صفات الرياح لتمثيل مشاعر معينة، مثل الهمس الهادئ أو الزمجرة القوية.

وفي مجالات الفنون والحرف اليدوية، يستغل الفنانون والحرفيون الرياح لخلق أعمال فنية جميلة، حيث يمكن استخدام الرياح كمصدر للتفاصيل والأشكال في الأعمال اليدوية، كتصميم نسيج يتأثر بحركة الرياح أو إضافة تفاصيل تشبه أشكال الرمال المتناثرة. ويمكن في الفنون التجريدية الاستفادة من الديناميات الطبيعية للرياح في إنشاء أعمال فنية تجريدية تعكس تأثير الحركة والتدفق، ما يضفي جواً فريداً وحيوياً على إبداعاتهم، وكذلك في الرسم والتصوير، حيث يمكنهم تصوير المشهد الذي تخلقه الرياح سواء كانت الأشجار تتحرك أو الرمال تطير، لتجسيد حركة الرياح وتأثيرها في المحيط البصري.

وبناءً على أهمية موضوع الرياح، الذي يتجاوز تصنيفه كظاهرة طبيعية ليصبح جزءاً أساسياً أسهم في تشكيل الهوية والوجدان الإماراتي، جاء اختيارنا ليكون ملفاً لعدد تراث هذا الشهر، والأمل يحدونا بأن تستمتعوا بموضوعات العدد المتنوعة.

شمسة الظاهري
رئيسة التحرير

نادي تراث الإمارات
السلسلة التراثية الثقافية
مركز زايد للدراسات والبحوث

torathehc www.torath.ae

72
وجهة سفر

جزيرة الأساطير (كريت)

يتميز سكان جزيرة كريت بتراثهم الثقافي الغني والذي يتضمن العديد من العادات والتقاليد، ويعتبر الرقص والموسيقى جزءاً مهماً من حياة السكان ويعكس الهوية الثقافية للجزيرة، وتعكس الحرف التقليدية الهوية الثقافية لأهل الجزيرة، مثل صناعة السجاد والنسيج والخزف وغيرها. وتقام على أرض الجزيرة العديد من الاحتفالات الدينية والمحلية، مثل احتفالات عيد القديسين ومهرجانات العنب والزيتون. ويظهر السكان الضيافة الكريتية كالترحيب الكبير تجاه الضيوف والزوار والتي تشكل جزءاً رئيسياً من حياتهم اليومية الحياة اليومية ... ضياء الدين الحفناوي

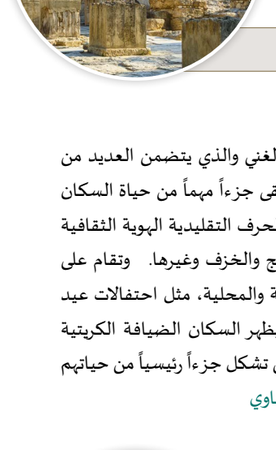

77
ارتياد الآفاق

رحلة حج إلى نجد - الليدي آن بلنت 1878م

الليدي آن بلنت، أميرة نبيلة من أسرة أوروبية مرموقة، وحفيدة أمير الشعراء الرومانسيين في إنجلترا في القرن التاسع عشر، ذاعت شهرتها في بريطانيا كمربية للخيول تقتني أجود الخيول من السلالات العربية الأصيلة، وتربيها في ضيعة كرابيت بارك، وتصدرها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. وحين زارت جزيرة العرب عام 1875م، بهدف البحث عن الخيل العربي، وحياة البداوة، وضعت كتاباً أسمته «الحج إلى نجد - موطن العرق العربي» ضمنته مشاهدات قيمة عن الجزيرة العربية وأحوالها حينئذ، شملت الإنسان والطبيعة والعادات والثقافة وحتى الفنون ... محمد عبد العزيز السقا

23

28

72

86
سرد الذاكرة

ذكريات زمن البدايات: عمير اليوسف..

البساطة لم تفارق حياته

«كانت متعة عمير اليوسف أن يقوم بفعل الخير. ولم يكن يتصور أحد أن يكون ذلك الرجل البسيط، المتواضع من أهم الفعاليات الاقتصادية في الإمارات. ولا أذيع سراً، إذا قلت: إن بنوك أبوظبي كانت تتسابق لفتح حسابات للرجل وشركاته؛ فهو ومهما كان المبلغ الذي يودعه في حسابه، يرفض أن يتقاضى عليه أي فائدة؛ لأنه يؤمن أنها نوع من الربا، وهذا ما يخالف تقواه وورعه... كان اقتصادياً من الدرجة الأولى، ولا أدل على ذلك من تحقيقه النجاح قبل البترول، ووصوله إلى أعلى مستوى من النجاح بعد النهضة التي رافقت مسيرة القائد زايد منذ عام 1966».... خليل عيلبوني

102
فنون

الموسيقى والجهاز التنفسي

إن التحفيز السمعي الإيقاعي، الذي ترتبط فيه الموسيقى بالحركة يثير الجهاز العصبي لذا استخدمت تمارين معينة مصحوبة بالتحفيز السمعي لإعادة التأهيل الرئوي. وإن الجهاز العصبي والعصب السمعي متصل بالقناة السمعية للأذن الداخلية ويرتبط بكل عضلات الجسم، والاستماع إلى الموسيقى أثناء ممارسة الرياضة يعمل على إزالة التوتر العضلي ويقوى العضلات، كما أن للموسيقى ترددات تأثر إيجابيا على أعضاء جسم الانسان فالترددات الموسيقية بين 40 إلى 66 هرتز تأثر على الجزء السفلي (الظهر والحوض والفخذ الأرجل).... نورة صابر المزروعي

90

126

128

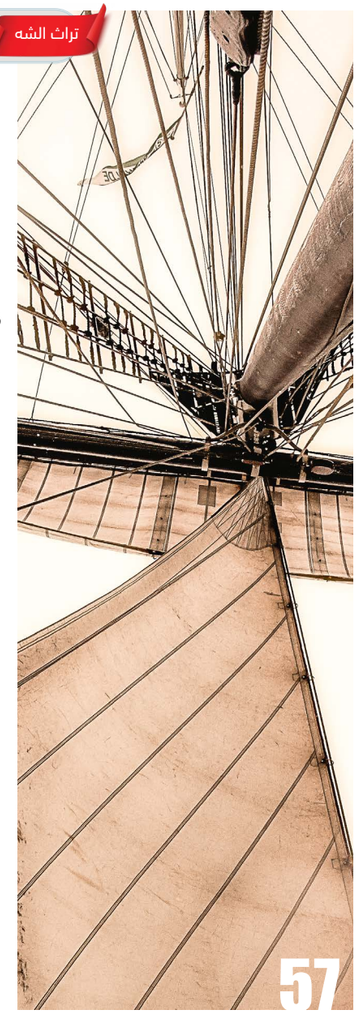

تراث الشه

8 نادي تراث الإمارات يحتفي بالعيد الوطني الـ«52»

51 بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح ألفاظ مبتدئة بحرف الخاء وتعني الاستهال والضعف وتغيير الصفة - محمد فاتح زغل

70 الباب والموروث الشعبي - عبد الفتاح صبري

76 عزي لقلب .. الشاعر راشد بن حمر عين الظاهري - إعداد: نايلة الأحبابي

83 رموز من التراث الشعبي الإماراتي - إبراهيم أحمد ملحم

84 الإمارات رعت الفنون المجسدة للقيم الإنسانية ذاكرة التسامح التاريخية في كتاب الباحث محمد وردي - أحمد حسين حميدان

90 الفيلم الإماراتي الوثائقي «حمامة» من المحلية الشعبية ومن مناطق متوارية عن السطح المرئي إلى الحضور العالمي وتعزيز التواصل بين الشعوب - محمد فاتح زغل

94 مسرح الفرجان.. تراث شعبي إماراتي - عبد الرّزاق الدّرباس

96 آفاق الأمن الثقافي في أوراق تراثية - محمد نجيب قدورة

99 نبوءات الشعراء بين الفراسة وشيطان الشعر - قاسم خلف الرويس

100 تجاوز حدود الثقافة الراكدة - شريف مصطفى محمد

109 الله - شعر: الدكتور شهاب غانم

110 التوقيع الصوتي.. يضمّ أكثر من 15 دراسة متعددة الاتجاهات والرؤى.. تحتفي بتجربة الشاعر طلال الجنيبي - عبدالعليم حريص

112 قراءة في كتاب «هنري موندرل» «رحلة من حلب إلى القدس».. وصف تاريخي لسوريا ولبنان وفلسطين - خالد عمر بن ققه

115 حضور اللؤلؤ في الروايات والآداب المعاصرة - علي تهامي

116 وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ - محمد محمد عيسى

119 مظاهر التفكير الفلسفي في الأمثال الشعبية الإماراتية - عبد المنعم همت

126 الزراعة وأرّق الشعراء - خالد صالح ملكاوي

128 الشاعر العُماني حمد بن عبد الله الخروصي 1976 - 2015 - مريم النقبي

130 من أحاديث الموقد - فاطمة حمد المزروعي

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 5 دولارات.

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

106
تراث النغم

بين صوت الألم وصدى الجمال
تلج أغاني الشعوب بوابة الوجدان

الأغاني التي لا نملها وتبقى جزءاً لا ينفصل من ذاكراتنا، نسمعها مراراً وكأننا ننصت لها للمرة الأولى، لنكتشف الجديد فيها ونغرق معها في عالم مغاير للواقع، مثل أي نهر جارٍ يحمل ذاكرة الغابات البعيدة، تلك هي الأغنية الكاملة كالقصيدة الكاملة، بناء متماسك لا يتعرض للتآكل، ولا قطع تبديل لها. شريط الجينات الوجداني للإنسان، نؤمن طوراً أننا سئمنا منها نتيجة فواصل الحياة، ولكن حين نَصدفُ صداها في أحد الأزقة أو من إحدى الشرفات، تعود بنا إلى تلك اللحظة الأولى، يوم أوقدت الأغنية شمعة في حياتنا ... نوزاد جعدان

122
حوار خاص

نسرين جعفر النور: القصة والتعدد المعاصر لاهتمامات الطفولة العربية

تحلق الكاتبة البحرينية نسرين جعفر النور في سماء العالمين العربي والدولي بأجناس مشرقة ومنوعة بين الإصدارات القصصية والنشاطات المخصصة لعالم الطفولة، فهي مجازة فنون تربوية من جامعة البحرين، كاتبة قصص ومسرحيات أطفال، حكواتية ومؤدية صوتية، إلى مشاركاتها الكثيرة في إعداد مجلات وملاحق صحفية ثقافية فنية خاصة بأدب الطفل...أصدرت النور حتى الآن مجموعات قصصية للأطفال منها: «قصص ذهبية من بلادنا العربية»، «عائدون يا قدس»، «ونبقى أصدقاء»، «قصة الفنان ومساعدة الألوان»، «نعيش معًا ونكبر معًا»، «روان تحب الرسم والألوان» ... هشام أركيض

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

نادي تراث الإمارات

رئيس التحرير
شمسة حمد العبد الظاهري

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
هاتف: 024456456 - 024092336

نادي تراث الإمارات يحتفي بالعيد الوطني الـ«52»

قسم الإعلام

شهدت القرية التراثية على كاسر الأمواج في أبوظبي فعاليات وأنشطة تراثية وترفيهية وثقافية متنوعة نظمها نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بمناسبة اليوم الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة الـ «52» في الفترة من الـ «27» من نوفمبر وحتى الـ «2» من ديسمبر الماضي.

وتوافد الزوار والسيّاح على القرية التي استقبلتهم بمجموعة واسعة من الفعاليات التي جمعت بين الأنشطة الترفيهية والمسابقات التراثية والأهازيج والمنتجات الفلكلورية، حيث تعرّف الجمهور على أهمية المحافظة على التراث والتعريف به. وعَبْرَ فعاليات يومية، تعرّف الزوار والسيّاح على الحرف اليدوية التقليدية التي تمثل عنصراً مهماً من عناصر التراث الإماراتي وتبرز المهارات المتوارثة في الصناعات الشعبية التي تعتمد على مواد مستمدة من البيئات المحلية، من أجل إثراء الحياة اليومية في مجتمع الإمارات قديماً بالأدوات المعيشية والمنتجات المختلفة، وذلك من خلال الورش المتنوعة التي تقدمها الخبيرات التراثيات، ومنها ورش السدو، والتلي، وسف الخوص، وصناعة البراقع.

كما أقيم في القرية معرض تراثي سلط الضوء على جماليات الحرف اليدوية الإماراتية، وبيّن كيف شكّلت فيما مضى عنصراً مهماً لاقتصاد الأسر، وكيف أصبحت من المظاهر الفنية التي ميزت المجتمع الإماراتي وتوارثتها الأجيال.

واحتوى المعرض على عدد من الأركان المتخصصة، منها ركن تعرّف الزائرون من خلاله على طريقة العلاج بالطب التقليدي والمواد والأعشاب التي كانت تستخدم في التداوي قديماً، وأركان عرضت المنتجات المرتبطة بالطقوس الاجتماعية مثل «زهبة العروس»، وزينة المرأة، ونماذج للمواد التي تستخدم في فنون التطريز، والنسيج، إضافة إلى العديد من المنتجات التراثية المتنوعة.

وحضرت الثقافة الإماراتية، والتاريخ، والشعر النبطي، ضمن الفعاليات التي نظمها النادي بالتعاون مع اللجنة، وذلك من خلال معرض الإصدارات في القرية التراثية الذي أتاح للزوار التعرّف على ملامح من حضارة دولة الإمارات العربية المتحدة، وتاريخها الاجتماعي، وتراثها الغني والمتنوع، عبر مجموعة منتقاة من الكتب والدوريات ودواوين الشعر التي أثرت فعاليات المناسبة الوطنية في جانبها المعرفي. كما وثق معرض الصور المصاحب للفعاليات، جوانب من جهود المغفور له – بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيّب الله ثراه - من أجل قيام الاتحاد.

وفي جانب الموروث البحري الذي يحتل مكانة كبيرة ضمن مكونات التراث الإماراتي، أتاح معرض «بيت البحر» تجربة حية للتعرف على الحياة البحرية للآباء والأجداد في الصيد والغوص والحرف المرتبطة بالبحر، وذلك من خلال معروضات متنوعة ضمت نماذج للقوارب التراثية، وأدوات الصيد والغوص وفلق المحار، كما قدّم «بيت البحر» معارف تراثية مختلفة للزائرين عبر الورش البحرية التي عرضت جوانب من التراث البحري الغني لدولة الإمارات العربية المتحدة، مثل: صناعة الديين، وصناعة الليخ، وصناعة نماذج القوارب، وصناعة الكيبال، وورشة الطواش. وأقيمت يومياً عروض للمحامل التراثية على امتداد كورنيش أبوظبي، في إطار الاستعداد لانطلاق فعاليات «سباق عيد الاتحاد لقوارب التجديف التراثية فئة 40 قدماً» الذي نظمه النادي بالتعاون مع اللجنة يوم السبت الـ «2» من ديسمبر. وضمن الأنشطة الترفيهية ذات البُعد

التعليمي المقدمة للأطفال أقيم نشاط للرسم والتلوين الذي تعرّف الأطفال من خلاله على أهمية المحافظة على البيئة والمخلوقات التي تعيش فيها، وذلك في إطار نشر الوعي بأهمية البيئة وفي ظل الاهتمام الرسمي والمجتمعي بهذه القضية وهو ما تجلى في استضافة دولة الإمارات العربية المتحدة لقمة المناخ «كوب 28» وإعلان عام 2023 عاماً للاستدامة.

كما شملت الفعاليات أسواقاً شعبية ضمت محلات للأسر المنتجة عرضت الأكلات الشعبية والمشغولات اليدوية والبخور والعطور والأزياء التراثية والدخون والدهون، إلى جانب عدد من عربات الطعام المتنقلة ومنطقة لألعاب الأطفال.

وقدّم مسرح السوق الشعبي فقرات يومية استهدفت مختلف الفئات العمرية لاسيما الأطفال، عبر العديد من الألعاب الشعبية، وعزف الربابة، وفقرة الساحر، والمسابقات المتنوعة، وفقرة الأسئلة الوطنية والتراثية، التي صاحبها العديد من الجوائز، بالإضافة إلى السحوبات اليومية التي دخل فيها الزوار كافة وتضمنت هدايا قيّمة.

وخُصص ركن للأطفال ضمن الفعاليات، من خلال عدد من الفقرات المصممة لهم، حيث تعلّم الأطفال العديد من المصطلحات الإماراتية، والسنع، وتفاعلوا مع الشخصيات الكرتونية التي جابت أرجاء القرية التراثية والسوق الشعبي ومنطقة الألعاب، وتسابق الأطفال وذووهم لالتقاط الصور التذكارية مع هذه الشخصيات وسط أجواء الاحتفالات الوطنية.

تتويج الفائزين في سباق عيد الاتحاد لقوارب التجديف التراثية فئة الـ «40» قدماً

نظم نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي، سباق عيد الاتحاد لقوارب التجديف التراثية فئة الـ «40» قدماً، في 2 ديسمبر ضمن فعاليات النادي واللجنة في عيد الاتحاد الـ «52»، وأقيم

السباق في أربعة أشواط حملت ألوان علم الدولة الأحمر والأخضر والأبيض والأسود بمشاركة 1037 بحاراً، في 61 قارباً، ولمسافة 4 أميال بحرية انتهت أمام منصة السباقات في القرية التراثية.

وتوّج سعادة حميد سعيد بولاحج الرميثي، المدير التنفيذي للأنشطة والفعاليات في نادي تراث الإمارات، وسعادة محمد راشد مصبح الرميثي، رئيس مجلس إدارة نادي العديد البحري، الفائزين في السباق، بحضور سعادة عبد الله محمد جابر المحيربي، مستشار المدير العام لنادي تراث الإمارات، والعميد عيسى بن سلمان بن هندي، الملحق العسكري لسفارة مملكة البحرين في دولة الإمارات العربية المتحدة، ومديري الإدارات ورؤساء الأقسام والموظفين في نادي تراث الإمارات، ولجنة إدارة المهرجانات، وملّاك القوارب، ومجموعة من السياح وزوار القرية التراثية ومحبي السباقات البحرية وسط الأهازيج التي قدمتها فرقة العين للعيالة.

وفاز بجائزة الشوط الأول «الأحمر» القارب «الفهيدي»، لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، بقيادة النوخذة حمدان سعيد جابر، والسكوني حسن إبراهيم الحوسني، فيما حاز جائزة الشوط الثاني «الأخضر» القارب «رأس الخيمة»، لصاحب السمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي، بقيادة النوخذة ناصر حسن الكاس آل علي، والسكوني عبد الله أحمد علي، وتوج بالشوط الثالث «الأبيض» القارب «زلزال»، لصاحب السمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي، بقيادة النوخذة والسكوني نواف أحمد محمد إبراهيم المرعي الشحي، وحاز جائزة الشوط الرابع «الأسود» القارب «KHK»، لسمو الشيخ خالد بن حمد آل خليفة، بقيادة النوخذة أحمد ناصر البوسميط، والسكوني محمد جاسم.

وجاء السباق ضمن الفعاليات التراثية والرياضية التي نظمها نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي، بمناسبة عيد الاتحاد الـ «52»، وهي فعاليات تقام سنوياً في القرية التراثية وكاسر

الأمواج بالكورنيش في إطار إبراز الإرث الحضاري الإماراتي والتعريف به في هذه المناسبة الوطنية، وذلك عن طريق إحياء التراث البحري وسباقاته، إضافة إلى إسهام السباق في تواصل الأجيال حيث يجمع بين قدامى البحارة والشباب.

ويعد سباق عيد الاتحاد لقوارب التجديف التراثية فئة الـ «40» قدماً، نشاطاً رياضياً تراثياً سنوياً يهدف إلى حفظ التراث البحري للدولة والعمل على استمراريته بتنظيمه في المناسبات الوطنية والتراثية في إمارة أبوظبي.

ملتقى السمالية الربيعي 2023

نظم نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية فعاليات ملتقى السمالية الربيعي لعام 2023، في جزيرة السمالية والمراكز الشبابية والنسائية التابعة للنادي، في الفترة من الـ «4» إلى الـ «29» من ديسمبر الماضي، بمشاركة الطلاب المنتسبين إلى النادي وإشراف المستشارين والمدربين التراثيين المتخصصين.

وهدف الملتقى الذي يعدّ من أقدم الملتقيات على مستوى المنطقة، إلى إكساب الطلاب المشاركين المهارات والمعارف وتنمية مواهبهم وصقلها، وممارسة تراث الآباء والأجداد، في أجواء منطلقة مفتوحة، يقضون فيها إجازتهم المدرسية في كل ما هو ممتع ومفيد وهادف، وذلك من خلال مجموعة نشاطات تراثية وثقافية وفنية ورياضية وترفيهية.

واستقبلت جزيرة السمالية طلاب المراكز الشبابية في كل من أبوظبي، والسمحة، والوثبة، وقام الطلاب بجولات للتعرف على الجزيرة التي تعدّ واحدة من أهم المحميات البيئية والتراثية، بطبيعتها الخلابة وما تضمه من أنواع الطيور والحيوانات المختلفة، كما مارس الطلاب أنشطة ركوب الخيل والإبل، وقاموا بجولة حول الجزيرة بالسفينة التراثية للتعرف على جانب من البيئة البحرية. وحضر الطلاب ورشاً عن السنع الإماراتي تعرفوا خلالها على قواعد الحضور وسلوكياتهم في المجالس، التي تشمل كيفية استقبال الضيف وحسن الترحيب به، وآداب السلام والحديث، وقواعد الضيافة وعادات تقديم القهوة وتقاليدها.

وضمن فعاليات الملتقى نظمت المراكز النسائية التابعة للنادي (أبوظبي، العين، السمحة) في مقارها ورشاً تراثية عدة عن الحرف اليدوية النسائية، بهدف المحافظة على الهوية الوطنية وزرع حب التراث في نفوس الأجيال، شملت ورشاً عن حرف السدو والتلي والخوص والغزل والخياطة وصنع البراقع، وهي من أعرق فنون الحرف ومن أهم الحرف اليدوية لدى المرأة الإماراتية، بالإضافة إلى ورش رسم الثوب العربي، وورش إعداد القهوة العربية وطريقة تقديمها، وورش تزيين المجسمات

التراثية، كما قامت الطالبات بأنشطة الرسم والتلوين والألعاب الشعبية. وتنوعت الفعاليات بين الورش التراثية والثقافية، حيث تم تعريف الطالبات على الأزياء الشعبية الإماراتية، والأعشاب وفوائدها وأهميتها في حياتنا. حيث تعرفن على طريقة إعداد الأكلات الشعبية مثل اللقيمات والبلاليط، كما تم تنظيم زيارة للطالبات إلى مركز القطارة للفنون في مدينة العين.

وحرص الملتقى على تقديم حزمة متنوعة من الفعاليات والأنشطة للطلاب والطالبات في جزيرة السمالية منها الورش البحرية للتعرّف على تراث الغوص والصيد والبحر والبحارة، وزيارة ممشى القرم البيئي في الجزيرة الذي يبلغ طوله نحو 900 متر للتعرّف عن قرب على بيئة أشجار القرم، وزيارة بيت علي بن حسن (بيت البحر) وما يحتويه من أركان تراثية مميزة

وضمن أنشطة الواجهة البحرية جاءت الجلسات التراثية لتعريف الطلاب المشاركين بجوانب من التراث البحري للدولة، وعلى البيئة البحرية في الخليج العربي.

وأقيمت للطلاب المشاركين في الملتقى ورشة بعنوان «الرياضات التراثية» تعرّفوا خلالها على أنواع الرياضات التراثية في الإمارات، مثل: سباقات الهجن، والفروسية، والصيد بالصقور، والألعاب الشعبية، واستمعوا إلى شرح من المستشارين والمدربين التراثيين حول تلك الرياضات وأهميتها والجهود التي تبذلها دولة الإمارات العربية المتحدة من أجل الحفاظ عليها. كما أقيمت ورشة عن شجرة الغاف تعرّف خلالها الطلاب على أهمية شجرة الغاف في تعزيز الاستدامة البيئية لما لها من فوائد بيئية متعددة في مكافحة التصحر وتقليل الانبعاثات الكربونية وتحسين جودة الهواء، ودورها في حياة الأجداد في الماضي، وقيمتها الثقافية.

وضمن برنامج الزيارات استقبلت القرية التراثية على كاسر الأمواج في أبوظبي عدداً من الطلاب المشاركين في الملتقى، الذين تجولوا فيها وتعرفوا على أجنحتها ومرافقها وما تحتويه

من تراث إماراتي أصيل وعريق، كما تابعوا بعض الورش والعروض الحية للصناعات والحرف اليدوية التي كانت سائدة قديماً، مثل: صناعة الفخار، وصناعة السيوف والخناجر، كما شارك الطلاب في العديد من الأنشطة التراثية والرياضية والترفيهية.

نادي تراث الإمارات ينظم محاضرة عن التنمية الثقافية في الإمارات

نظم نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، محاضرة افتراضية يوم الـ «13» من ديسمبر ضمن برنامج «سلسلة قراءة في إصدارات إماراتية»، قدّمها الدكتور محمد حمدان بن جرش، الكاتب والباحث الإماراتي، وتناول فيها كتابه «التنمية الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة من التكوّن إلى التمكّن 1971-2017» الصادر عن منشورات القاسمي في عام 2019.

ونوّه الدكتور محمد حمدان في بداية حديثه إلى أن دولة الإمارات العربية المتحدة تركز دائماً على بناء الإنسان الذي يمثل محور أي تنمية، وأشار إلى أن الكتاب حمل العديد من الأسئلة في المجال الثقافي التي تدور حول دور الثقافة ومستقبلها واستراتيجياتها، إضافة إلى استشراف آفاق التنمية الثقافية التي جاء الكتاب لرصد مساراتها في دولة الإمارات العربية المتحدة، لاسيما في ظل التغييرات التي حدثت بالتحول من الفردية إلى المؤسسية.

وأبان أن التغييرات في التركيبة السكانية أفرزت أسئلة تتعلق بعوامل التنمية، في ظل كون دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجاً دالاً على الإثراء والتقدم الذي ينتجه التنوع الثقافي،

وهو ما جعل هناك تركيزاً خلال فصول الكتاب على تلك التغييرات التي حدثت في المجتمع، لإثبات أن التنمية الثقافية في الدولة تتجه الاتجاه الصحيح التشريعات والسياسات الثقافية من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية وعلى التنمية والحداثة في الوقت نفسه.

وقال إن الدول المتقدمة تركز دائماً على العنصر الثقافي في عملية التنمية الشاملة والمستدامة إذ تشكل الثقافة حجر أساس لها، وفي ظل العلاقة بين التحول الثقافي ومسيرة التنمية يأتي الاهتمام بالتنمية البشرية الشاملة وبالإدارة الثقافية لأن التنمية الثقافية لا تحدث من دون وجود رعاية ووضع استراتيجيات، مشدداً على أن الإدارة الثقافية هي جزء من العملية الإبداعية التي يجب التركيز عليها.

وتناول الدكتور محمد حمدان أثر الحداثة الناتجة عن الانفتاح على الثقافات الأخرى، وهو ما أدى إلى دخول مضامين جديدة إلى مجتمع الإمارات دفعته للسعي نحو مجتمع المعرفة لاسيما مع حداثة القصة والتجربة الروائية وتعزيز الهوية الوطنية، حيث كان الأدب فاعلاً في تناول القضايا المجتمعية التي حدثت جراء ذلك الانفتاح.

وأشار إلى أن فصول الكتاب تناولت العلاقة بين القرار السياسي والتنمية الثقافية أيضاً، باتخاذ إمارة الشارقة نموذجاً بتناول المنجزات التي حققتها الإمارة بوجود حاكمها المثقف صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، لبيان أن

الثقافة تحتاج دائماً إلى التخطيط والمراجعة وبناء المؤسسات التي تقوم على بناء الإنسان المثقف الواعي القادر على تسيير المؤسسة من خلال الإدارة الثقافية لإحداث التنمية الشاملة.

كما تناول الكتاب، بحسب المؤلف، استشراف آفاق التنمية وتركيز دولة الإمارات العربية المتحدة على أن يكون هناك دور للثقافة في التقدم والتنمية المستدامة بوصفها أحد مجتمعات المعرفة والاقتصاد القائم على المعرفة، مشيراً إلى أن التنمية الثقافية تحتاج إلى المزيد من البحث من أجل رصد المتغيرات والتحديات ومستقبل الثقافة.

ودعا الدكتور محمد حمدان إلى ضرورة وجود حوار ثقافي بين المؤسسات على المستويين الوطني والمحلي من أجل وضع

مؤشرات للتنمية الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة. كما تناول أهمية التمكين الثقافي للشباب من أجل الاعتماد على المواهب في المجال الثقافي ورصدها ورعايتها منهجياً.

محاضرة عن التراث في الطوابع البريدية الإماراتية

نظم نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، يوم الـ «27» من ديسمبر، محاضرة افتراضية بعنوان «التراث الإماراتي ذاكرة منقوشة على الطوابع البريدية» قدّمها الأستاذ عبد العزيز النعيمي الباحث في التاريخ البريدي. وتحدّث الأستاذ النعيمي عن أهمية الطوابع في التوثيق، ووصفها بأنها «ذاكرة التاريخ» فهي تصدر في المناسبات والأحداث التاريخية والوطنية، وتوثق المعالم التراثية والأثرية، وقال: إن المعلومات التي يمكن أن يحملها الطابع تغني عن ألف كلمة. وعرض النعيمي نماذج من المظاريف والأختام والطوابع التي تبيّن تاريخ الخدمات البريدية في الإمارات، بدءاً من أول مكتب للبريد في الإمارات الذي أنشئ عام 1909 في دبي بطلب من التجار، واستخدمت فيه الأختام والطوابع الهندية حتى عام 1947 حين تم استخدام الطوابع الباكستانية مؤقتاً قبل أن يصبح مكتب البريد تحت إدارة البريد البريطاني في عام 1948، حيث تم استخدام طوابع الملك جورج، وطوابع الملكة إليزابيث الثانية بعد اعتلائها العرش عام 1952.

بعد ذلك بدأت ما عدّه النعيمي النواة للاتحاد بين الإمارات في عام 1961 عن طريق طرح إدارة البريد البريطاني من مكتب دبي لأول إصدار يرمز إلى كيان اتحادي حمل اسم الإمارات المتصالحة. ثم تناول النعيمي طوابع دائرة بريد دبي الصادرة في عام 1964 بعد انتقال خدمات مكتب البريد من الإدارة البريطانية إلى حكومة دبي، ونماذج الطوابع الصادرة عن إمارتي أبوظبي والشارقة بعد افتتاح أول مكتب بريد في كل منهما عام 1963، والطوابع الصادرة عن مكاتب بريد إمارات: عجمان، وأم القيوين، ورأس الخيمة، والفجيرة بعد افتتاحها خلال عام 1964، وخصائصها وارتباطها بالمعالم والأحداث التاريخية. كما تناول النعيمي عدداً من الأحداث التاريخية المهمة التي وثقتها طوابع البريد، حيث رصدت الطوابع التغييرات والأحداث السياسية والتطور الإداري والاقتصادي في إمارة أبوظبي وبقية الإمارات، وصولاً إلى قيام الاتحاد وتأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وتكوين إدارة البريد فيها بإصدار المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب

الله ثراه - القانون الاتحادي رقم (8) لعام 1972 بشأن توحيد الخدمات البريدية في الدولة. واستعرض النعيمي مجموعة من الطوابع البريدية التي تمثل الذاكرة التاريخية والتراثية لدولة الإمارات العربية المتحدة، إذ حملت الطوابع صوراً لقطع أثرية من العملات والفخار تعود إلى حقب تاريخية قديمة، كما وثقت لتراث الغوص والعمارة والألعاب الشعبية، بالإضافة إلى توثيق البيئة البحرية والبرية بمخلوقاتها وأنشطتها، وتراث الخيول، ومزاينات الإبل، وسباقات الهجن التراثية، والحرف اليدوية للمرأة الإماراتية، والملابس التقليدية، وغيرها من أوجه الحياة والمجتمع في الدولة.

نادي تراث الإمارات في مهرجان الشيخ زايد

في إطار التعاون مع مجالس أبوظبي في ديوان الرئاسة شارك نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في الفعاليات التي نظمتها المجالس في مهرجان الشيخ زايد التراثي في منطقة الوثبة، وشملت المشاركة ورشاً تراثية في السنع والحرف اليدوية النسائية إضافة إلى مجلس تراثي. حيث تم تقديم ورشتين عن فن «التلي» تم فيهما التعريف نظرياً وعملياً بهذا الفن التراثي ومهاراته وطرقه وأدواته. أما في ورش السنع فتناولت الورشة الأولى القهوة عند أهل الإمارات بوصفها عنواناً للأصالة والكرم، وتم التعريف بآداب تحضير القهوة وتقديمها، وأنواع الدلال وتسميات الفناجين. فيما جاءت الورشة الثانية بعنوان «المجالس مدارس» تحدّث فيها المستشارون التراثيون عن تجربة ومبادرات نادي تراث الإمارات في تعليم الشباب

وتدريبهم على آداب المجالس عبر الورش والملتقيات والبرامج المرتبطة بتلك الأنشطة والمهن التراثية. كما عرّف النادي البُعد الاجتماعي للمجالس التراثية الإماراتية من خلال مجلس «الحظيرة» خلال فعاليات مهرجان الشيخ زايد التراثي، حيث شهدت الحظيرة حضوراً للمدربين التراثيين الذين قدموا تجربة تراثية عملية عن المجلس وطبيعة دوره الاجتماعي. والحظيرة هي مجلس تراثي محاط بأغصان الأشجار التي تنبت في بيئة دولة الإمارات العربية المتحدة، وتكون بشكل حلقة مفتوحة من إحدى الجهات، حيث تحمي الجالسين من الرياح المحملة بالأتربة والرمال. ويكثر استخدام الحظيرة في الشتاء حيث تشعل النار وتعد القهوة وتهيأ للمؤانسة.

ورشة حول واحات النخيل

بهدف تعميق قيمة الانتماء للوطن وإحياء روح التراث نظم نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية ورشة حول واحات النخيل والأفلاج في مدينة العين، حيث قدّم مركز العين الشبابي للطلبة المنتسبين للمركز ورشة خاصة عن النخيل تم تعريفهم فيها بأعداد الأفلاج الرئيسية الموجودة في مدينة العين، والطرق التي يتم استخدامها في الري وكيفية المحافظة على شجرة النخيل وأهميتها في حياتنا.

فعالية سوق الطيبين

بهدف توثيق الأواصر وتبادل العلاقات ما بين المؤسسات في الدولة، شارك نادي تراث الإمارات بالتعاون مع لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في فعالية سوق الطيبين التي نظمتها بلدية أبوظبي، وقدمت الحرفيات التراثيات التابعات لمركز أبوظبي النسائي حرفتي السدو والتلي، وشارك العديد من الحضور في العمل في هاتين الحرفتين وتم تعريفهم بهما بهدف المحافظة على الهوية الوطنية وتعزيز حب التراث في نفوس الأجيال ■

القهوة

محمد بن صالح المنتفقي

مـن قهـــوة أيهـــا الساقـي اسقني أبدا
مزيلـــــة النـــوم عـمن ربـــه عـــبدا
وتطـرد الهـــم والوســـواس جالـــبة
لـــنا الـسرور وعـــنا تذهـب الكمـــدا
وهـي الشـــــفاء مـن الآلام أجمعـــها
بطنـــاً ورأســاً كذا الأضـراس والرمـــدا
تزيـل بخـــر فـم والأنـــف تصلحـــه
تطـيب البطـــن طيـــباً عم والجـسدا
وتقتـــل الدود من بطـن ومشبـــعة
وتهضـــم الزاد مـن مـــلء إذا وقـــدا
تـــسد من شـــهوة للراغـبين وهـــي
كفايـــة ونهايـــات لمـــن زهـــدا
تروي الظمـــــاة إذا حـر ألـم بهـــم
يبـــقى على إثرهـــا ري لـفرط صـــدى
تنقي الدمـاغ وتصـحي القلـب كافيـــة
للزاهديـن عـــشاء كـــان ذا وغـــــدا
وعن دمـــاغ بخـــار البـطن ترفعـــه
فوجه شاربهـــا صـــاف كمـــا وجـــدا
وتشـــرح الـصدر من ضيـق وتفرجـــه
وتطرب القـلب بل تكسبـــه نور هـــدى

القصيدة للشيخ محمد بن صالح المنتفقي وهو من شعراء القرن السادس عشر. ولد الشاعر في البصرة، وأخذ العلم عن والده الشيخ صالح وعن كثير من علماء بلده، وارتحل في طلب العلم؛ فأخذ عن علماء الحرمين، والأحساء ولنجة، التي مكث فيها مدة ثلاث سنوات، ومن هناك توجه إلى الصير، التي طاب له المقام فيها؛ فاتخذها وطناً واشتهر بها؛ فأصبح يُنسب إليها. والصير هي المنطقة الممتدة بمحاذاة مياه الخليج العربي من رأس مسندم إلى جلفار وما بعدها، وقيل الصير هي رأس الخيمة. أقام الشاعر في الصير وفي رؤوس الجبال مدة حياته، ناشراً العلم ومربياً ومرشداً. وقد كُتب لأشعاره وقصائده الذيوع والانتشار في كثير من الأقطار.

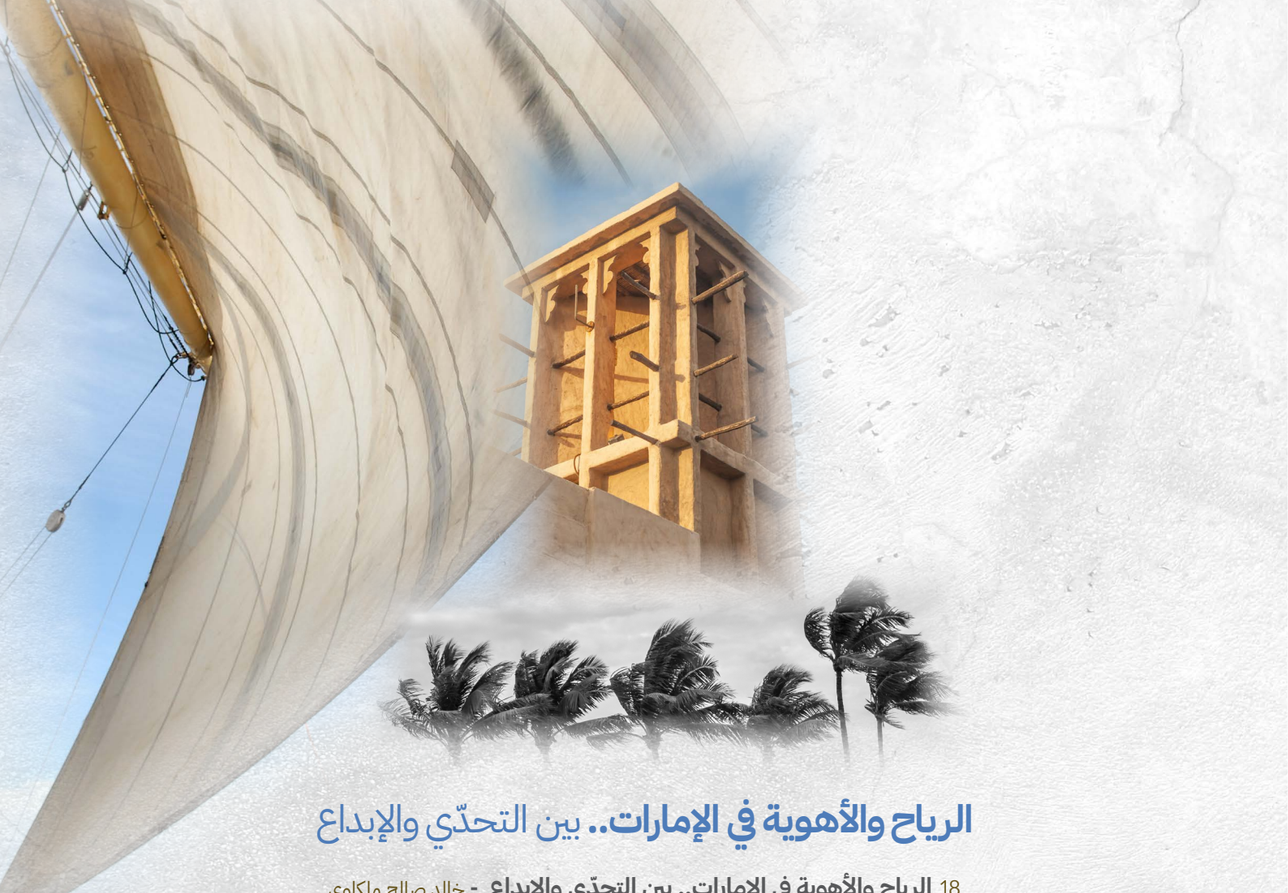

الرياح والأهوية في الإمارات.. بين التحدّي والإبداع

18 **الرياح والأهوية في الإمارات.. بين التحدّي والإبداع** - خالد صالح ملكاوي
23 **الرياح.. من علوم الماضي التي احتفظت بها الذاكرة** - جمال مشاعل
26 **الأهويـــة فعل التخطي والإنماء والرسائل** - لولوة المنصوري
28 **الرياح والأهوية: مصادر الاستدامة للرزق قديماً في الإمارات** - فاطمة سلطان المزروعي
32 **الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي**
تغنّي الشُعراء بال «الكوس»- علي تهامي
36 **الأهوية والرياح في ذاكرة الأولين** - مريم سلطان المزروعي
40 **للأهواء في كل بلد أسماء محلية** - محمد حسن الحربي
44 **ديوان العرب يحفظ أسماء الرياح..**
أنسنةُ الريح تقنية فنية في الشعر النبطي - الأمير كمال فرج
52 **أشرعة الروح في فضاءات الحياة ..** الرياح ودلالات القصيدة - عادل نيل
57 **الرياح والأهوية من أهم روافد إبداع الشعر النبطي في الإمارات**
بريد الشعراء وذاكرة التراث - أحمد عبد القادر الرفاعي
62 **البراجيل.. وسيلة الأجداد لتطويع الرياح** - خالد بن محمد القاسمي
66 **مصدات الرياح: إطلالة بانورامية** - صديق جوهر

الرياح والأهوية في الإمارات.. بين التحدّي والإبداع

خالد صالح ملكاوي

كان للرياح في الإمارات دورها الكبير في رسم حياة الناس قديماً، كما كان لها حسبتها الدقيقة. وتزخر ذاكرة القدامى بأنواع ومسميات للرياح تمكّنوا من خلالها من التنبؤ بالأحوال الجوية، وطوَّعوا حياتهم بما يوائم سيرورتها، من سكونها إلى ثورتها. وكان من عادتهم الاصطلاح على تسمية الرياح بأسماء مختصرة، كي يسهل عليهم التوصيف، وامتزجت هذه المسميات في نسيج حياتهم، وتربَّعت في صميم إبداعاتهم من ألوان الأدب الشعبي.

وارتبطت بالرياح كثير من الألفاظ المحلية، ودرج استعمالها عند أهل البحر والبر على حدٍّ سواء، فالتقوا على أن لفظ «الريح» يطلق على الهواء القوي، أما الهواء الخفيف، أي النسيم، فيطلق عليه هواء، ونجد أن «خواهر» تعني ركود الهواء وسكونه، وتستخدم أحياناً في وصف هدوء البحر، كما أن «ذعذاع» تعني أن الهواء نسيم جميل ومنعش، لا يحرك ماء البحر ولا يسبب أذى في البر. واعتاد أهل الخبرة بالأجواء أن يميزوا تغيّر حالة الطقس بمنتهى الدقة، ولذلك برعوا في تحديد اتجاهات الرياح والتمييز بينها. والرياح دائماً ما تستدير؛ فقد تتحوَّل الريح من حالة محددة السمات إلى مسار آخر، وتأخذ اسماً جديداً، لذا فقد بات من المعروف أن «السوايب أو السايبة» هي الرياح التي تشتد وتخف ولا تستمر على حالة أو سرعة واحدة، وفيما تُعد «الطوفان» أشد الرياح التي تهبُّ على البحارة في عرض البحر، نجد «النسناس» من أكثر الأهوية لطافة وعذوبة. ويَسْعَد أهل الإمارات بهبوب الرياح الشمالية التي كانوا يسمونها هوى غربي، وتأتي غالباً من ناحية الغرب، وتكون باردة، وتستمر أياماً عدة، كما أنها تشكل فرصة لظهور طلع النخل وموعد تنبيت أو تلقيح النخل. وقد تكون رياح الغربي أكثر أنواع الرياح هبوباً على مدار العام. وبينما رياح الشرقي أو المطلعي، التي تأتي تسميتها لهبوبها من ناحية مطلع الشمس، تكون من الرياح الهادئة الجميلة والباردة، خاصة في المساء، ونجد أن رياح السهيلي ذات نسمة حارة وحارقة، وقد نُعتت بالسهيلي لهبوبها من حيث يطلع نجم سهيل. والمعرفة بالرياح لم تكن ترفاً، بل هي ضرورة، لما للرياح من ارتباط بالحياة العملية للناس، فالزراعة وركوب البحر وإنشاء الأبنية وغيرها الكثير من الأنشطة اليومية، كلها على علاقة لا تنفصم بالرياح، فكان لا بد من معرفة أسماء الرياح وأوصافها واتجاهاتها وشدتها والتنبؤ بمواعيد هبوبها، إذ هي تساعدهم على تأدية نشاطاتهم، لا سيما النشاطات البحرية المختلفة، سواء كانت في التنقل والسفر، أو التجارة ونقل البضائع، أو صيد الأسماك، أو في رحلات الغوص التي كانت تستحوذ على أشهر عدة من حياتهم السنوية. وللرياح والأهوية أهمية في التنبؤ بكثير من الظواهر الطبيعية؛ فظهور بعض النجوم أو غيابها ينبئ بهبوب رياح معينة، ومن خلال الرياح كان يتم الاستدلال بنضوج بعض الثمار.

الرياح في الموروث الإسلامي والعربي

نظراً إلى أن العلاقة بين البحر والرياح هي العلاقة الرئيسية التي تحكم حالة البحر وما ينشأ عنه من ظواهر، فقد وردت الرياح في القرآن الكريم، وذُكرت بترتيبها وفقاً لقوتها وأثرها على راكب البحر، فبدأ بالرياح الساكنة، والرياح الطيبة، وتشمل (الهواء الخفيف، ومجموعة النسيم)، ثم الرياح العاصفة، فالرياح القاصفة. والرياح الطيبة لراكب البحر هي طيبة لمن هو في البر أيضاً، سيما من كان في المناطق الصحراوية. والريح سبب لإنزال المطر، وكما يقول ابن خالويه: «إذا كان النشء يعني السحابة، من قِبل العين، يعني من قبل القِبْلة، ثم ألقَحَتْهُ الجنوب، وأدَرَّتْه الشمال، وأنْسَبتْ به الصَّبا، فذلك أجود ما يكون من المطر. وأمَّهات الرياح أربعٌ: الشَّمال؛ وهي للرَّوْح والنسيم عند العرب، والجنوب؛ للأمطار والأنداء، واللَّفْق والغَمق؛ الندى، والصَّبا، لإلقاح الأشجار. وإن المتحابَّين إذا اجتمعا، قيل: ريحهما جنوب، وإذا تفرَّقا، قيل: ريحهما شَمال، لأن الشَّمال تُفَرّق السَّحاب، والجنوب تُجمّع.

وللرياح عند العرب أسماء متعددة، ومن أكثر هذه الأسماء ذِكراً: الشَّمال، والجنوب، والأَزْيَب، والجِرْبياء، والصَّبا، والقبول، والدَّبور، والحنَّانة، والنَّكْباء، والمُتَذَئِّبة (تهبُّ من كل جانب)، والثائب (الشديدة تكون في أول المطر)، والعاصفة، والمُعصِر، والصِّرّ، والصَّرصَر، والهارية (الشديدة البرد)، والهَيْف (الحارّة)، وكذلك الحَرور، والسَّموم والسَّهام (وجميعها شديدة الحرارة)، والهَلَّاب (ريح معها مطر)، والنسيم (التي تأتي بنفس ضعيف)، والنَّفح (من البرد) أيضاً، واللَّفْح (من الحرّ)، والبَوارِح (هي الشَّمال تكون في الصيف حارّة)، والقاصف (الشديدة). وثمة كنى للرياح، فيقال: أبو الريح، أبو شَمْلة، أم العذاب، أم قَشْع، أم مِرْزَم. ومن صفاتها الذاريات (التي تسفي التراب)، والروامس (التي تسفي التراب وترمس الآثار، أي تدفنها فلم تتبين)، والسَّوافن (التي تسفن وجه الأرض كأنها تمسحه)، والزّعزاع (إذا حرّكت الأغصان تحريكاً شديداً وقلعت الأشجار)، والزَّوْبعَة (تثير الغبار وتديره في الأرض حتى ترفعه في الهواء)، والمُذَعْذِعَة (الشديدة التي تحرّك كل شيء)، وكذلك السَّجْسَج والسَّجْواء والسَّهوة (وجميعها من الريح الليّنة).

الرياح في الثقافة الإماراتية

وتكاد تتطابق هذه المسميات العربية للرياح مع كثير من شبيهاتها في الموروث الإماراتي؛ ففي فترة القيظ والحرارة الشديدة تهبُّ على الإمارات «رياح الروايح»، تأتي من الشمال إلى الجنوب، تشتد أحياناً وتهدأ أحياناً أخرى، وتثير كثيراً من الغبار، وقد تسقط الأمطار بغزارة، مما يظهر مفارقة عجيبة بين الحرارة الشديدة والقيظ والمطر. ويخاف أهل البحر من قدوم «رياح الشمال»؛ فهي الرياح الهوجاء، لذلك قيل: «إذا ضرب الشمال دوّرلك على بندر». وتُعد «رياح شمال الثمانين» أقوى رياح الشمال، وترتفع معها الأمواج إلى أعلى حد لها، في حين أن «رياح الغربي» وتسمى «بارح» ليس لها تأثير على أهل البحر، لأنها رياح معتدلة تهبُّ من جهة الغرب، ويبدأ هبوبها بعد نهاية فصل الشتاء مباشرة.

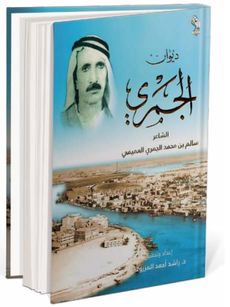

أما «رياح الشمال والسهيلي» فهي رياح شتوية باردة، وغالباً ما يسبقها هبوب «رياح السهيلي»، ويقال عنها «رياح السموم». فيما «رياح السهيلي أو العقربي»، التي غالباً ما تهبُّ من ناحية الجنوب، فيبدأ موسمها بعد انقضاء النصف الأول من شهر أغسطس، ويكون بداية تغير المناخ الحار إلى جو لطيف، ويظهر معها نجمان من النعش. وتهبُّ «رياح الكوس» على السواحل الغربية والشرقية للدولة قادمة من الهند، وعادة ما يصاحبها أمواج عالية، فيما يسبب هبوب «رياح الثريا» تساقط أشجار النخيل. وتؤثر «رياح الأحيمر» في البحر والبر، وهي رياح قوية، ويصاحبها أمواج عاتية في البحر، وموسمها فترة انتهاء درّ التسعين ودخول درّ المئة في منتصف نوفمبر. وهي فترة لا تناسب الأسفار البحرية، فيما يكون موسم «رياح أربعين المريعي» أواخر ديسمبر، ويصاحبها انخفاض شديد في درجات الحرارة. وأول الشتاء يكون موسماً لـ «رياح لكيذب» أيضاً، وهي رياح قوية، يسبقها هدوء تام، وتظهر سحب رعدية مسببة أمطاراً غزيرة مفاجئة.

ومع دخول شهر فبراير، تتجه الرياح نحو «النعشي»، فينعش

الناس بجمال هوائه عندما يكون هواؤها هادئاً ومنساباً، ويهبُّ هذا الهواء من الشمال الشرقي. وسمّي بهذا الاسم لهبوبه من مطلع بنات نعش النجوم السبع، فهو يسكن ليلاً ويهبُّ نهاراً، ويستمر قرابة أسبوعين. وهواء «النعشي» لا يستمر طويلاً، فإذا حدث في الليل ينتهي في الصباح، لكن أثره كبير في حالة البحر، إذ يثور البحر على إثره محدثاً أمواجاً عالية.

الشّعروالأهواء

لم يغفل خيال الشعراء في دولة الإمارات العربية المتحدة الريح، لا سيما الأهواء، فذكروها في معظم أشعارهم، وخاطبوها وشكوا إليها وجدهم، وحمَّلوها كثيراً من بوحهم؛ فها هو عبد العزيز بن دخين المطروشي يخاطب هبوب المطلعي، حيث وصلت إليه وهو في المغاصات، فيسألها إن حمَّلها الأحبَّة إليه سلاماً أو سؤالاً عن أحواله، ويجد في جوابها ما ينتظره:

يـــا المطلعـــي ما عَبّـــلِكْ حَـــدْ
مِ الداريـــــوم انّـــك تهبّيـــــن
قالـــــتْ بَلى عِبّلْـــــت وانْشِـــد
وآســـــالْ عَن مِحْمَـــلْ بن دْخيـــن

وكذلك فعل خميس بن زعل الرميثي مع هواء البارح، فقال:

باسألـــكم ابريـــــح وش يـــــاه
تـــارس وســـوّى لـــه رياعيـــن
كـــلْ من خطـــف واحـد تلقّـــاه
وكسَّـــر فرامـــن ها المساكيـــن
واللّي يـــبا فرمـــن مـا يلقـــاه
ولا حـــدّ بايعطـــيه بالديـــن

وتذكر عوشة السويدي «فتاة العرب» الأهواء في ترحيبها، فتقول:

مرحبا مـــا هبّ ذِعْـــذاع الجُـــنوب
بارد النَّســـــاس لِي صوبـــي حِمَـــل

ويقول سالم الجمري:

إذا هبَّت النكبـــــا عيوني تغارقـــــت
من الدمع وفْـــوادي تذكَّر حبيبـــــه

ومما قاله في الأهواء خليفة بن مترف:

يا مَرحباً مـــا هـــبّ ذِعْذاع نُودهـــا
شَرْتا المـغيب وُناسِم الرّيـــف نادهـــا

ويقول سالم الدهماني:

و مِ النسيـــم المطلـــعي يميلـــي
وان تَغَـــرْيَف عـــوده كُفايـــه
ينجِلِـــد لي هبَّـــت سُهيلـــي
وصَبَّحَتْـــني كـــوس سَرَّايـــه

الرياح في الأمثال الشعبية

ثمة أمثال شعبية كثيرة اهتمت بالرياح، وتحدثت عن سرعتها وبرودتها وحرارتها واتجاهها، ومن هذه الأمثال:

أكرم من هبوب الغربي

وهبوب الغربي: الريح التي تهبُّ من جهة الغرب، وغالباً ما تهبُّ في أيام الشتاء، وتكون باردة. ويضرب هذا المثل الشعبي مبالغةً في الكرم والسخاء، إذ شبّهوا الكريم بالريح الغربي، بل قالوا إنه أكرم منها.

يكسِر الّدقَل قبل الخُبّ

والّدقَل: سارية السفينة، والخُبّ: هيجان البحر وارتفاع موجه بسبب الريح، واتقاء لمخاطر ذلك تُنزل السفن أشرعتها قبل أن تمتلئ بالريح فتنقلب السفينة. ويُضرب هذا المثل إذا ما قام شخص بعمل ما قبل أوانه ودون أن تنضج وتتهيأ شروط تنفيذه وظروفه.

الرياح والأقوال الشعبية

وعكست الأقوال الشعبية مدى تداخل الرياح في نسيج الحياة لدى أهل الإمارات. ومنها:

إن هبَّت الغربي دلّوني بدربي، وان هبَّت الشرجي دلّوني بسربي

والغربي: الهواء الذي يهبُّ من جهة الغرب، والشرجي: الهواء الذي يهبُّ من جهة الشرق، وسربي: بيتي أو مقرّي. وهو قول شعبي يُضرب في الاستبشار بالمطر وتوقّعه، ويتضمن توجيهاً في التعامل مع الظروف الجوية، لا سيما في أمور السفر عندما تهبُّ الريح من جهة الشرق، إذ تكون علامة لقدوم المطر.

وفي هذا القول الشعبي نوع من التنبّوء بقدوم المطر، وقد قيل على لسان أحدهم عندما كان في ضيافة آخرين؛ فعندما حانت ساعة مغادرته، قال لهم: إذا كان الهواء من الغرب، فالوقت مناسب للمغادرة، وما عليكم إلا أن تصفوا لي الطريق، وإذا كان الهواء من الشرق فلن أغادركم، فإنه علامة للمطر، وسأبقى ضيفاً عليكم حتى توقُّف المطر.

الله يسلّم الحطّيبات مِ السهيلي

والحطّيبات: النساء اللواتي كُنَّ في الماضي يقُمن بجمع الحطب، والسهيلي: الريح التي تهبُّ من جهة الجنوب، وعادة ما تكون شديدة محمّلة بالأتربة والغبار حتى منتصف النهار. وهذا قول شعبي يُضرب للتحذير من أمرٍ يُتوقّع حدوثه.

دفعة مردي، والهواء شرجي

والمردي: خشبة طويلة يدفع بها القارب في البحر، وتكون بيد البحار. وإذا ما كان القارب يسير في البحر باتجاه الريح نفسه فإن مساعدة المردي تزيد من سرعته، ويذهب بعيداً في البحر. وهذا قول شعبي بمثابة دعوة للشخص غير المرغوب فيه كي يبتعد، بحيث لا يُرى مرةً أخرى.

الأربعيـــن مسوّيـــه رنّـــه
من هـــواها وطيب شرتاهـــا
كم سمبـــوقٍ انقطع سنّـــه
وآزم مْسمّـــر بليّاهـــا

والأربعين من درور السنة حسب تقويم الدرور المتعارف عليه

محلياً. وتصف هذه الأبيات الشعرية طقس تلك الأربعين حيث تهبُّ فيها ريح الشمال، ويكون تأثيرها على المراكب والسفن الصغيرة شديداً؛ فتتقطّع حبالها وأجزاؤها، ما يجعل الناس يعانون عندما يبدأ درّ الأربعين.

وقد ذهبت تلك الأبيات قولاً متعارفاً عليه في وصف ومعرفة درّ الأربعين من المئة الأولى من تقويم الدرور. والقول في الوقت نفسه تنبيه لأصحاب السفن بأخذ الحيطة والحذر في هذه الأوقات من السنة.

الرياح في الحِكَم والكنايات

لم تكن الرياح في الحِكَم والكنايات أقل شأناً مما نالته في الأشعار والأمثال والأقوال الشعبية، إذ حظيت بالعناية الكبيرة؛ ومن ذلك:

إذا هبَّت النكبا بيومٍ وليله، خوفي على وادي المحيل يسيل

والنكبا: نسيم الصبا، أو «الشرجي»، أي الهواء الذي يهبُّ من جهة الشرق. ووادي المحيل: هو الوادي الذي حلّ به المحل والجدب. فدائماً ما تُقرن الرياح التي تهبُّ من الشرق بنزول المطر. وهذه حكمة شعبية، وفيها يقول المتمثّل أو المتنبئ الفلكي: إذا هبَّت هبوب الشرق فإن الوادي الجاف الممحل سيسيل بسبب المطر الذي ستخلّفه هذه الريح المباركة.

جارتنّه السايبه

جارتنّه: من جريجرّ، أي تسحبه، والسايبه: الهواء أو الريح. وفي اللغة السيب هو المطر الجاري المسرع. أي إن الريح سحبته معها. هذه كناية شعبية تستخدم من باب النقد، فتُضرب دعابة لمن جرفته الحياة الدنيا بلهوها.

برد العِيايز

وهو ما يعرف ببرد العجوز، كناية عن شدة البرد، فإذا ما أكثر المرء من الشكوى من البرد وإحساسه بالبرودة؛ يقال له من باب الدعابة والنقد: حلّ بك برد العيايز، لأن العجوز تشعر دائماً بالبرد ■

باحث وعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع:

1. الأعمال الكاملة والسيرة الذاتية للشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي (فتاة العرب)، جمع وتحقيق وتأليف: الدكتورة رفيعة عبيد غباش، الإمارات العربية المتحدة: متحف المرأة، الإصدار الأول، الطبعة الثانية، 2012م.
2. أنواع الرياح البحرية.. معجزة قرآنية، إعداد: رياض عيدروس عبد الله، مراجعة الدكتور قسطاس إبراهيم النعيمي، بحث غير منشور.
3. خمسون شاعراً من الإمارات، سلطان العميمي، أبوظبي: أكاديمية الشعر بهيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2008م.
4. ديوان بن زعل، خميس بن راشد بن زعل الرميثي، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، 2008م.
5. ديوان الجمري، للشاعر سالم بن محمد الجمري العميمي، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث بنادي تراث الإمارات، الطبعة الثانية، 2013م.
6. ديوان الدهماني، للشاعر سالم بن سعيد بن جمعة الدهماني، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث بنادي تراث الإمارات، 2007م.
7. ديوان النبع العميق، للشاعر خليفة بن محمد بن مترف الجابري، إعداد وإشراف: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: لجنة الشعر الشعبي بنادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2008م.
8. رسالة في أسماء الريح، ابن خالويه، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، مجلة المورد، مجلد 3، عدد 4، 1974م، ص ص 220 - 232.
9. الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي، فهد علي المعمري، دبي: مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، الطبعة الثانية، 2016م.
10. الكنايات الشعبية الملاحية في الإمارات والخليج العربي، علي بن إبراهيم الدرورة، أبوظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ بنادي تراث الإمارات، 2003م.
11. المتوصّف.. أمثال وحكم من الإمارات، عبد الله حمدان بن دلموك، دبي: مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، الطبعة الأولى، 2014م.
12. موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: المؤلف نفسه، الجزء الأول، 2016م.

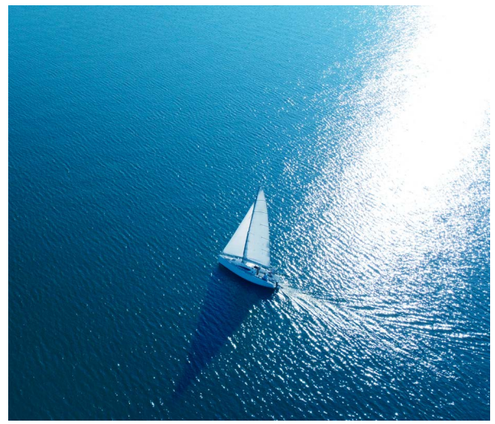

جمال مشاعل

قديماً كانت معرفة الرياح المحلية واتجاهاتها وصفاتها ومواعيدها من المهارات التي أتقنها أبناء الإمارات للتنبؤ بالأحوال الجوية، وهذه المهارة والخبرات ساعدتهم على التغلب على تحديات الطبيعة وظروفها الصعبة، وجعلتهم يكشفون أسرار الطقس والمناخ فيحتاطون من مفاجآته، واليوم هل بقيت تلك الأهمية لمعرفة الرياح بالفراسة وبنقل الخبرات من الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء؟!

تعدّ الرياح إحدى مصادر الطاقة وبواسطتها توافرت العديد من المصادر التي دفعت عجلة التطوير، إلا أن هذه الرياح بقيت عاجزة عن أدائها مهامها ووظائفها الكثيرة التي كانت تؤديها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وحتى ستينيات القرن الماضي (القرن العشرين) حيث أصبحت بعد هذا التاريخ مهملة عند الكثيرين، وكأنها صفحة قد طويت ولم يبق منها إلا الذكرى.

وتكمن أهمية الرياح والأهوية في التنبؤ بكثير من الظواهر الطبيعية فظهور بعض النجوم يؤكد هبوب رياح معينة، وغياب بعضها يأتي برياح أخرى، كما يتم الاستدلال بالرياح على نضوج بعض الثمار أيضاً، لا سيما النخيل.

هذا مما جاء في كتاب (الرياح والأهوية) في التراث الشعبي الإماراتي، الصادر عن مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، لمؤلفه الأستاذ فهد علي المعمري، ويذكر الكتاب أن أبناء الإمارات قد اهتموا بالرياح والأهوية المحلية فعرفوا أسماءها وأوصافها واتجاهاتها وتاريخ هبوبها، وهذا ما ساعدهم في أعمالهم ونشاطاتهم البحرية المختلفة في السفر والتجارة وصيد السمك، ورحلات الغوص التي كانت مصدر رزقهم، ومن الرياح البحرية التي عرفوها: رياح السيهياني، ورياح الخيّاي، ورياح الناعر.

معرفة الرياح من ضرورات الحياة في البيئة البرية والبحرية

ولم تقتصر أهمية الرياح على أولئك الذين يعملون في البحر، فمجتمعات الصحراء والجبال اهتموا بالرياح أيضاً، ومن الرياح

البرية: رياح نسيم البحر، ورياح السهام، والكوس.

وغني عن البيان أن المجتمع الإماراتي قبل اكتشاف النفط قد اعتمد على الرياح في خفض درجات الحرارة الملتهبة في الصيف بواسطة البراجيل، وأخذ البحر النصيب الأوفر من الاهتمام بالأهوية المحلية؛ فالسفن الخشبية القديمة اعتمدت اعتماداً كلياً على الأهوية من خلال أشرعتها؛ حتى إن البحارين أجبروا على تتبع هذه الأهوية واستغلالها الاستغلال الأمثل لإنجاح رحلات البحر، لذا كانوا يدركون أهمية بعض الأهوية مثل: الأزيب والبرصات والخيّاي.

ويؤكد فهد المعمري في كتابه أن تراث الرياح والأهوية المحلية في الإمارات تقع في ثلاثة محاور، أولها الاهتمام باسم الرياح والأهوية، للتمييز بين الأهوية الكثيرة التي تختلف في كل شيء؛ سواء في تحديد الاتجاه أو التاريخ أو السرعة، إلى جانب معرفتها بأنها رياح باردة أو حارة، وهكذا عُرفتِ الرياح باتجاهاتها مثل: رياح الغربي التي تأتي من جهة الغرب، والمطلعي التي تأتي من جهة طلوع الشمس. وقد عرفوا سرعات الرياح فمنها الشديدة القوية التي تربك البحارة فكانوا يجتهدون في حسابها تجنباً للخسائر كرياح الأزيب والبرصات، ومن الرياح المتلفة أيضاً: الطوفان والضربة التي تؤدي إلى هيجان البحر وتلاطم أمواجه؛ كضربة الشهيلي وضربة الكوس وغيرهما.

وجرى وصف بعض أنواع الرياح من حيث إنها تأتي بالمطر مثل رياح المزر، والرياح التي تأتي بالغبار والأتربة كرياح الذاري ورياح الكوس، ومنها الرياح الباردة كرياح الأربعينية، والرياح شديدة البرودة كرياح شمال الثمانين.

والمحور الثاني في تراث الرياح يقوم على صفة خاصة للهواء المحتمل من قبل الرياح، ويعد وصفاً دقيقاً عن أهميتها ودرجة السرعة والبرودة والحرارة، مثل النسيم والزفزاف والمريف.

والمحور الثالث يأتي ضمن الأمثال والكنايات الشعبية التي تتحدث عن الرياح والأهوية المحلية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد رسمت لنا هذه الأمثال والكنايات صورة واضحة لمدى تعلّق الأولين بهذه الأهوية وملاءمتها للواقع.

التدخل المشؤوم للمحرك البخاري حدّ من أهمية الرياح

يذكر كتاب (التدخل المشؤوم) الصادر عن الأرشيف والمكتبة الوطنية لمؤلفه مايكل كوينتين مورتون أن العرب كانوا يعرفون ظاهرة الرياح الموسمية منذ القدم، وقد نقلوا معارفهم إلى البحارة في كل أصقاع الأرض، وأسست منظومة تجارية تمتد

من أفريقية إلى الهند والشرق الأقصى، شملت تجاراً يتاجرون في مختلف السلع مثل: التوابل والعاج والمعادن، وعلى النقيض من البر الرئيسي العربي حيث كانت فرص السفر مسافات طويلة محدودة، وقد أوجدت الرحلات الأولى للبحارة العرب شبكة واسعة ومعقدة احتضنت مختلف الشعوب الذين تواصلوا معاً عبر العلاقات التجارية.

ويشير الكتاب إلى أن الرياح الموسمية تنشأ عندما تزداد حرارة الأرض وتبرد بالنسبة للبحر؛ فتجلب الهواء الرطب في أشهر الصيف، وتعكس اتجاهه في فصل الشتاء، وفي بحر العرب تهب الرياح الموسمية من جنوب غرب المحيط الهندي بين مايو وسبتمبر، وتهب من شمال شرق شبه القارة الهندية بين نوفمبر ومارس، ونتيجة لذلك كانت التجارة البحرية تمارس على أساس موسمي؛ إذ كانت السفن الشراعية تعتمد على اتجاه الرياح للوصول إلى وجهاتها، وقد مكّن إيقاع الرياح الموسمية البحارة القدماء من التنبؤ بالوقت الذي يمكنهم

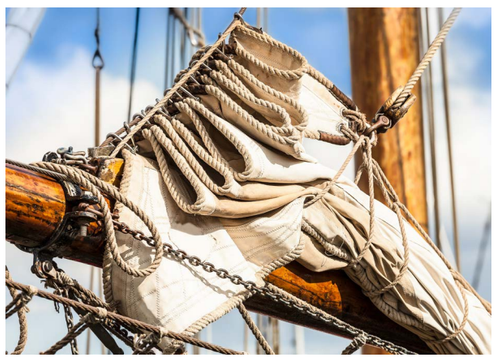

فيه الإبحار إلى الهند وأرض الزنج «وهي تقع في منطقة جنوب شرق أفريقيا» - فالعرب كانوا يعرفون ساحل شرق أفريقية - ويمكنهم الإياب عبره.

السفن في الخليج طوع اتجاهات الريح وهدوئها

ونتيجة لتيارات الرياح تمكّنت السفن الشراعية من القيام برحلة ذهاب وإياب واحدة إلى الهند أو أرض الزنج في السنة، وهذه حقيقة استخدمها الإغريق القدماء لمصلحتهم عند إبحارهم من الساحل العربي الجنوبي ليلحقوا بالرياح اللينة التي تنقلهم إلى الساحل الشمالي الغربي للهند، وكان الطريق التقليدي - بمحاذاة الساحل العربي إلى الهند - يستغرق أربعة عشر شهراً. ووفقاً لدليل الملاحة اليوناني القديم كانت الرحلة من منفذ البحر الأحمر إلى الهند باستخدام الرياح الموسمية تستغرق شهرين فقط. وكان من الممكن - آنذاك - إتمام رحلة العودة عندما تُغير الرياح اتجاهها، وهو ما يجعل رحلة الذهاب والإياب سريعة تقريباً حسب المقاييس الزمنية المتمهلة للعالم القديم. لقد أثمرت خبرة العرب في الرحلات مسافات طويلة نظام ملاحة خاصاً بهم، مختلفاً عن الأساليب الغربية السائدة في ذلك الوقت، ومتفوقاً عليها، وقد استخدم الغربيون مصطلح «داو» لوصف القوارب الشراعية العربية عامة، كانت مراكب «الداو» في منتصف القرن التاسع عشر تتمايل مبحرة بحمولتها من البضائع بين الموانئ المحلية في الخيران والأنهار أو عبر الخليج العربي، ولم تكتفِ هذه المراكب الشراعية بذلك إذ غامرت مبحرة نحو الهند وعُمان، واليمن بأطقم محلية أيضاً، في حين كانت المراكب الكبرى - مثل البغلات - تبحر في الخطوط البحرية الطويلة، وكان لهذه التجارة شأنها، لا سيما أن الخليج العربي قد عَرفَ بحارته أنظمة رياحه فالرياح الشمالية الغربية السائدة - المعروفة باسم رياح الشمال - تهب قرابة تسعة أشهر في السنة، وتكون الأكثر انتظاماً ما بين مايو ويونيو، وتكملها في فصل الشتاء رياح الكوس، التي تهب من الجنوب الغربي وتهب الرياح الشمالية الشرقية عبر خليج عُمان، أما رياح السهيلي فهي جنوبية غربية أيضاً، وكانت تخيف البحارة، لأنها عادة كانت تضرب المراسي المحمية في الساحل الفارسي.

خلقت هذه العوامل كلها مشهداً معقداً ومتغيراً باستمرار، وأنماطاً تجارية تميزت بتنوعها وتأثيرها البعيد المدى.

وفي الوقت الذي كانت السفن الشراعية النوع الرئيسي للنقل لكل من العرب والأوروبيين فإن قواعد الطبيعة نفسها كانت تنطبق على كليهما: قوة المد والجزر، واتجاه الريح، والقيود التي يفرضها الحجم والمسافة، ولكن ظهور البخار قلب الميزان لمصلحة نوع جديد من السفن، ففي عام 1830 أوردت صحيفة «لندن ريفيو» الربع السنوية أنه حل عنصر جديد محل التأثير غير المؤكد والمحدود للرياح والمد... وكان العنصر الجديد هو المحرك البخاري الذي يسيّر البواخر التي تستطيع أن تحدد جداولها الزمنية تحديداً مستقلاً عن الرياح والمد والجزر، ولكن الانتقال من الشراع إلى البخار لم يكن سهلاً ■

إعلامي مقيم في الإمارات

الأهويـــة

فعل التخطي والإنماء والرسائل

لولوة المنصوري

تداركاً لمسألة الكتابة عن الهواء في الموروث الإماراتي، فهناك معنى شموليّ كونيٌّ عام أحببتُ الاستنارة به مما تنضح به الذاكرة المُحفّزة لمبدأ المدلول والرمزية والمنطلق الأول لسر الأهوية والريح ومدركات الرسائل في الطبيعة.

فالريح تحملها الجهات الأربع المتصلة بالدّهر، وهي الروح والنَّفي الحيوي للكون، كان الارتباط الرمزي بها كامناً في كسر القيود والحبال والخيوط والتحليق بعيداً، الريح إشارة إلى الزوال والتحرر وانبعاث جديد لرائحة البذور والقمح في السهوب والحقول البعيدة، ورسالة المطر والبشارات والأعياد والسلام. وقد تأخذ الرياح شكل طاحونة الهواء لبث معنى الخصوبة والتدفق والحصاد والأجنة. وفي المقابل تكون الريح حمالة وجه سوداوي إذا تحوّلت إلى زوبعة، فتكسر الأجنحة وتخلق دماراً وخراباً عظيماً في الحياة، الزوبعة إشارة إلى بدء الحرب والموت والهلاك والفقد. وعلى النقيض تماماً يُمكن أن تسبق الزوبعة الأمطار المخصبة، فقد ارتبطت في الميثيولوجيا بآلهة الأمطار والرعود، ونجد في أساطير الصين أن إله البرق والزوابع له شعر مجدول على نحو لولبي، وفي رمزية الهنود الحمر هي الروح العظيمة وقوتها، ويمكن للزوبعة في ثقافات بعض الشعوب القديمة أن تحمل الأرواح إلى العالم الآخر، وهي تأخذ في هذه الحالة رمزية الزمن اللولبي.

الدوامة هي اللولب الهوائي في الأشياء، باعتبارها مصدراً للحياة والطاقة الطبيعية وقلب المياه الطبيعية، وهي تحيط بالجنين وتلتف حوله برعاية وحنان.

أحياناً تكون الريح دالة على الخفة والخفقان اللطيف، حين نرى ريشة سابحة في الأفق، تمضي الريشة في ميلانها الجميل ورقصها مع الريح وكأنها في حالة صفاء خلودي حميم وطيران حُر نحو عوالم ملائكية أخرى.

أما عن الملائكة، فإن الريح كما ورد في الأثر هي جند من جنود الله، والريش في الريح مدلول سحري على طواف الملائكة بالقرب من الإنسان العابر لبقعة جغرافية نائية عن محيط الطيور، ليتساءل: من أين جاء الريش ياتُرى؟ حتى يبلغ نشوة الاطمئنان بوجود ملاك حارس يمضي بقربه، حافاً بأجنحته مدار السفر والأمل. وتكون الريح حاملة لأجنحة النسر الشاهق في الأعالي. ولها مدلول آخر يضاف إليها يدل على القوة الشمسية الجانحة وإشعاع الكبرياء والجلال والوقار.

وفي النقوش الحجرية في شبه الجزيرة العربية يكون نقش السهم دلالة على عبور الريح من جهة آمنة، ويرمز إلى الغرق وهواء العاصفة أيضاً، وهو رمز شمسي هوائي ورمز المحارب المقبل كشعاع الشمس المخترق لسحب الظلام.

والرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن، فتمضي بنا عكس التيار وعكس الأنماط وعكس الجماعات، هذا المسار العكوسيّ هو في حدّ ذاته ولادة جديدة للتغيير وفكرة التخلي لنمط قديم صراعي تعصبي اتجاه مبادئ بالية وزائفة أهلكت أمماً كبرى، ومازال تأثيرها يُرهق المنساقين خلفها وخلف ميراث وعي جمعي جماهيري دونما تبدّل وتحوّل، الرياح تكسر النمط وتحرر من عبودية أفكار قُدِّستْ عبر السنين وصنعت بطولات زائفة في تاريخ الخلائق.

أن تجلس على بساط الريح وتُسافر، كان ذلك ضرباً من الميثيولوجيا السحرية التي ورثت فكرة الانتقال بين بلدان الأرض، جلس السندباد وارتحل في الأصقاع، وعلى البساط الطائر نفسه في الريح جلس علاء الدين وبدر البدور، وتشبث الأربع والأربعون حرامياً ببساط الريح، فأسقطتهم الرياح واحداً تلو الآخر في البراكين ومواقع الزلازل الكبرى والزوابع ومنبت الجن والعفاريت. ولم يعد منهم أحد أبداً. هكذا كانت الريح حامية لبساط العدالة والأمان والسلام.

وكان بساط الريح مفتتح التفاؤل لفكرة الانتقال بين الأبعاد الأرضية، ليأتي الإنسان المعاصر باختراعه الجديد الذي يخترق

به سبل الريح والبروق والرعود، غير عابئ بريش الملائكة وحدود الجن وأنظمة المناخ، فاخترع الطائرة والصواريخ والقنابل الذرية والرصاص والمدافع... كل ذلك استحال إلى شكل عبثي موتي في الريح. لم يستأذن أحد الريح حين فجّروا بين جوفها عواصف الحروب البشرية، فلوثوا الزمان والمكان والخيط الموصول بينهما.

يبقى لنا متنفس بين الشَّعر الغجري المسترسل في الهواء، كناية الأمومة والأمان والسعادة وجلب الخير والمطر، وهي حركة الأمهات والأخوات البدويات في الريح لاستجلاب المطر على صحاري الخليج العربي، ينعشن الرياح بشعورهن وكأنهن بذلك يُحركن الأنواء والمناخات، فيأتي طقس استقبال الغيث على التربة الظامئة للحياة، طقس التحبب للعبير والنماء السلاليّ في الأرض. فتكون الصلاة في الهواء وعلى ظهر الريح أعظم اتصال بشري مع الكون، وأعمق طريق يتجاوز فيه الإنسان العالم ويسمو فوق وجوده المادي، فيبدو بصلاته المنتعشة في الريح مثل الشجرة الوارفة المختالة شكراً وصلاة وانسجاماً في الحياة الأبدية ■

روائية وباحثة إماراتية

الرياح والأهوية: مصادر الاستدامة للرزق قديماً في الإمارات

فاطمة سلطان المزروعي

شكّلت الرياح والأهوية في دولة الإمارات العربية المتحدة أهمية كبيرة في الحياة اليومية حيث كان السكان في الماضي يعتمدون عليها وأصبحت مصدراً من مصادر الاستدامة فهم يعتمدون عليها في رزقهم ومأكلهم في البحر والبر، فهناك المطر والرياح والعواصف والنجوم ومواسم القيظ وغيرها من العوامل الطبيعية التي تسهم بشكل كبير في تأدية أعمال أجدادنا وخاصة في الأعمال والنشاطات البحرية والبرية المختلفة من خلال الصيد والتجارة والسفر، إضافة إلى رحلات الغوص التي كانت تشكل الهاجس الأكبر، فقد كانت الرياح والأهوية تساعد على التنبؤ بالظواهر الطبيعية، لقد ساعدت معرفة المجتمع قديماً لأسماء الرياح وسماتها واتجاهاتها وأوصافها وتاريخ هبوبها على تأدية أعمالهم وفق هذه الأهوية، إضافة إلى رحلات الغوص التي كانت الهاجس الأكبر في تلك الفترة.

لقد اكتسبت الرياح والأهوية الكثير من الخصوصية وفقاً للخصائص الجغرافية التي تتميز بها عن غيرها من الرياح والأهوية الأخرى فمنها الأهوية البحرية، مثل: رياح (السيهياني)، ورياح (الخياي)، ورياح (الناعر)، وهناك الرياح البرية، مثل: رياح «نسيم البحر» و«رياح السهام»، إضافة إلى الأهوية المشتركة التي تأتي من البحر والبر ومنها الهواء الأشهر وهو (الكوس) الذي تغنى به شعراء الإمارات في أشعارهم وهو يشتد خلال الفترة من طلوع المرزم حتى 3 سبتمبر، وقد وصفه البحارة بأنه رياح طيبة قادرة على دفع المراكب الشراعية والإبحار بها ويكون هبوبها في بحر العرب والأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية، ذكرها البحار الإماراتي المشهور أحمد بن ماجد في كتابه (السفالية) وذكر مواعيد هبوبها وعليه يتحرى النواخذة (ربابنة السفن) موسم هبوبها حتى إذا هبت كان العرب يقومون في وقتها بدفع المراكب والسفن لتمخر عباب البحر، حتى تصل غايتها وكانوا ينعتوها بقولهم: (ريح طيبة ورب كريم).

لقد أخذ البحر النصيب الأكبر من الاهتمام بالأهوية المحلية نظراً إلى السفن الخشبية القديمة التي تعتمد اعتماداً كلياً على الأهوية من خلال الشراع، فانعدام الوسائل المدنية الحديثة مثل المكائن والبترول أجبرت البحارين على تتبع هذه الأهوية واستغلالها الاستغلال الأمثل لإنجاح رحلة البحر مهما كان القصد من هذه الرحلة، لذا كانوا يدركون أهمية بعض الأهوية مثل «الأريب» و«البرصات» و«الخياي»، لقد كانت السفن الشراعية هي الوسيلة التي يعتمدها التجار في الانتقال في البحار وهي المراكب التي تدفعها الرياح إلى الجهة المنشودة، وقد كان أهل الخليج لديهم الكثير من المعرفة في هبوب الرياح التي تساعدهم في مواصلة تجارتهم مع الهند وسواحل أفريقيا وخاصة الواقعة على المحيط الهندي وقد تطلب ذلك المعرفة بمواسم هبوب الرياح واتجاهاتها لضمان إبحار آمن للسفن الخارجة أو الداخلة في الخليج، وكانت هناك توقيتات ثابتة للخروج والعودة من خلال الخبرة التي اكتسبها هؤلاء البحارة. ويعتبر البحّار أحمد بن ماجد من أبرز العالمين

بالبحر ومواسم الرياح على مستوى العرب والعالم وقد قام برسم العديد من الخرائط البحرية وكانت له رحلات عديدة إلى جنوب شرق آسيا والصين والهند وأفريقيا وكان من أمهر الذين استخدموا البوصلة وتطويرها وقد استعان به وبمؤلفاته العديد من الباحثين والرحالة والمهتمين في علم البحار.

وكان أهل الخليج يطلقون اسم (الولم) على الريح الملائمة لوجهة السفين ويطلقون اسم (الأريب) على الرياح الجنوبية إلى الجنوبية الغربية المحملة بالرطوبة وبخار الماء القادمة من المحيط الهندي باتجاه جنوب جزيرة العرب، وهبوبها يلائم السفن المبحرة باتجاه موانئ جنوب جزيرة العرب، وهذه الرياح تنشط في تشرين الثاني وكانون الأول وشباط وآذار متجهة نحو الجنوب الغربي ويشرع البحّارة بدفع سفنهم المتوجهة إلى السواحل الشرقية لأفريقيا وتكون رحلة العودة عندما تهب الرياح من جهة الجنوب والتي تبدأ من الأيام الأولى لشهر إبريل حتى شهر أيلول وخلال هذه الأشهر تعود السفن مبحرة باتجاه موانئ الخليج، وهذه الرياح تطلق على الرياح الهابة في المحيط الهندي ولا تؤثر على الخليج العربي بينما يتأثر بها دائماً وسط البحر الأحمر وجنوبه. وقد أصبحت الرياح والأهوية المحلية تاريخاً أدبياً وثقافياً وسياسياً يكشف الكثير من صفحات حياة الأجداد، كما تعددت مسميات الرياح على اختلافها في كل شيء سواء تحديد الاتجاه والتاريخ ودرجة السرعة فجاءت بعض التسميات خاصة بتحديد الاتجاه مثل: «الرياح الغربي» لأنها أتت من جهة الغرب، و«رياح المطلعي» لأنها أتت من جهة المطلع أي طلوع الشمس، و«رياح الشمال» لأنها تأتي من

جهة الشمال، كما جاءت التسمية تبعاً لقدوم الرياح من أحد النجوم والمطالع التي يهتدي بها البحارة مثل: «رياح العقربي» الآتية من جهة نجم العقرب و«رياح نعشي» القادمة من اتجاه نجم بنات نعش، ثم معرفة سرعتها فمنها الرياح غير النشطة تماماً ولا تتجاوز سرعتها العشرة كيلومترات في الساعة، ومنها النشطة التي تتجاوز عشرين كيلومتراً في الساعة، ومنها ما تكون شديدة قوية تعطل وتربك حركة البحّارة في مختلف الوجهات المقصودة سواء السفر أو التجارة أو رحلات الغوص فكانوا يجتهدون في دقة حسابها كي لا يقعوا في المشكلات التي تكبدهم الكثير من الخسائر المادية والمعنوية مثل «رياح الأربب» و«البرصات»، ومنها الرياح التي تعد عاصفة هوجاء ومتلفة وتسبب بإحداث كارثة وربما تكون «سنة الطبعة» وهي السنة التي حدث فيها طوفان عظيم في البحر فغرق عدد كبير من السفن والأشياء والآلاف من الأشخاص، وقد حدثت أيام حكم الشيخ سلطان والد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمهما الله تعالى، ومثل هذه الرياح المتلفة «رياح الطوفان» و«الضربة» حيث تؤدي إلى هيجان البحر وتلاطم أمواجه مثل: «ضربة شمال» و«ضربة كوس» و«ضربة سهيلي» و«ضربة الشلَي» و«ضربة مطلعي»، ووصفت هذه الأهوية أيضاً من حيث إنها تأتي بالمطر مثل «رياح المزر» أو إنها تكوّن السحب وتساعد في هطول الأمطار مثل «رياح الرايحة» أو ما يعرف بالروايح، ومنها ما تكون محمّلة بالغبار والأتربة مثل «رياح الذّاري» و«رياح الكوس» أحياناً، ومنها ما تكون باردة شديدة البرودة مثل: «رياح شمال الثمانين»، و«رياح أربعين المريعي»، وفي المقابل ما تكون مرتفعة الحرارة مثل: «رياح السهام» و«رياح السموم».

وقد تعددت الأمثال الشعبية التي اهتمت بالرياح في دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد كانت ألسنة الآباء والأجداد تلهج بأمثال كثيرة اهتمت بالرياح وتحدثت عنها وعن سرعتها وبرودتها وحرارتها واتجاهها، منها:

- (إذا ظبِيت خبِيت)

أي جاء بعدها خب وهو الهواء القارس الشديد الذي يحرك الأشياء تحريكاً ظاهراً، ويقول الشاعر حميد بن ذيبان:

مـــــاخبَب وظبَب إذا عكور سمـــــاه

مغـــــوار وإسناده على نجـــم سانـــــي

وإذا جاء الضباب في اليوم الأول وعاود الكرة في اليوم الثاني، فعندئذ عرفوا أنه بعد هذا الضباب يأتي الخُب.

- (الستين ذبح بلا سكين)

الستين هو در الستين ويأتي في بداية الشتاء وبعده در السبعين ثم الثمانين، وهي أشد فترات البرودة وبما أن الستين تأتي بعد درجات حرارة ليست بالباردة، وحيث إن الناس تعوّدوا على الحرارة المرتفعة، وتأتي الستين ببرودتها فيشعر الناس بالبرد ويشعرون بأن هواءها قارس ومهلك فيقال في المثل (الستين ذبح بلا سكين).

- (كل هواء وله شراع)

هوا، أي الهواء والمقصود به هنا الرياح، فالسفن تستعمل أشرعة مختلفة الأحجام، مثل: «الشراع العود» و«الشراع الميانى» و«الشراع القلمي» و«الشراع الجيب»، وذلك طبقاً لاتجاه الريح وسرعتها ومعنى المثل أنه لكل موقف أسلوب معين يتماشى مع طبيعته وكما هو معروف فإن لكل مقام حديث ولكل حديث مقام.

- (يكسر الدّقل قبل الخب)

الدّقل هو سارية السفينة والخُب هو هيجان البحر وارتفاع الموج بسبب الريح وعليه تقوم السفن بإنزال أشرعتها حتى لا تمتلئ بالريح وتنقلب السفينة. ويضرب المثل متى ما قام شخص بعمل ما قبل أوانه ومن دون التأكد بأن الوضع يحتاج ذلك الأمر الذي ربما ينقلب عليه بشكل عكسي ويكون في حاجة لما تخلّى عنه فلا يجده.

أما في الكنايات فكان حضور الرياح والأهوية في دولة الإمارات العربية المتحدة كبيراً ومن أشهرها:

- (برد الثلاثين) وهو برد يبدأ في أول موسم الشتاء ويأتي في در الثلاثين ويستمر لغاية در الثمانين وجميع هذه الدرور باردة

- (برد العيايز) كناية عن شدة البرد وما يعرف ببرد العجوز إلا أن المتعارف عليه هنا أن الشخص إذا أكثر من كلمة البرد أو إحساسه بالبرودة، يقال له عن طريق السخرية والاستهزاء حل بك برد العيايز لأن العجوز الكبيرة في السن تشعر بالبرد دائماً

- (سنة الطبعة) وهي ليلة الكارثة التي وقعت بتاريخ 1344/3/13 للهجرة، إذ جاءت موجة رياح شديدة جعلت مياه البحر يكتسح الشاطئ وضرب الطوفان منطقة الخليج كلها، وتحطمت السفن الراسية في عرض البحر جميعها ومات آلاف الناس من دول الخليج كلها، ولا يعرف عددهم إلا الله وهي كناية لكل موسم تهطل فيه الأمطار بغزارة ويرتفع منسوب الماء وتمتلئ السدود وتجري الأودية فيقال هذه السنة (سنة الطبعة).

- (السهيلي حالفه أمه ما يبات): أي لا ينام خارج منزله، والسهيلي يأتي صباحاً ولا تطول مدته وربما استمر إلى ما بعد العصر وهذا آخر وقت له ولا يبقى إلى المساء لذا قالوا عنه: السهيلي حالفه أمه ما يبات، وهي كناية عن الشخص الذي لا يبقى خارج منزله إلى المساء بل يعود دائماً قبل غروب الشمس فإذا أراد بعض الأشخاص الجلوس معه أو استضافته في منزلهم لحضور وجبة العشاء أو الحديث معه، يعتذر لهم ليعود إلى منزله فيقال عنه عندئذ: (السهيلي حالفه أمه ما يبات).

- (السهيلي يبحث عن شمال) إن السهيلي يأتي من جهة البر، ويأتي شديداً صلباً قوياً فينتج عنه الغبار الكثير، والسهيل يأتي دائماً وأبداً من الصبح إلى فترة الظهيرة، وربما بقي إلى العصر وعندها ينتهي في يومه الأول بعد شدته وصلابته، ثم يعاود القدوم في اليوم الثاني بسرعة أقل من اليوم الأول، ثم يأتي في اليوم الثالث خفيفاً جداً ويتوقف عن الحركة فتأتي الشمال، ولذا يقال (السهيلي يبحث عن شمال) ويضرب المثل في كل شيء يأتي ولا يذهب حتى يأتي شيء غيره.

- (كل أربعين قشرة) والمقصود بالأربعين هنا هو در الأربعين وهذه الأربعين تأتي في البحر وفي أيام الغوص وتسبب في إحداث الأمواج الكبيرة بفعل رياح الشمال وقشرة بمعنى شديدة ومؤذية سواء جاءت في الشتاء أو في القيظ والمثل يضرب إذا كان هناك أكثر من شخص وكل منهم شرير ولا تستطيع الاتقاء منه، فيقال: (كل أربعين قشرة).

- (الهواء غربي والماي ثبر): الثبر هو الجزر أي انحسار الماء على الشاطئ، والغربي بطبيعة الاسم الرياح القادمة من جهة الغرب، وتزداد حدتها من الشرق فتدفع السفينة الخشبية إلى الشاطئ فيبقى الرجال أو السفن واقفين في أماكنهم لا يستطيعون الحراك، فالماي ثبر والهوى غربي وهي كناية على كل أمر يأتي من غير استعداد الشخص له، فيساعد على إعاقته وتأخيره عما يريد، فمثلاً إذا أراد أحدهم السفر يعلم أنه لا بدّ أن يجتاز هضبة عالية شديدة المرتقى، وفي هذه المحنة تستقبله الرياح القوية بترابها وغبارها فيقول بلسان الحال: (الهواء غربي والماي ثبر) ■

رئيس قسم الأرشيفات التاريخية - الأرشيف الوطني

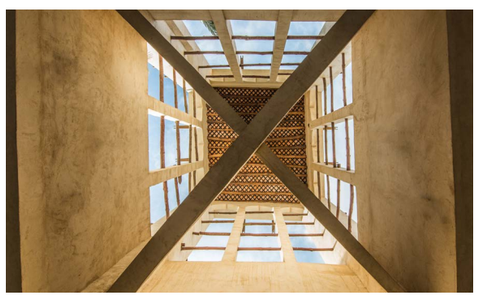

الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي

تغنّي الشُعراء بالـ «الكوس»

علي تهامي

تتفرّد المكتبة الإماراتية باحتوائها على الكثير من المؤلفات التي تتناول الموروث الشعبي الإماراتي بفنونه واتجاهاته كلها من تدوين الشعر، والأمثال، والصناعات والحرف التراثية، والعادات والتقاليد والطقوس المرتبطة بالمناسبات والحكايات الشعبية.

وقد كان لموضوع الرياح والأهوية نصيبه من تلك المؤلفات التي وضعها أدباء وباحثون إماراتيون عملوا على توثيق التراث وصونه بصوره وأشكاله كلها.

ونستعرض - هنا - أحد الكتب المهمة التي نقلت ووثّقت لنا الكثير والكثير عن الرياح والأهوية في تراث الإمارات الثقافي، وهو كتاب «الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي»، لمؤلفه الباحث والكاتب القدير فهد علي المعمري، صاحب المجهود المحمود في هذا المجال وأحد حراس التراث على أرض الإمارات.

ويتناول «المعمري» في كتابه - الصادر عن مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث - الرياح وتلك الأهوية الكثيرة والمتنوعة من حيث اتجاهاتها ووقت هبوبها، والظواهر الطبيعية المتعلقة بها، وكذلك الأسماء الكثيرة لهذه الأهوية، إضافة إلى صفة الأهوية المحلية وفقاً لدرجة سرعتها، ابتداءً من «الدوق» وهو توقّف الهواء وسكونه، وانتهاءً بـ «الصليب» وهي الشديدة، ودرجة حرارتها من البرودة إلى شدة الحرارة، ابتداءً من «الصقاوي» المتجمدة، وانتهاءً بـ «السموم» و«السهام» الحارقتين.

كما يسلط الكتاب الضوء على أهمية الرياح والأهوية في التنبؤ بكثير من الظواهر الطبيعية؛ فظهور بعض النجوم يؤكد هبوب رياح معينة، وغياب بعض النجوم يأتي برياح معينة، كما يتم من خلال الرياح الاستدلال بنضوج بعض الثمار أيضاً، لاسيما النخيل.

وفي ذلك يورد لنا الكتاب قول الشاعر المايدي بن ظاهر:

وفي أرْبَعٍ مِلْقَيـــظ وأدني له الشـــتا
وباتــت لأيــام المصِيـــف رْسُــوم
تِرَفّعَ مْرفــوع النّيَـــا من حِشايْشِـه
غُيُوب الثّريّــا يبْتـــدي بِسْمُـــوم
وبادَاه صِبـــعٍ من بِيــاضٍ وأحْمَــر
كِـــسا روس عِــوّانٍ لها وِصْـــرُوم

ولأن تلك المعارف صارت قليلة اليوم، وبات القليلون فقط يعرفون بها، فقد جاء كتاب «الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي»، لفهد علي المعمري، ليحافظ على هذه المعلومات التراثية التي تسكن صدور الرواة وكبار السن؛ ويدوّن ويوثّق هذه الدرر النفيسة.

وقد توّزعت مادة الكتاب على مدخل لدراسة الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي، وأربعة أبواب رئيسية الأول: أسماء الرياح في الإمارات، والثاني: أسماء صفات الأهوية في الإمارات، والثالث: أساليب الشعراء النبطيين والشعبيين في تناولهم الرياح في الإمارات، وهذا الباب تم تقسيمه إلى أربعة فصول فرعية هي: مخاطبة الريح في قصيدة كاملة، وذكر الرياح المختلفة في بيت واحد، أو في أبيات عدة من القصيدة، وافتتاح القصيدة بذكر الرياح، واختتام القصيدة بذكر الرياح، وأخيراً الباب الرابع وحمل عنوان: الرياح في الأمثال والكنايات الشعبية الإماراتية، وقد قسمه المؤلف إلى فصلين هما: الرياح في الأمثال الشعبية الإماراتية، والرياح في الكنايات الشعبية الإماراتية.

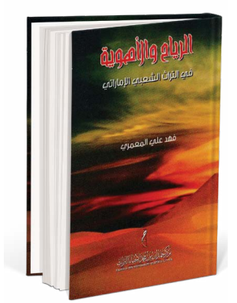

وقد حرص فهد علي المعمري، على أن يشتمل كتابه على شرحٍ للكلمات، وترجمة مختصرة لكل شاعر ورد اسمه بالكتاب، وتخريج الأبيات الشعرية، من خلال ذكر المصدر والجزء ورقم الصفحة، ثم ذيّل كتابه بفهرسٍ بأسماء الأعلام الواردة في الكتاب، وفهرسٍ ثانٍ للرياح،

وفهرس ثالث لأسماء المواضع، وفهرس رابع للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في هذا الموضوع، وفهرس خامس عام للموضوعات.

ونوّه «المعمري» في كتابه إلى أن موضوع الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي، ليس بالموضوع السهل، وأن تناوله يحتاج إلى عزيمة قوية، وصبر على تحمّل مشاق البحث واستقاء المعلومات من مظانها، وعلى رأسهم كبار السن، ورجال الغوص، والبدو الذين استوطنوا الصحراء فافترشوا الرمال والتحفوا السماء، فهؤلاء يمتلكون المعرفة بها أكثر من غيرهم، وإن كانت هناك رياح مشتركة بين دول شبه الجزيرة العربية، ورياح تشترك مع باقي الدول العربية والدول المحيطة بها جغرافياً أيضاً ضمن حزام خطوط الطول ودوائر العرض، وبيّن بأن هناك رياحاً تحمل الصفة المحلية البحتة التي أطلقها أجدادنا عليها، وأطلقوا عليها أسماء كثيرة، نسبة إلى جهة قدومها من جهة الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال، أو قدومها باتجاه النجوم مثل النّعْشي وسُهيل والنّاقة والكلوب التي تنطق بالجيم الفارسية بنقاطها الثلاث، أو هبوبها في در من الدرور فيقال رياح الستين، ورياح السبعين، ورياح الثمانين، إضافة إلى الأسماء التي قاموا هم بتسميتها مثل رياح أم عبيد، ورياح المطلعي ورياح الدّاعي.

ولفت صاحب كتاب «الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي»، الانتباه إلى أن الرياح التي باتت إحدى مصادر الطاقة في عصرنا الحديث، بقيت عاجزة عن أداء مهامها ووظائفها الكثيرة التي كانت تؤديها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولغاية ستينيات القرن الماضي من - القرن العشرين - حيث أصبحت بعد هذا التاريخ مهملة عند الكثيرين، وكأنها صفحة قد طويت، ولم يبق منها إلا الذكرى والحكايات التي تُروى على ألسنة الأجداد الذين كانوا يدركون مدى أهمية

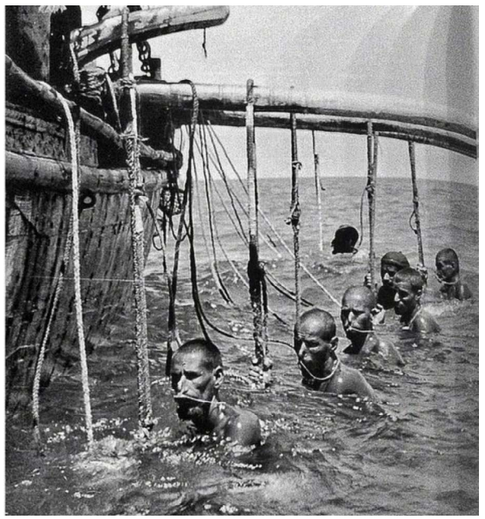

الرياح لا سيما في البحر، سواء السفر بقصد السياحة أو التجارة أو الانتقال من بلد إلى بلد آخر، إضافة إلى الحدث الأهم والأبرز في ذلك الوقت، وهو رحلات الغوص.

ووفقاً لنصوص الكتاب، فإن الحديث عن الرياح والأهوية المحلية في دولة الإمارات العربية المتحدة، هو حديث ذو شجون يلقي الضوء على مدى أهميتها واهتمام الأهالي بها ومعرفة أسمائها وأوصافها واتجاهاتها وتاريخ هبوبها، وهذه المعارف تساعدهم على تأدية أعمالهم وفق هذه الأهوية، وخاصة الأعمال والنشاطات البحرية المختلفة من خلال السفر والتجارة وصيد الأسماك، إضافة إلى رحلات الغوص التي كانت تشكل الهاجس الأكبر لهم، والأمر ذاته ينطبق على أهل الجبال والصحراء؛ فالمعرفة يجب أن تكون قائمة للجميع إذا أمكن الأمر، لذا اكتسبت تلك الرياح والأهوية المحلية بعضاً من الخصوصية، وفقاً للخصائص الجغرافية التي تتميز بها عن غيرها من الرياح والأهوية الأخرى، فمنها الأهوية البحرية، مثل: رياح «السِيهِيَاني»، و«الخيّاي»، ورياح «الناعر». وكذلك الرياح البرية، مثل: رياح «نسيم البحر» ورياح «السهام»، إضافة إلى الأهوية المشتركة والتي تأتي في البحر والبر، ومنها الهواء الأشهر في دولة الإمارات العربية المتحدة وهو «الكوس»، الذي تغنى به شعراء الإمارات كثيراً في أشعارهم، فمنهم المرحّب به، ومنهم المشتكي منه، ومنهم من ينتدبه إلى أصحابه وأصدقائه وأحبائه. ويستحضر فهد علي المعمري من خلال صفحات كتابه، صوراً من الماضي، وأزمنة لم تكن المدنية الحديثة والحضارة قد ألقت بظلالها على دولة الإمارات العربية المتحدة، ولم تمتد يد النفط بعد إلى جسد الدولة، حيث كان الأهالي يعتمدون على المقومات والمعطيات الموجودة، وأكثرها كان بدائياً، ففي المنازل كان الاعتماد على الرياح في خفض درجات الحرارة الملتهبة لا سيما في فصل الصيف - القيظ - فكان «البارجيل» أحد الاختراعات التي تساعد على تبريد المنازل، كما أن البحر أخذ النصيب الأوفر من الاهتمام بالأهوية المحلية، نظراً إلى السفن الخشبية القديمة التي تعتمد اعتماداً كلياً على الأهوية من خلال الشراع، فانعدام الوسائل المدنية الحديثة مثل المكائن والبترول أجبرت البحارين على تتبع هذه الأهوية واستغلالها الاستغلال الأمثل لإنجاح رحلة البحر مهما كان القصد من هذه الرحلة، لذا كانوا يدركون أهمية بعض الأهوية، مثل: «الأَزْيَبْ»، و«البَرَصَات»، و«الخيّاي»، وكم احتفظت ذاكرتهم بالكثير من الحكايات التي تركتها لهم هذه الأهوية. ويوضح الكتاب مدى أهمية تلك المكانة للرياح وعلاقتها في التراث الوطني المحلي للدولة، من خلال القصائد الكثيرة التي صدح بها شعراء الإمارات في هذه الأهوية والأمثال التي خلفتها الأهوية على ألسنتهم، إضافة إلى الحكايات والروايات التي تتناقلها الأجيال من الآباء والأجداد لتبقى حاضرة في حياة الأبناء والأحفاد. وبحسب صفحات الكتاب، فإنه ومن خلال التوثيق والتدوين الكتابي والسمعي والرواية الشفهية، أصبحت الرياح والأهوية المحلية تاريخاً أدبياً وثقافياً وسياسياً يكشف الكثير من صفحات حياة الأجداد، وينير طريقاً ربما كان مظلماً حالك السواد لولا تدوينه من قبلهم ليصبح اليوم منار علم للدارسين ومداد أقلام للكاتبين، كما أن التراث الوطني أصبح اليوم علماً من العلوم التي أخذت نصيبها من التعليم في المراحل التعليمة كافة، لاسيما الجامعات، كما نوقشت في التراث الوطني العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه للباحثين بدراسة التراث الوطني بآثاره وفنونه ونقوشه ومروياته الشفاهية ومدوناته الكتابية كلها، ومن ثم تتميز كل دولة بتراثها الوطني وتعرف به عن غيرها من الأمم ■

إعلامي مصري

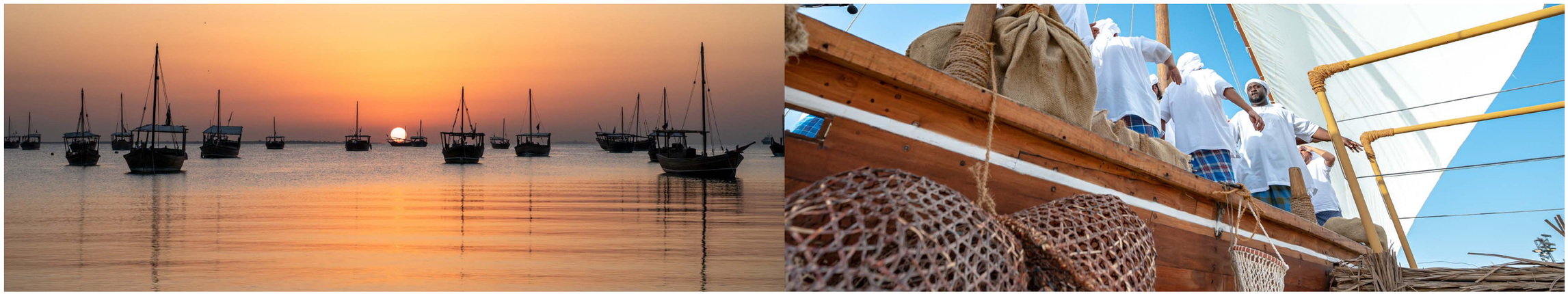

الأهوية والرياح في ذاكرة الأولين

مريم سلطان المزروعي

استفاد الإنسان من الرياح التي سخرها الله له في تلبية العديد من المهام، فالرياح لها أهمية وفوائد عديدة كالمحافظة على البيئة من التلوث باعتبارها مصدراً للوقود وبالتالي توفير التكلفة المادية. وللرياح تاريخاً طويلاً ارتبط بالإنسان، فلقد استطاع أن يستفيد من طاقتها في الحركة أي تحريك القوارب، والري الزراعي منذ 5000 عام قبل الميلاد وتحديداً في مصر القديمة، وفي الصين استُخدمت مضخات بسيطة الصنع تعمل بطاقة الرياح في ضخ المياه للاستعمالات الزراعية كافة. وفي أوروبا استخدمت في تصريف الأنهار والبحيرات والمستنقعات وتنقيتها. يذكر هيبولوس البحّار والملاح الروماني، الذي أبحر عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي عام 47م تقريباً، كيف حدد طريقة مسلك السفينة طوال رحلته وصولاً إلى الهند، وكيف أنه استفاد واستعان بمهارات العرب والفرس والهنود في معرفة مجاري الرياح الموسمية التي تَعين على الإبحار بسهولة إلى الهند عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، فهؤلاء هم على دراية بطريقة الإبحار إلى الهند بالاعتماد على الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، والرياح الموسمية الجنوبية الغربية وارتباطها بالنجوم ومغاربيها وطوالعها.

وللرياح في دولة الإمارات العربية المتحدة تاريخ ودور مهم في حياة الإنسان، ومعرفته لها كانت وسيلة لتسهيل أموره في الحياة منذ القدم، فقد عرف أوقات الرياح ومواسمها في البيئات المختلفة كالبيئة الصحراوية والبيئة البحرية باعتبار البحر هو المصدر الأساسي في فترة من تلك الفترات السابقة، فهي توجه حركته واتجاهه ونشاطه، وكان الصيادون يتابعون حركة الهوا حتى يستطيعوا الدخول إلى البحر. ويقصد بلفظة «الهوا» في اللهجة المحلية الإماراتية «الرياح»، والتي تختلف مسمياتها باختلاف سرعتها واتجاهها، فهي إما تسهل رحلتهم وإما تجعلها صعبة وتكون سبباً في هلاك السفينة بمن فيها، لذلك لابد لقائد السفينة من أن يكون خبيراً وملماً بالرياح ومواسمها، وبحركة الأمواج وارتفاعها، فقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. يقول أحد الرواة: «الهواء له دور في تحريك المركب بسرعات مختلفة والعكس إذا كان الهواء ضعيف لا يتحرك القارب، ويعتمد على الرجال في عملية التجديف والحركة تكون أقل من حركة الرياح، فمثلاً في «اللفح» وهي طريقة من طرق الصيد، تعتمد على الرياح، لكن في إلقاء الخيط في البحر يعتمدون فيها على قوتهم الجسدية. كما أن هبوب الرياح تختلف بناءً على التضاريس الموجودة في كل إمارة، من حيث اتجاهها وسرعتها، وعادة الرياح تكون قوية وشديدة في الشتاء، ومصحوبة بسحب وبرق ورعد ومطر، بينما في الصيف يطلق عليها «رياح البارح»، وهي رياح شمالية موسمية تهب من الشمال إلى الجنوب، وتبدأ في شهر يونيو وتستمر تقريباً أربعين يوماً، كما أنها في الفترة الأولى تكون قوية ليلاً ونهاراً وبعدها قوية في النهار وخفيفة في الليل، والموج يكون عالياً مع الرياح القوية، وينخفض ارتفاع الموج مع هدوء الهوا» (الرياح)؛ لذلك يقول الأولون: «هوا الصيف إذا طاح، هدأت قوته، طاحت الموجة معاه»، لذلك كان النواخذة يسيرون في الليل في تلك الفترة، من دون خوف من قوة الرياح أو علو الموج وفي فصل (لصفري)؛ أي الخريف الذي يبدأ بشهر سبتمبر ويكون الجو لطيفاً، ولكن بداية أكتوبر يحذر أهل البحر من السفر؛ خوفاً من «الليحمر»، الذي يسبب خسائر وزوابع، والمسميات كثيرة ومنها: رياح الكوس، رياح الثريا، الرايحة أو الروايح، رياح السهيلي، ورياح الشمال،...». ويذكر المرحوم خميس بن زعل الرميثي في إحدى مقابلاته: «حينما يضرب «الأحيمر» ضربته ويمضي، يدخل علينا موسم جديد اسمه «المربعانية»، ويسميه بعضهم الربيع، وهو الخريف في الفصول الأربعة»، و«الأحيمر» رياح قوية تؤثر على البحر والبر ويصاحبها أمواج عاتية في البحر. والرياح ارتبطت بحسابات الدرور التي هي جزء مهم من تراثنا، وبدأ اليوم يخفت ضوؤه؛ فلم يعد يذكره إلا القليل من كبار السن وبعض من الشباب ممن تعلم على يد والده وأجداده، وإذا جئنا إلى طريقة حساب الدرور فهي تعتمد على حسابات «نجم سهيل»، حيث تتكون السنة من ثلاث مجموعات: وكل مجموعة مقسمة إلى عشرة أيام وكل عشرة لها صفات مشتركة من حيث: درجة الحرارة أو الرياح وبدايات التغير في المواسم وغير ذلك، و«الدر» يعرف بالرياح التي تأتي فيه، والتي تأتي بعد خمسة أيام من بدايته أو في آخره، ويعرفونها بالخبرة والتجارب؛ فمثلاً بمعرفة ارتفاع الموج، على الرغم من عدم وجود رياح، ويعرفون أنّ هناك رياحاً قويةً قادمةً، ويعرفون مقدم الهوا من السحب والغبار أيضاً؛ فأحياناً يكون الجو مغبراً، على الرغم من عدم وجود رياح؛ وهذا معناه أنّ هناك رياحاً قوية آتية، وهذه بيّنات لهبوب الرياح القوية؛ حتى يأخذ الناس حذرهم وخاصةً في

البحر. وهناك علاقة قوية ومتداخلة ما بين حسابات الدرور بالبحر، فلابد لأهل البحر من معرفة تامة بحسابات الدرور، ولابد من خبرة؛ فمعرفتها توفر السلامة، والاستهانة بها يعرض البحّارة للخطر، وهناك العديد من حالات الغرق التي تعرضت لها السفن والمراكب في عرض البحر، نتيجة إهمال وعدم معرفة النواخذة بحسابات الدرور. وفي كتاب (نبراس من التراث، تأليف: حمدي نصر): البحارة يخرجون إلى البحر بأمان، دون خوف في «عشر لصفري» و«عشرين لصفري»، لكن في «شمل الثلاثين والأربعين»، أي الرياح الشمالية التي تأتي في الثلاثين والأربعين، تكون خشنة وقوية، ولا بد فيها من البحث عن بندر أو بنيدر والمقصود بالبندر المرفأ، وأخشن رياح «شمل الثمانين»؛ فهي قوية جداً وخطرة، وقد تسبب حوادث غرق كثيرة؛ وحينما تضرب لا بد أن يبحث البحارة عن بندر عود أي ميناء كبير الحجم لترسو سفينتهم، وإنزال الشراع والدقل (الساري) وربط السفينة بالحبال اتقاء لأخطارها وحتى لايصيبها الأذى، وخوفاً من قوتها وأضرارها، فهم لا يخرجون إلى البحر في عمل أو سفر حتى تهدأ، يقول الشاعر:

مـــــــا يتوفـــــق مديـــــــدي
فـــي ســـــبع نعايـــــات
نلـــــت السعـــــادة بيـــــدي
يلـــــــه مـــع لحرمـــــــات

و«المديدي» المقصود به: المد، أي رحلات الغوص؛ أي إنّ رحلات الغوص تكون صعبة إلى حد ما في أيام (السبع نعايات)، والشاعر فضل عدم الخروج فيهم للغوص خوفاً منهم، واختار الراحة والسعادة مع أهل بيته، بدلاً من كد وتعب الغوص في هذه الأيام الصعبة؛ فالخوف من (السبع نعايات)، يجعل البحّارة يخافون ويتركون البحر والغوص، على الرغم من أنه مصدر رزقهم، لكن بعضهم بالإضافة إلى المعاناة، يذهبون إلى الغوص والعمل لحاجتهم إلى المال. وعند سؤال أحد الرواة ذكر: «الياه» وهذا نجم ارتبط بالريح الباردة التي تهب من الشمال، وهو نجم شمالي لامع، من لآلئ الأفلاك التي تبزغ في ستارة الليل السرمدي، فقد كان أهلنا القدماء يستدلون بنجم «الياه» لتحديد الاتجاهات الرئيسية والفرعية أثناء حلهم وترحالهم، وكان بزوغ «الياه» يحمل لهم تباشير الخير، ومزيجاً آخر من المشاعر؛ حيث ارتبطت الريح الباردة به حتى اسمه ومعناه «الياهي»، ويذكر الباحث جمعة بن ثالث: «الرياح المحلية لها أسماء عدة على حسب الاتجاهات وعلى حسب فصول السنة سواء كانت الرياح صيفية أو الرياح شتوية، وإذا جئنا للشمال الغربي، نقول: الغربي يهب في القيظ أي الصيف وليس في فصل الشتاء، ورياح الشمال تعتبر من الرياح الشتوية الباردة ومن أهم أنواع الرياح التي تهب علينا وعلى الخليج العربي، وهناك أيضاً: الرياح الداعي والبحري والكوس والنعشي

ومطلعي.. ، وهكذا ولا ننسى العقربي والياهي وهذه مسميات ارتبط اسمها بالنجوم، فالعقربي جاء من نجم العقرب. ومن صفات السهيلي بأنها تثير الغبار وخاصة في فصل الشتاء وتعمل على جلب السحب المحملة بالأمطار، وتعتبر عاملاً رئيسياً تقوم به من جهة الجنوب الغربي ولها مواسم، ونحن أكثر ما يمر علينا في فترة الشتاء الرياح الشتوية التي تأتي من جهة الشمال الغربي أو الشمال الشرقي، وغالباً ما تكون محملة بالسحب والأمطار، وطبعا الرياح الشمالية الغربية تنشط على جلب السحب وحقنها في الربع الخالي ومن ثم تقوم الرياح السهيلي بجلب هذه على دولتنا، ويقول الشاعر:

حـــــــي بشرتـــــــــا الـــــسواري
لـــــــي مطلعـــــــه مـــن اليـــــــاه
لـــــــي يـــــا وقـــــت السحـــــاري
وارقنـــــــي مـــــــن هـــــــواه
قلـــــــي طـــــرى لـــــه طـــــاري
وذكرنـــــــي بصحبـــــــــاه
باللـــــــــــــه مانـــــــي داري
إيـــــــش العمـــــــل ويـــــاه

وحالياً دولة الإمارات العربية المتحدة تسعى للاستفادة من هذه الطاقة، وعليه قامت ببناء أول توربين يعمل بالرياح لتوليد الكهرباء في جزيرة صير بني ياس، بحيث تعتمد الجزيرة على مصادر طاقة بديلة مستقبلاً لتأمين حاجاتها من الطاقة وبشكل مستدام وتعتبر هذه المحطة في الجزيرة من أولى محطات طاقة الرياح التي تولد كهرباء بقدرة إنتاجية تبلغ 103.5 ميغاواط في دولة الإمارات العربية المتحدة والخليج في عام 2004. ووقّعت كذلك شركة مياه وكهرباء الإمارات مع شركة أبوظبي لطاقة المستقبل «مصدر» على اتفاقية شراء الطاقة المولدة من البرنامج الأول من نوعه لطاقة الرياح على مستوى المرافق الخدمية في الإمارات. وفي هذا العام 2023 جاء في مؤتمر الأطراف «COP28» المنعقد في إكسبو دبي استعراض جهود ومبادرات الجهات المحلية في العمل المناخي ومن أهم هذه الأهداف الاعتماد على الطاقة المتجددة مثل: الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، وتطوير تقنيات جديدة أيضاً ■

باحثة من الإمارات

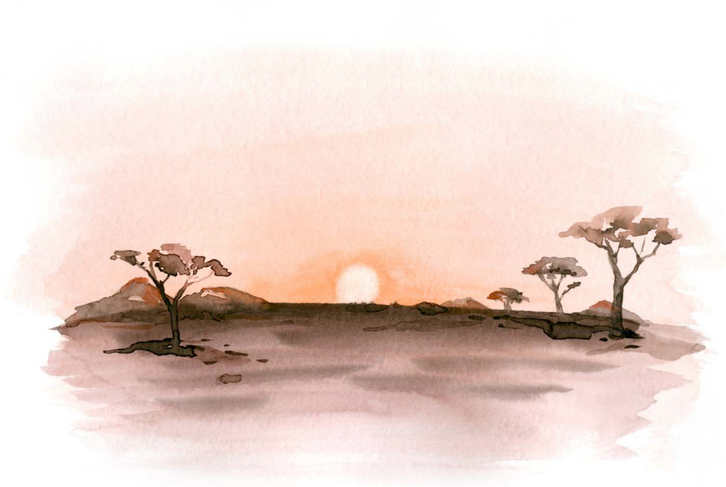

للأهواء في كل بلد أسماء محلية

محمد حسن الحربي

ثمة فرق بين كلمتي الهواء والهوى، كتابة ومعنى. وهناك فرق بين كلمتي الريح والرياح أيضاً، من حيث المعنى. والمسألة كلها لا علاقة لها بصيغة (المفرد أو الجمع)، ولا بطريقة حروف الكلمة، بقدر ما لها علاقة بمكان الكلمة في الجملة، وطريقة استخدامها في السياق. الجملة والسياق، نعم. هما الأهم في الكتابة على اختلاف أنواعها. وبات من المعلوم للمهتمين جميعاً، أن للكلمة لها معنى محدداً، وهي ضمن السياق، ويتغيّر معنى الكلمة إذا ما خرجت من السياق. أي إذا تم اجتزاؤها منه.

الهوى غير الهواء

إن (الهوى)، لكي نقف على معناه من دون إسهاب في الشرح، نلجأ إلى قصائد الشعراء؛ فالهوى عندهم ليس هو الهواء الذي نعرفه، ونتنفّسه. بصرف النظر عما إذا جاء عليلاً مساءً أو فجراً، أو إذا جاء نذيراً في شكل زوابع، سريعة شديدة، تقتلع الشجر والحجر، وتدمّر كل شيء في طريقها.

وقد نقرأ ونسمع في قول الشعراء الكثير في هذا البعد؛ فأحد شعراء النبط من جزيرة العرب، يقال له الشريف جري الجنوبي، ينصح صاحبه تجنب صعود المرقاب أو الرجم - المكان المرتفع من الأرض - لئلا يلقى من (الهوى) تباريح لا يحتملها. يقول الشريف لصاحبه:

(لا تشرف المرقاب يلعب بك الهـوى
يذكرك المرقاب يا صاحبي بالخليل)

قبل أن نبسط فحوى النصحية التي أراد بها الشاعر بأن يمتثل لها صاحبه وصديقه. لنعرّف ما هو المرقاب المعروف غالباً في الأماكن الفضاء، أي قليلة المساكن، أو المأهولة بلا كثافة. كالصحراء على سبيل المثال، أو بعض القرى على أطراف المدن.

المرقاب، هو المكان المرتفع من الأرض كما يعلم الجميع، لكن بعضهم يطلق عليه (الرجم) بتسكين الميم. وثمة من يطلق على المرقاب، اسم الرجْم. وثمة من يقول إن هناك فرقاً بين المرقاب والرجم؛ المرقاب تكوّنه الطبيعة، أما الرجم فللإنسان يد فيه. لكنهما - المرقاب والرجم - يشتركان بالارتفاع عن مستوى الأرض، ومن يرقى أحدهما يرى الأشياء، حتى البعيدة منها، على نحو أوضح.

الذكرى مشنقة العاشق

قصد الشاعر في هذا البيت من الشعر، أن ينصح صاحبه، ألا يصعد المرقاب، خوفاً من الذكرى، تلك التي أشبه ما تكون بمشنقة للعشاق المتيمين؛ فمن يصعد المرقاب أو الرجم، ويتنفس تلك النسمات العليلة الباردة، عند المساء أو الفجر، في الصيف تحديداً، يتذكر (هواه) أي محبوبته. وتكر سبحة الذكريات والأماكن والأحاديث والضحكات وأجزاء القلب الصغيرة. شحنة عاطفية بهذا القدر من الوزن، قد لا يتحملها قلب العاشق الذي أوهنه الفراق مضافةً إليه هموم الحياة. وذكريات الغرام منها بعضها لا يرمّ، فهي تبقى حية كما الجمر تحت الرماد، أو تبقى كالطلول - بقايا المساكن - أو كما وصفها طرفة بن العبد في معلقته:

(لخولـــة أطـــلالٍ ببرقة ثهمـد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)

برقة ثهمد، مكان.

ولمعرفة المزيد عن الهوى لدى الشعراء - الفصيح منهم والنبطي - هناك شيء من هذا لدى الشاعر أبو فراس الحمداني. بيت من الشعر في هذا المعنى. يقول:

(ما كل من دخـل الهوى، عرف الهـوى
ولا كـل مـن قرأ الكتـــابَ، فهـيمُ)

وقد ورد (الهوى) واضحاً، في ذكره ومعناه، في بيت للشاعر نفسه، طرفة بن العبد، يقول فيه:

(وأمرُّما لـقيت مـن ألـم الهـوى
قربُ الـحبيب ومـا إليـه وصـولُ
كالعـيسِ في البيـداء يقتلُها الظمـأ
والمـاء فـوق ظهورهـا محمـولُ).

والعيس هي الإبل. الماء المحمول، ذلك المخزون في أسنمة الإبل - مُفردها سنام. لكن ماذا عن الأهوية، ومفردها هواء؟

هواء الصحارى يرسم الخضرة

المرقاب ذاته، الذي مررنا على ذكره آنفاً، يأخذ معنى آخر لدى ابن البادية؛ حيث رؤيته للمرقاب تختلف عن رؤية الشعراء له، بل إن للمرتفع هنا في الصحراء مهمة، لها تأثيراتها على حياة الفرد فيها، وحياة قبيلته، خاصة في فصل الربيع، ذاك الذي يأتي بخير كثير بالنسبة إليهم، أجمله يكون بعد شتاء سخيٍّ بالغيث.

يقول أحد البدو من أهلنا الطيبين: (نحن في الصحراء دائماً ما نفرح بهبوب الهواء - الرياح - ونتوقعه بفارغ الصبر بين الحين والآخر في اليوم الواحد، لحاجتنا الماسة إليه؛ فالرياح تنقل لنا البذور من المنخفضات إلى المرتفعات، أي من الأرض الواطئة المنبسطة إلى المراقيب العالية - الحيود - والهضاب، ثم تنشرها في الأنحاء، لتتجمّل بها الأرض وقت الربيع. نكتشف هذا بعد شتاء مطير، ثقيل سحابه ويكون ممتلئاً بالماء، فتحيا الأرض بعد يباسها، وتخضر وتزهر، وتمنحنا خيرات مختلف ألوانها، ومتعددة فوائدها. لنا ولأنعامنا، والهوام الأخرى على اختلافها.

ويضيف البدوي: إن هبوب الرياح في الصحراء لها مواعيد - مواقيت - فهي غالباً ما تهبُ في أشهر ثلاثة محدودات من العام، هي يناير وفبراير ومارس. ثم يتقفاها فصل الربيع، الذي يكون في شهر إبريل. (فلله الفضلُ والمنّة).. يقولها بينما ترنو عيناه إلى السماء، يرقب السحب في انتقالاتها.

إن وجود البدو في الصحراء، بعيداً عن ملهيات الحياة العصرية

في المدن الضَّاجة بالحركة، يدفعه ذلك إلى الحرص على عرى العلاقة بالسماء، ونجومها، وسحبها، وتقلباتها. يدفعه حاله كتلك إلى الوفاء للسماء وفهم إشاراتها، في القحط كما في سنوات الخير والازدهار. لكن هل للهواء أنواع وأسماء؟ نعم.

أسماء الهواء وأنواعه

إن الهواء الذي يهب علينا من جهات الدنيا الأربع، متخذاً سرعات وأشكالاً مختلفة، قسّمه بعض العلماء المتخصصين إلى نوعين رئيسيين: الأول سلبي، ويأتي في صيغة المفرد (الريح). والثاني إيجابي، ويرد في صيغة الجمع (الرياح). ما يجعل هناك فرقاً بين الريح والرياح من حيث الفعل على الأرض. وإذا ما احتجنا إلى أمثلة، فليس لنا من كتاب سوى اللجوء إلى كتاب الكتب، القرآن الكريم، ليسعفنا بذلك، تدليلاً على ما ذهب إليه أولئك العلماء المجتهدين في سياق (الريح والرياح) من مقاصد. لكن في الأحوال كلها، يظل السياق هو الحكم في الموضوعات اللغوية والاجتهاد فيها؛ إذ نجد بأن النوعين المذكورين من الهواء، قد ورد ذكرهما في القرآن الكريم بوضوح؛ فـ(الريح) جاءت في سياق الغضب والانتقام والعقوبة. قال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). فصلت - الآية 16. أما (الرياح) التي تأتي بصيغة الجمع؛ فوردت في سياق الخصب والخير والنجاة. قال تعالى في محكم كتابه: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ). الحجر- الآية 22.

الصبا.. رياح خير ونصر

الصبا، اسم لرياح عند العرب. ويعرّفونها بأنها رياح معتدلة، تهب من المشرق. وهي رياح معروفة كإحدى أمهات الرياح الأربع: رياح الشمال، ورياح الجنوب، ورياح الصبا، ورياح الدبور.

وسمّاها العرب بـ(الصبا) لطيب ريحها؛ فهي لينة ورقيقة. وفي رواية متواترة، هي (تصبو) وتحن إلى الكعبة المشرفة؛ فقد أتى عليها الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام. بقوله: (نُصرتُ بالصّبا. وأُهلكت عادُ بالدّبور). سنأتي على ريح الدبور في موطن لاحق.

أما وقت هبوب رياح الصبا، فهو السحر. أول النهار. فتهب من ناحية الشرق متجهة غرباً. معتدلة. تميل إلى البرودة المحتملة، كونها تمر على مواضع قد برُدت خلال ساعات الليل. وتستمر لفترة قصيرة على رقتها وبرودتها، ليبدأ بعدها شعاع الشمس بتسخين سطح الأرض. ورياح الصبا، أجاز الحجازيون لأنفسهم تسميتها بـ(الرياح المحليّة)، بعد أن رصدوها، وتعرفوا عليها وألفوا هبوبها. ثم جاء مدح الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام، لها، فزاد من مشاعر حبها لدى الحجازيين أكثر من غيرهم من السكان أو الشعوب. وقيل في أكثر من رواية، بأن ريح الصبا هي الريح التي سخرها الله لنبينا سليمان، عليه السلام. بقوله تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ). ص - الآية 36.

الصبا تهب، في جزيرة العرب، من الشرق، من نجد باتجاه منطقة الحجاز وتهامة في الغرب. علمياً، تهب من مناطق ضغط مرتفعة، نزولاً إلى مناطق ضغط منخفضة. وهذه الرياح معشوقة من الناس ممن عرفوها، وذكرها متواتر لدى شعوب الجزيرة العربية، كرسها في الوجدان الجمعي الأدبيات الدينية

إضافة إلى بقية الآداب، والشعر منها تحديداً. ورغم ذلك، فإنها تواجه في طريقها من نجد إلى الحجاز، ساتراً من الجبال - جبال الحجاز - فلا تجد بداً من الاندفاع عبرها؛ حيث تكسبها مماراتها الضيقة والمتعرجة سرعة زائدة، ما يجعلها، بعد أن تتجاوز الجبال متجهة صوب البحر الأحمر، أن تثير الغبار معها

أما ريح الدبور، التي أُهلك بها قوم عاد، كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهي عكس الصبا، تعاكسها في اتجاه هبوبها؛ فرياح الصبا تهب من الشرق متجهة إلى الغرب، أما ريح الدبور فتهب من الغرب متجهة إلى الشرق. ووقتها أول الليل، وتعتبر أشد من رياح الصبا. وتواترت الروايات بأنها ريح الهلاك والعذاب. لكنها تنقطع سريعاً أثناء الليل.

الرياح.. أنواعها ثمانية

ذكر الله سبحانه وتعالى العديد من أسماء الرياح، في مواضع شتى من القرآن الكريم، منها: الصرصر، والحاصب، والمرسلات، والذاريات، واللواقح - التي كنا جئنا على ذكرها آنفاً - لكن يتعيّن علينا فهم أن الرياح - علمياً - هي الكتل الهوائية التي تنتقل من مكان إلى آخر، بفعل قوى ضاغطة مرتفعة ومنخفضة، متمركزة في أماكن معينة يعرفها العلماء المتخصصون، منها ما يتمركز فوق المحيطات. وعلينا أن نفهم بأن للرياح أنواعاً ثمانية، كما قال ابن عمر. أربعة منها رحمة، وأربعة عذاب. فأما أرياح الرحمة فهي: الناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات. وأما أرياح العذاب فهي: العقيم، والصرصر (وهما في البر). والعاصف والقاصف (وهما في البحر). على أن كل بلد من بلدان العالم، لديه أسماء محلية خاصة به للأرياح على اختلافها. وله كذلك قصص وروايات حولها، جرى نسجها على مدى حقب زمنية عديدة، وتمّ البناء عليها في المنحى الأدبي والفني، خاصة في الفنون الشعبية الفولكلورية ■

إعلامي وكاتب صحفي

ديوان العرب يحفظ أسماء الرياح

أنْسنةُ الريح تقنية فنية في الشعر النبطي

الأمير كمال فرج

واجه الإنسان القديم تحدياتٍ كثيرة منها الظواهر الطبيعية، كالأمطار والعواصف والزلازل، حيث كان صراع البقاء يحتّم عليه مواجهة هذه الظواهر الجبّارة ليحمي نفسه من الخطر، حتى تمكّن أخيراً من مجاراة الطبيعة وترويضها وتطويعها لخدمته. كانت الرياح في العصور القديمة قوّة خفية غامضة، تتحكم في مصائر الناس، فتمنحهم الحياة عند اللطف، وتأخذها عند الغضب، وهو ما رفعها إلى درجة التقديس، لذلك سمّى الإغريقيون «بورياس» إله الريح، واعتقد اليابانيون القدماء أن الرياح تحمل روحاً قوية، تتحكم فيها الآلهة[1].

واستحوذت الرياح على اهتمام خاص عند العربي القديم، حيث كانت المحرك للعديد من الظواهر الأخرى، فهي تتحكّم في درجة الحرارة والمطر والزراعة والتجارة وحركة السفن، وتحدد سير المعارك. ولفظة «الريح» في اللغة مشتقة من فعل «رَوَحَ»، دلالة على السعة والفسحة، وأوردت القواميس أكثر من عشرين اسماً لها، منها ريحُ الشَّمال، وريحٌ دوَّاميَّة، والرِّيح التِّجاريَّة، والرِّيح الخفيفة، والرِّيح الخلفيّة، والرِّيح الموسميّة»[2].

ولم تحصر اللغة المموسقة «الرياح» في معناها المحدد، ولكنها فتحت له مجالاً واسعاً للاستعارة والمجاز، من ذلك القول «ذهَب عملُه أدراجَ الرِّياح: أي ضاع جُهده عبثاً ودون فائدة وبلا نتيجة»، و«هبَّت ريحُه: أي جرى أمره على ما يريد»[3].

ورغم القوة التي كانت تمثلها الرياح والمستمدة من الغيب، ظلت وفق علم الأرصاد الجوية من الظواهر الطبيعية الكثيرة التي يمتلئ بها الكون، حتى جاء الشعر بمخيلته الواسعة، فمنح هذه اللفظة المحددة أبعاداً كثيرة، واحتمالات لا نهائية من التأويل.

الرياح في القرآن الكريم

القرآن الكريم ليس مرجعاً دينياً للمسلمين فقط، ولكنه مرجع لغوي أيضاً، وورد لفظ «الرياح» في كتاب الله تعالى 10 مرات، أما لفظ «الريح» فورد 18 مرة، و«قال عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو: الرِّيَاحُ ثَمَانِيَةٌ، أَرْبَعَةٌ مِنْهَا رَحْمَةٌ، وَأَرْبَعَةٌ عَذَابٌ، فَأَمَّا الرَّحْمَةُ فَهي: النَّاشِرَاتُ وَالْمُبَشِّرَاتُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَالذَّارِيَاتُ. وَأَمَّا الْعَذَابُ فَلها أربعة أيضاً منها: الْعَقِيمُ وَالصَّرْصَرُ، وَهُمَا فِي الْبَرِّ، وَالْعَاصِفُ وَالْقَاصِفُ، وَهُمَا فِي الْبَحْرِ»، و«قال المفسرون، إن «الرياح» تأتي في موضع الرحمة، و«الريح» تأتي في موضع العذاب»[4].

الشعر حافظ اللغة

عُرف الشعر بأنه ديوان العرب، لأنه جمع عاداتهم وتقاليدهم، وقدّم صورة واقعية تاريخية للحياة الاجتماعية القديمة بكل ما تتضمن من تفاصيل وأسماء وبلدان ومناطق جغرافية، ولم يكتفِ الشعر بذلك فقط، بل كان مخزناً لغوياً جمع الأسماء أيضاً، وحافظ عليها من الضياع على مرّ العصور، ولعل ذلك هو ما جعله أحد المصادر الرئيسية للمعاجم اللغوية العربية. و«اللغة العربية غنية بأسماء الريح وصفاتها، وما يتصل بها، وقد ورد في قصائد شعراء الجاهلية 105 أسماء لها، منها: الآبدة، الداهية، الإعصار، الأبارية، الإقلابية، الأوب، الأوور، البارح، البليل، الثاقب، الجائلة، الجارية، الجافلة، الجربياء،

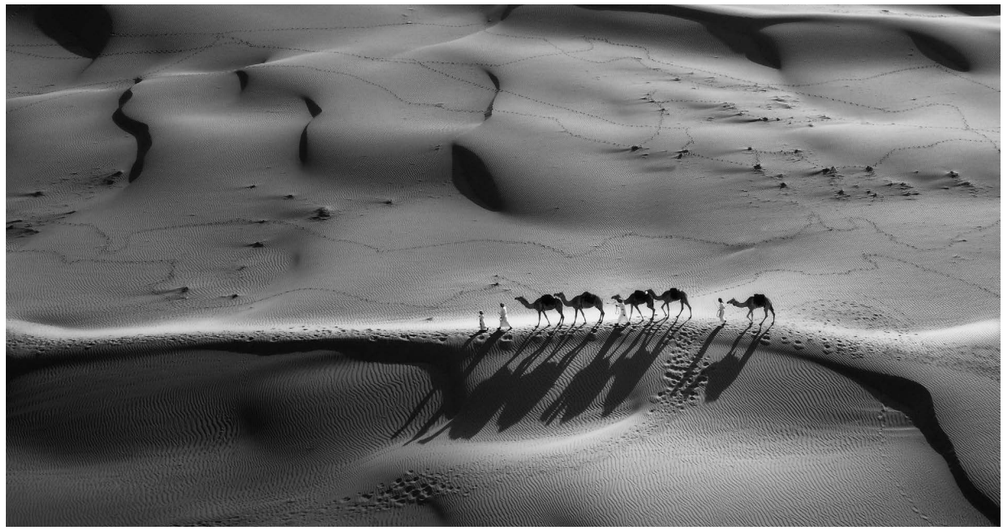

الجنوب، الجهول، والجو، الحاسة، الحاصبة، الحرجف، الحرّ، الحصاء، الحنون، الخافقة، الخجوج، الخروق، الخزرج، الخوارة، الدافنة، الدّبور، الدّروج، الدّارية، الردّاد، الرامسة، الرّخاء، الرعبلة، الزافية، الزجول، الزحوف، الزعزع، الزفزف، السائمة، السافعة، السافية، الساهكة، السفسافة، السموم، السّهام، السهو، الشفيف، الشمال.. وغيرها»[5].

وقد اشتُقت أسماء الرياح وفق دوافع مختلفة، فمثلاً «الرّايْحِة» كانت تأتي مضمخة بالروائح، و«السِّهيلي» نسبة إلى نجم سهيل الذي يطلع من جهة الجنوب الغربي، و«الشِّمال» وتأتي من جهة الشمال، و«الْغَرْبِي» لأنها ريح تأتي من الغرب، و«السموم» لأنها رياح قوية عاتية تحمل الأتربة في الهواء وتسبب أضراراً كبيرة، ورياح الخماسين وهي رياح جافة وحارة تأتي محملة بآلاف الأطنان من الرمال، سُميت بذلك لأنها تنشط في شهر إبريل، أي بعد خمسين يوماً من الدخول في فصل الرّبيع.

ولا شك أن تعدد أسماء الرياح وأوصافها والطبيعة الخاصة لكل منها يؤكد ثراء اللغة العربية، التي تتميز بالتنوع والدقة والتخصيص، وهو ما جعلها أفضل لغات التعبير الإنسانية.

ولأن الشاعر ابن بيئته، كان من الطبيعي أن يستلهم من كل ما فيها من مظاهر طبيعية، مثل: الرياح والأمطار والرعود والعواصف والفلك، لذلك حفل الشعر العربي بالحديث عن الطبيعة التي تعدى دورها من مادة للوصف إلى التعبير في كثير من الأحيان عن ذات الشاعر، وخياله التعبيري، وفي حالات كثيرة قامت الطبيعة بدور البطل في حكاية القصيدة.

الرياح في الشعر العربي

وردت كلمة «الرياح» كثيراً في الشعر العربي، وتعددت المواضع التي وردت فيها، وفقاً للموضوع والحالة النفسية، وأسلوب الشاعر الإبداعي، فقد تأتي الرياح في الشعر كعامل سلبي، ومن ذلك قول عنترة بن شداد بعد أن رأى منزل محبوبته وقد طمست ملامحه الرياح:

«لِمَـــن طَلَلٌ بِوادي الرَمـلِ بالـي
مَحَـــت آثـــارَهُ ريـــحُ الشَمـــالِ
وقفـتُ به ودمعـــي من جفونـــي
يفيـــض على مغانيـــه الخوالي»[6]

وقد تأتي كعامل إيجابي، كما وردت في بيت قيس بن ذريح الذي قال: إن الرياح الآتية من ديار الحبيبة تجلب الروائح الطيبة، يقول:

«كَأَنَّ هُبوبَ الريحِ مِن نَحوِ أَرضِكُـم
يُثيرُ فُتاتَ المِسكِ وَالعَنبَرَ النَدي»[7]

ورمزت الرياح في الجاهلية إلى مكارم الأخلاق وإكرام الضيف، وكان من أكثر الناس كرماً وجوداً لبيد بن ربيعة، فقد نذر على نفسه ألا تهبّ رياح الصبا إلّا أطعم المساكين، وبقي على هذا

حتى دخل الإسلام، فكان يذهب كل يوم إلى مسجد قومه ويطعم من فيه.

تقول ابنته «بنت لبيد بن ربيعة العامري»:

«إذا هبّـــت ريـــاحُ أبي عقيـلٍ
دَعَونـا عندَ هبّتهـا الوَليـــدا
أشـــمّ الأنـفِ أصيـــد عَبشميّـاً
أعـان عَلـى مُروءتـــهِ لَبيـــدا
بأمثـــالِ الهِـــضابِ كـــأنّ رَكباً
عَلَيهـا مِـن بَنـي حـامٍ قعـــودا
أبـا وهـــبٍ جَـزاكَ اللّـه خَيـــراً
نَحرناهـــا وَأَطعمنـا الثريـــدا
فَعُـــد إنّ الكريـــمَ لـه معـــادٌ
وَظنّـــي يا اِبـن أَروى أَن نَعـــودا»[8]

- وقد تأتي الرياح بمعنى الغلبة والقوة، كما قال ثابت بن جابر «تأبط شراً»:

«أَتَنظُـــرانِ قَليـــلًا رَيـــثَ غَفلَتِهِـــم
أَو تَـــعدُوانِ فَإِنَّ الريـــحُ لِلعـــادي»[9]

حكمة المتنبي

- وقد ترد الرياح لتوضيح حكمة، ومن ذلك بيت أبي الطيب المتنبي الذي جاب الآفاق، وأصبح حكمة تتداولها الأجيال وهو

«ما كُـــلُّ ما يَتَمَنّى المَـــرءُ يُدرِكُـــهُ
تَجري الرِياحُ بِما لا تَشتَهـــي السُفُـنُ»[10]

- وقد عارضها شاعر مجهول مقدماً صورة أجمل تعبّر عن الهمة والإرادة، قائلاً:

«تجري الريـــاح كما تـــجري سفينتنـــا
نحن الريـــاح ونحـــن البحر والســـفنُ
إن الذي يرتجـــي شيـــــئاً بهمّتـــهِ
يلقاهُ لو حاربَتْـــهُ الإنـــسُ والـــجنُّ
فاقصـــد إلى قمـــم الأشيـــاءِ تدركـــها
تجري الريـــاح كما رادت لهـا السفنُ»[11]

- ولمحمد الثبيتي بيت يتماهى مع بيت أبي الطيب المتنبي حيث يقول:

«مَضَى شِرَاعـــي بِمَا لا تَشتَهِي رِيحِـــي
وفَاتَنِي الفِجْـــرُ إِذْ طالَتْ تَرَاوِيحِـــي»[12]

الرياح في الشعر النبطي

ضمت اللهجات الشعبية أسماء عدة للرياح، وذلك يرجع إلى الروافد المتعددة للثقافة الشعبية، ومنها: العادات والتقاليد والقيم المتوارثة، وقبل ذلك الحس الشعبي المبدع الذي يضيف للّهجة أبعاداً جميلة من العمق والتأثير.

و»من أسماء الرياح التي وردت في قصائد نبطية: المَزِر، الغَيَّاضَة، الكوس، الرِّيْحِة، السَّهيلي، الأحِيمَر، الشِّمال، شِّمَال الثِمَانين، أَرْبِعِين المِرِيعِي، الْغَرْبِي، المِطْلِعِي، الأكِيذِب، نسيم البَر، الخَيَّاي، الأَزْيَب، النَّاعِر، الْعَقْرِبِي، النِعَشِي، الْيِمَانِي، الْبَارِح، بْرِيح، النَّكْبَا، العَرِيض، الْمِغِيب، الْبَرَادِي، سِيهِيَانِي، السَّمُوم، النَّعَايَات، الجِنُوب، الشَّرْجي، الذَّارِي، الصَّبَا، الْيَاهِي، الْعَيُّوق، الطُّوفَان، فَالِع، السَّرَايَات، السِّهَام، أَرْبِعِين ، الْعَقْرِبِي، الشِّرْتَا، ضَرْبَة الشَّلّي، طَهَف، السَّايْبِة، الدِّاعِي، النَّلاّي، الْهُوَا الْعَالِي، الْعَافُور، الْمِلْو، النَّسَق، الصُّورِي، الزَّاعِي، أَرْبِعِين ، لِصْفِرِي، الكَلّوب، اللِّيهبَان، الأصِيفَر، سِهِيل الْيِمَانِي، الغيوب، الدَّالُوب، رياح النَّاقَة، رياح السِّتِّين»[13].

ويلاحظ أن أسماء الرياح الواردة في الشعر الشعبي تختلف عن الأسماء التي وردت في الفصحى، وقد تتشابه بعض الأسماء، ولكن اللهجات كما تبدو أفرزت الأسماء الخاصة بها.

أنسنة الريح

أنسنة الأشياء «تقنية تصويرية، تقوم على إضفاء صفات إنسانية على الأشياء على سبيل التخييل، شأنها في ذلك شأن التشخيص، أو التجسيد، أو تراسل الحواس»[14]، وقد نجح الشعراء الشعبيون في أنسنة الريح، وجعلوها عنصراً إنسانياً فاعلاً في القصيدة الشعبية.

كانت لفظة الرياح أثيرة ومصدر إلهام لا غنى عنه لدى الشعراء الشعبيين، ولعل الدليل على ذلك أن شاعراً واحداً مثل محمد بن سلطان الدرمكي خصّص العديد من القصائد لهذا الموضوع، عدا التوظيف الداخلي في قصائد أخرى، انظر إلى عناوين قصائده التي تضمنت إشارة إلى الرياح وهي: «هبتني الشرتا صباها»، «يا هبوب بات سرايه»، «ألا يا ناسم شرتا الهبوب»، «مرحبا بعداد ما ريف الهبوب»، «شرتا النسيم»، «شرت عيل بصلايف»، «شرتا الينوبي»، «هب الشرتا»، «شرتا الجنوبي»، «نسيم هب»، «هبوب الصبح»، «نسيم هب»، «شرتا الشراجي»،

«يانسناس الهبوبي»، «يا ذعذاع الغرابي»، «يا هبوب»، «لي ذعذع الياهي»، «هبوب الصبح»، «إذا نسنس هواء الناسم»، «هلا ما هب»[15].

- يتحدث سالم الجمري عن رياح «السهيلي» نسبة لنجم سهيل، وهو نجم عملاق، اعتمد عليه علماء الفلك المسلمون لتحديد القبلة، ويستبشر به العرب، حيث يكون ظهوره علامة على قدوم الربيع والمطر، ويقول:

«يـــوم السهيلـــي طـــاب شرتـــاه
ورّى علـــى جاشـــي مواقيـــد
«بـــي لاهـــف بي عـــوق ميـــفاه
بـــي هجـــر بي فلاقا الأجاويـــد»[16]

- ويصف سالم الدهماني رياح «الشمالي» التي حلت وحلت معها رسائل الأحباب، ويقول:

«البارحـــه بـــات الشمالـــي يذنّـــا
هاتي مراســـيل الرفاقـــه بتوكيـــد
قـــم يا نديبـــي بالرسالـــه تعنّـــا
وانصا العرب اللّي اسكنوا بقعة الذيد»[17]

شرتا الشراجي

- ويحتفي محمد بن سلطان الدرمكي في قصيدة «شرتا الشراجي» التي غناها ميحد حمد بالنسيم الشرقي، و«شرتا» تعني الهواء العليل الذي يحمل السحاب الممتلئ بالأمطار، و«الشراجي» تعني القادم من جهة الشرق، يقول:

«شرتا الشراجـــي بـــات زفّـــاف
لطـــفٍ هـــواه وطيّـــب مُريـــف
ياني تلايـــا اللـــــيل خطّـــاف
وارسلـــت به مكتـــوب تعريف»[18]

- ويطلق على الرياح أحياناً اسم «هبوب» وهي صفة من صفاتها حيث تهبّ أي تنبع، يقول خالد الفيصل في قصيدته «كل ما نسنس» التي غناها محمد عبده:

«كل ما نسنس
كلما نسنس.. من الغرب هبوب
حمّل النسمه سلام..
وان لمحت سهيل
وان لمحت سهيل في عرض الجنوب
عانق رموز الغرام...
لك حبيبٍ ما نسى كلمته دايم عسى
اطلب الله وارتجي صبح يومي والمسى..»[19]

رسول الأحبة

- في كثير من الأحيان يتخذ الشعراء الرياح وسيلة لإرسال الرسائل والأشواق للأحبة، ومنهم الشاعر علي بن سلطان بن بخيت العميمي الذي جعلها رسولاً يحمل للحبيبة سلامه وأشواقه، يقول:

«سلام لك من قاصي القلب بإسلوب
لك تحمله شرتا هبـــوب الغرابـــي
عزّ الصبـــر من صاحب العرف مطلـــوب
راعي الصبـــر يدرك طريق الصوابـــي»[20]

- أما خليفة بن مترف فقدّم صورة متناقضة تعبّر عن معاناة العاشق، ففيما يهب نسيم الرياح «المطلعي» يسهر العاشق ويستعصى عليه النوم، متشوقاً لقدوم الحبيبة، يقول:

«يوم هـــبّ المطلـــعي ريـــفه
الجفـــن طـــيب الكـــرى عافـــه
تارســـــه شرتـــاه جنّيفـــــه
ماخـــذ المشتـــاق بالرافـــــه»[21]

- وفي ذلك تناص مع قول سالم الكاس:

«حي شـــرتٍ هـــب مـــن صوبـــه
مطلـــــعي م الـــشرق ذنّانـــي
بـــــاب ريـــح الفـــل مـــن ثوبـــه
مـــن غفـــاة النـــوم وعّانـــي»[22]

لوحة المايدي بن ظاهر

- المايدي بن ظاهر، رائد الشعر النبطي في الإمارات يتميز بقاموس خاص، ففي قصائده بُعد فلسفي، ودراية واضحة بعلوم الفلك والطقس، لذلك عندما تحدث عن الرياح كان تناوله مختلفاً معمقاً، فهو لا يرصد الرياح فقط، ولكن الحركة المناخية كلها، بدءاً من حركة السحب والرعد والرياح ثم سقوط الأمطار. يصف الشاعر في إحدى قصائده الآفاق الحبلى بالغيم، ويقدم لوحة فنية يظهر فيها الرعد وهو يحاصر السحب ويجمعها، والريح تداعبه، فيسقط المطر، ويصف بإبداع السحابة وهي تسقط المطر بالإنسان الذي يبكي، ويرصد بعد ذلك كيف ينصبّ المطر ويعلو صوت الرعد، واصفاً صوته ولمعانه بالضحك، و«شمت المواشي» يقصد بها الريح التي تسبب حدوث الرعد والبرق ونزول المطر.

يقول الشاعر:

«لها الرعـــدُ زاوي وشرتـــا زغـــــاويٍّ
وهيّـــض بكاهـــا رميـــقُ الخليـــــل
سرى بينهـــم هـــرج بكـــى وضحـــكٍ
وشمْت المواشـــي وجهُـــل الخليـــل»[23]

- أما الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري، فتعشق الطبيعة ومفرداتها، وتقارن بين «السهيلي» وهي رياح شتوية لطيفة، و«الكوس» وهي رياح صيفية ترتبط بذاكرة البحارة، وتقول:

«طاح السهيلـــي وأبرد الكـــوس
وقيّـــلت فـــي غيـــم وْبرادي
لو انتـــــه الحمـــد منكـــوس
واقفـــيت عنـــي بالوكـــادي
جانـــه طرالك حـــد مرخـــوص
بطوف لو دونـــه حـــــدادي»[24]

- ويخاطب أحمد الناصر الشايع الرياح وكأنها إنسان يسمع ويشعر، ويطلب منها أن تطفئ همومه وأشواقه، ويقول:

«هبي بريحـــه ياهبـــوب النـــود
يطـــفي بعـــض همـــي وغربالي
الحـــب يذبح والشـــقا ممـــــدود
ما هي سواليـــف علي الخالـــي
يا منوتـــي يا غايـــة المقصـــود
زولك يورالـــــي ويبرالـــي»[25]

شبيه الريح

- لم يكتفِ الشعراء بالتعامل مع الريح كشاهد وصديق ومرآة للذات، ولكن بعضهم استخدم الجانب الآخر في الريح وهو الغموض والتقلب والمراوغة، كما فعل عبد الرحمن بن مساعد في قصيدته «شبيه الريح»، التي غناها محمد عبده، والتي تقول:

«شبيه الريح وش باقي من الآلام والتجريح..
وش باقي من الأحلام..
وش باقي من الأوهام..
غير أني ألاقي في هجيرك فيّ..
وألاقي في ظلامك ضيّ..
وأوقد شمعتي في الريح..
شبيه الريح..
شبيه الريح أنا ما اقدر أكدر صفوك العاصف..
شبيه الريح أنا من لي سوى اِحساسك الجارف..
بقايا زيف أشواقي ..
سما أمطار أحداقي..
شبيه الريح وش باقي..»[26]

وهكذا.. نجح الشعراء الشعبيون في أنسنة الريح، هذا الكائن الغامض الصامت الذي يجسد قوة الطبيعة الوادعة والغاضبة في الوقت ذاته، وتحويلها من مجرد ظاهرة جوية إلى مقوم شعري فاعل في القصيدة الشعبية، ففضلاً عن الأسماء التي تربو على المئة والتي تؤكد حجم هذه الظاهرة في الثقافة

اللغوية والشعبية، أصبحت الرياح لفظة إبداعية تعكس ذات الشاعر وحالته النفسية، وتطلق العنان لمخيلته، وهو ما أضاف الكثير للقصيدة النبطية.

ولا شك أن ثراء القاموس اللغوي الشعري بشقيه الفصيح والعامي بهذا الكمّ الكبير من أسماء الرياح، يشير إلى إمكانية إعداد معجم خاص لأسماء الرياح وأحوالها وأطوارها، وهو ما يفيد ليس الشعر فقط، ولكن سيكون لذلك فوائد علمية وجغرافية أيضاً ■

صحفي وباحث مصري

الهوامش:

1. ويكيبيديا الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org
2. معجم المعاني: www.almaany.com
3. المصدر السابق نفسه.
4. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير (774هـ)، دار ابن حزم، 2009. تفسير سورة الروم - الآية 48.
5. الريح في الشعر الجاهلي، مجدولين عبد الحميد مشاهرة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، القدس الشريف، فلسطين 2009، ص 165.
6. ديوان عنترة بن شداد، موقع الديوان: www.aldiwan.net
7. ديوان قيس بن ذريح، المصدر السابق نفسه.
8. ديوان بنت لبيد بن ربيعة العامري، المصدر السابق نفسه.
9. ديوان ثابت بن جابر «تأبط شراً»، المصدر السابق نفسه.
10. ديوان أبي الطيب المتنبي، المصدر السابق نفسه.
11. الشعراء المجهولون، المصدر السابق نفسه.
12. «بوابة الريح» شعر محمد الثبيتي، صحيفة «الرياض»، 16 يناير، 2011.
13. الرياح والأهوية، فهد علي المعمري، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، الطبعة الأولى، 2015.
14. «أنسنة الشوارع في الشعر السعودي المعاصر»، الدكتورة هيفاء راشد الحمدان، دار جرير للنشر والتوزيع، 2012.
15. ديوان الدرمكي، محمد بن سلطان الدرمكي، إعداد الدكتورراشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركززايد للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية، 2019.
16. ديوان الجمري، سالم بن محمد الجمري، إعداد وتحقيق الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركززايد للدراسات والبحوث، أبوظبي 2013، ص 356.
17. ديوان الدهماني، سالم بن سعيد الدهماني، الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، أبوظبي 2007، ص 129.
18. ديوان الدرمكي، محمد بن سلطان الدرمكي، . إعداد الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، الطبعة الثانية 2019. ص 245.
19. «كل ما نسنس»، كلمات خالد الفيصل، لحن وغناء محمد عبده: www.youtube.com
20. ديوان ابن بخيت «علي بن سلطان بن بخيت العميمي»، الدكتور راشد أحمد المزروعي، بيت الشعر في أبوظبي، نادي تراث الإمارات، أبوظبي 2013، ص 126.
21. ديوان بن مترف «خليفة بن مترف الجابري»، الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، ص 187.
22. ديوان الكاس «سالم بن خميس بن عبد الله الظاهري»، الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، ص 462.
23. المايدي بن ظاهر الدكتور حماد الخاطري النعيمي، معهد الشارقة للتراث، 2023، ص 32.
24. ديوان الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري، إعداد وإشراف شيخة الجابري، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، 2022، ص 87.
25. «هبي بريحه يا هبوب النود»، أحمد الناصر الشايع، موقع الجزيرة، 18 نوفمبر، 2017. www.al-jazirah.com
26. «شبيه الريح» شعر عبد الرحمن بن مساعد، ألحان صادق الشاعر، غناء محمد عبده: http:// www.youtube.com

بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح

ألفاظ مبتدئة بحرف الخاء وتعني الاستسهال والضعف وتغيير الصفة

محمد فاتح زغل

أكاديمي وباحث في التراث

خريج، وخريجة: تستعمل هذه الألفاظ في هذه اللهجة للدلالة على البئر القديمة التي لا يصلح ماؤها للشرب وهو معنى يمكن تبينه من خروج الماء من باطن الأرض، والخراج: الورم الذي ينزف قيحاً من البدن.

خرخوش ومخرخش وخريش: يقال في الرجل الطائش غير الرزين، فلان خرخوش ومخرخش وخريش: وهي ألفاظ كما يرى محمد المر من الفصيحة.

خراطة ويخرط: الخرط في اللغة القشر وانتزاع الورق من الشجر، وغير ذلك، ومن معاني الخراط المجازية: الكذاب والخراطة في هذه اللهجة: الكلام الفارغ وما ليس بصحيح.

خاطِر: يسمى الضيف في هذه اللهجة بالخاطر، وهي من الفصيحة كما عند الدكتور غسان الحسن، وخاطَر: عرض نفسه للخطر وقد أطلقت في العامية على المسافر لما يواجهه من أخطار في سفره، ولست أستبعد أن يكون الخاطِر ما يخطر في البال لأن المسافر لا يغيب عن بال أهله لأنهم يتذكرونه دائماً وفي الأوقات والمناسبات كلها، والذي يخطر بسيفه ورمحه من الرجال استعداداً للمبارزة، والخاطِر جمعها الخُطار وهي لفظة شائعة في لهجة فلسطين.

خلط بلط: تطلق هاتان اللفظتان المتلازمتان استعمالاً وإتباعاً على من هو غير مرتب، والمضطرب وغير ذلك، ودلالتهما مجتمعتين تتبين بوضوح من قول العرب: غلام ملط خلط، وهو المختلط النسب.

خليف: من معاني الخلف في العربية: نقيض قدام، والرديء من القول والاستقاء وحد الفأس ومن ذهب من الحي للسقيا وخلفوا أثقالهم ما وراء البيت، والخالف والخالفة: من لا خير فيه، والخوالف: النساء المتخلفات في البيوت، والخليف: تصغير خلف، وهو الرجل الجبان الذي يخاف الحرب، ويؤثر البقاء مع النساء في البيت، وهو من الخوالف.

خلالة: الخلالة في هذه اللهجة بؤبؤ العين كما في قولهم: خلالة العين، وهو معنى يتبين من الخلة (الفرجة في الخص والثقبة الصغيرة)، وخل الشيء ثقبه وخل لسانه: شقه، والخلل منفرج بين شيئين.

خميسية: تطلق هذه اللفظة على مبلغ قليل من المال يدفع كل خميس للمطوع، ليستعين به في تنظيف المكان وجلب الماء.

خنث وخنيث: الخنث في العربية المسترخي والمتثني، وتخنث الرجل: فعل المخنث وخنثه عطفه، وخنث الرجل كلامه: شبهه بكلام النساء ليناً، والمخنث: المتشبه بالنساء في الانثناء والتكسر والكلام، وقيل إن التخنيث الذي هو فعل الفاحشة لا تعرفه العرب، والخنثى: من له ما للرجال والنساء جميعاً.

خَنَّث، وخَنِيْث (خِنِيْث): الخَنِثُ في العربيَّة: المُسْتَرْخِي، والمُتَثَنِّي، وتَخَنَّثَ الرجل: فِعْلُ المُخَنَّثِ، وخَنَّثَهُ: عَطَفَهُ، وخَنَّثَ الرَّجُلُ كَلامَهُ: شَبَّهَهُ بِكلامِ النِّساءِ لِيْناً، والمُخَنَّثُ: المُتَشَبِّهُ بالنِّساءِ في الانْثِناءِ، والتَّكَسُّرِ، والكَلامِ. وقِيْلَ إنَّ التَّخْنِيْثَ الَّذي هو فِعْلُ الفاحِشَةِ لاتَعْرِفُهُ العَرَبُ، والخُنْثَى: مَنْ لَهُ ما لِلرِّجالِ، والنِّساءِ جميعاً. والخنيث المخنث ■

أشرعة الروح في فضاءات الحياة

الرياح ودلالات القصيدة

عادل نيل

الحياة ميدان القصيدة بكل ما فيها، من مظاهرها يشكل الشاعر معانيه، ويرسم لوحات إبداعه، ومن الطبيعة تبوح روحه شعراً، فيخلو إلى البحر نديماً يسامره، ويكتب إلى الليل خليلاً يناجي في عتمته سهاده، ويتغزل في وجه السماء بمعشوقة ارتسم وجهها على خدي القمر، ولمع في النجمة صفاء عينيها، ومع الشتاء يستدعي حزن الذكريات حين يسمع أنين التوجع مع زخات المطر على نافذة تتجهم عابسة في وجه البرق، وفي الخريف يرى ذبولاً يمضي به إلى دروب التلاشي، وربما رأى فيه تجدداً حينما تخلع الطبيعة عن الأشجار رداءً لتكتسي بآخر في بهجة الربيع.

ومن بين عناصر الطبيعة تلك وغيرها، تأتي (الرياح) لتشكل أحد المشاهد الحياتية التي ترتبط بتاريخ القصيدة العربية، فتأخذ بوجدان الشاعر في معانٍ متباينة تباين انطباعات بني البشر عن الوجود الإنساني، فيعبر من خلال دلالاتها عن وجدان نابض بأدق المعاني النفسية.

وأكثر ما ترتبط به الرياح في القصيدة هو المكان واتجاهاته، فقد قيل «الرياح أربع: الجنوب، والشّمال، والصّبا، والدّبور، أما مهبّهنّ: فابن الأعرابي قال: مهبّ الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، والصّبا: من مطلع الثريا إلى بنات نعش، والشّمال: من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر، والدّبور: من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سهيل»[1].

وهو ما يفسر غلبة معنى الانتقال والترحال بين الأمكنة والأشخاص في استدعاء الريح/ الرياح في الشعر العربي، مثلما نقرأ في إحدى قصائد عنترة العبسي التي كتبها حين خرج ذات مرة إلى الشام وتأخرت عودته عن أهله، فراح يشخص الرياح التي لولا ما يحمله من بعض عبلة لمات قبل أن تأتي محملة بنسيمها الذي يحيا به فؤاده[2]:

رِيـــحَ الْحِجَـــازِ بِحَـــــقِّ مَـــنْ أَنْشَـــاكِ
رُدِّي الســـــلَامَ وَحَـــيِّ مَـــــنْ حَيَّـــاكِ
هُبِّي عَـسَى وَجْـــــدِي يَخِـــفُّ وَتَنْطَفِـــي
نِيـــــرَانُ أَشْوَاقِـــي بِبَـــــرْدِ هَـــــوَاكِ
يَـــــا رِيـــــحُ لَـــوْلَا أَنَّ فِيـــكِ بَقِيَّـــةً
مِـــنْ طِيـــبِ عَبْلَـــةَ مُـــتُّ قَبْلَ لِقَـــاكِ
كَيْـــفَ السُّلُوُّ وَمَـــا سَمِعْـــتُ حَمَائِمـــاً
يَنْدُبْـــــنَ إِلَّا كُنْـــــتُ أَوَّلَ بَاكِـــــي

وعلى امتداد عصور الشعر العربي، كانت الرياح رمزاً دالاً قادراً

على تشكيل صور فنية ترسم بجماليتها الحالة الوجدانية للشاعر، وهو ما نلمسه بوضوح لدى بعض شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة الذين اعتمدوا على تلك المفردة في تشكيل دلالاتهم الشعرية، ولنبدأ من حيث أحد روادها، الشاعر سلطان العويس الذي وظفها في إحدى مقطوعاته التي جاءت بعنوان (ورق تجتاحه الريح)، كاشفة من عتبتها الأولى عن توظيف الريح في التعبير عن ذلك الرسوخ النفسي أمام جوائح الحياة[3]:

قُلْ للأحبةِ أن يُدْنوا مجالسَهُم
حتّى يَكونَ الذي ما بيْنَنا انْعَدَما
أنّا الذي تاه في دنياهمُ وَرَقاً
تجتاحُه الرّيحُ في الدُّنيا وما نَدِما

واستدعاءً لبنية المكان في تشكيل صورة الرياح، يشخص أحمد أمين المدني ريح الشمال التي تخطو من بعيد كالمجهول، تمضي في ثنايا الورق اليابس ونبتة (الدفلى)، تحمل أوتاراً عازفة ألحان الجمال من بين حناياها، ثم يتحول الشاعر من الزائر والمتحرك (الرياح) إلى المكان حيث النبتة التي يأخذ الشاعر منها روح الحياة النابضة، فيقول في قصيدته (الرياح والدفلى)[4]:

ارْفعي رأسَك يا دفلى.. فدنيانا رغامْ
إنّنا الموتى.. تعالي.. وابعثي فينا الحياةْ
أوهبينا منكِ دفءَ الحبِ.. أنفاسَ السلامْ
ثغرُكِ الريانُ.. أقدامٌ لهذي الكلماتْ..
وانعكاسٌ للأحاسيسِ.. وبردٌ في الضرامْ
أيها القلبُ المغنّي في الرياحِ الصاعداتْ

يتماهى الشاعر مع مكونات الطبيعة الحية التي يشخّصها في

حديثه بما بينهما من جوامع مشتركة، لذلك راح يبحث عن أسباب الحياة والدفء والسلام فيها، لينشد القلب الممزق أناشيد الوجود مع الرياح الصاعدات لعلها تنساب إلى روحه فترفع عن المحزون الشريد وجع المكلوم.

ومن (ريح الشَّمال) التي رأى فيها المدني سلواناً ولحناً طروباً يمضي معه قلبه المغني إلى (ريح الجنوب) التي أتت عنواناً لإحدى قصائد سيف المري، وجعل «هوجاء يا ريح الجنوب» لازمة لمخمساته الشعرية التي بلغت سبع مقطوعات كوّنت القصيدة، ليجسد مع كل مقطوعة منها واقع الإنسان في مواجهة الوجود، بين مغالبة القوة القدرية التي تنهزم أمامها الإرادة، وبين التشبث بعزيمة تغالب تلك العواصف، يقيناً بأنه مهما علا النشيج واحتد الأنين سيجتاز عثرات السنين، وأنه مهما تلاطمت البحار بفعل هذه الريح الهوجاء فإنها إلى نضوب؛ ولذلك راح الشاعر في مقطوعتيه الثانية والثالثة يقرر أن الاستسلام الذي يأتي من ظلمة الدنيا وصراع النائبات التي تلقي بها تلك الريح، فتترك صاحبها ضعيفاً أمام هذا المصير الذي يجعل صاحبه روحاً تصرّ على الرحيل، ما هو إلا بفعل تصوراتنا المجتمعية التي تقرر أن الحياة التي تنال من الضعفاء ولا ترقّ لحال خائري الإرادة، هي ذاتها التي ترجو القوي وتستعطف الغني، وبذلك نحن من نقرر بأوهامنا أحكامنا السابقة تلك الحقائق ثم نتهم بها واقعنا الإنساني.

وإثر هذه النظرة الفلسفية إزاء (ريح الجنوب) التي تشكل معادلاً موضوعياً لمفاهيم الحياة القاهرة، يعلن الشاعر في مقطوعته الرابعة أن سيان عنده إن دجى الليل وابتلع النهار ضياء الدرب وبين انبعاث نور يمضي به، فإن القوة تأتي من ذاته، واعتصامه بثوابته هو ما يستضيء به في عتمة ما يواجه، لأنه هو من يحرك مسارات دربه، إذ «يثير ولا يثار» فلا يترك نفسه

من بين عناصر الطبيعة تلك وغيرها، تأتي (الرياح) لتشكل أحد المشاهد الحياتية التي ترتبط بتاريخ القصيدة العربية، فتأخذ بوجدان الشاعر في معانٍ متباينة تباين انطباعات بني البشر عن الوجود الإنساني، فيعبر من خلال دلالاتها عن وجدان نابض بأدق المعاني النفسية

ريشة بين هوجاء ريح تشعل بشدتها القلق والصراع النفسي والاستسلام لإرادة واهية، ثم يختتم مقطوعاته بتلك النظرة الفلسفية لمعادله الموضوعي الذي تجسده اللازمة الثابتة في القصيدة كثبات حضور معناها الرمزي في الحياة، فيقول[5]:

خُذْني بفلسفةِ الإرادةِ منْ جديدْ
فأنا حديديُّ الإرادةِ.. والحقيقةُ من حديدْ
فهي التي قد حرّكتْ من صدقِ عَزْمَتِها الجمادْ
وَعَدَتْ على الدنيا فأشعلتِ الرمادْ
خذني بعزّتِها ودعْني عن صلابتِها أنوبْ
هوجاءُ يا ريحَ الجنوبْ

وهذه الروح العنيدة في مواجهة واقع الحياة التي تغالب ما استقر في مخيلة المجتمع، اتفق معها سالم أبو جمهور في قصيدته (الريح)، فإذا كانت الريح ثائرة بقوتها، لتتوقد من هوجائها النار، فهي لقدح ما يشعل في النفوس عزيمةً وإرادة لا لإخماد جذوتهما، ولذلك راح أبو جمهور يهدم هذه الثوابت فالاستسلام أمام فعل الريح منطق واهٍ[6]:

قالوا:
هي الأرياحُ
تأتي كيفما شاءتْ
فَتنطلِقُ السُّفنْ
حتّى على وجْهِ التُّرابْ
الريحُ تأتِي كيفما شاءَتْ
ويندفِنُ الوطنْ!
كَذَبوا

وكان للشاعر كريم معتوق رأي آخر في علاقته مع الريح، فلم يقف منها موقف التربص والتأهب بحسابات القوة والضعف، والتمرد والخضوع، المغالبة والاستسلام، وإنما راح يصادقها، مثلما يصادق مكونات وجوده، ليعرف ما لديها من أسرار وتفسر له بعضاً من غوامضها، فعقدَ صداقة مع الريح لتفضي له عن مكنون ما يمكن أن تبوح به وهي تمضي بين الأغصان[7]:

أخذتُ الريحَ من يدِها
لأعرفَ ما تقولُ الريحْ
إذا مرتْ على الأغصانِ
هل في هزّها تسبيحْ
حملتُ صليبَها زمناً
لأنقذَ لحظةَ التجريحْ

ويطرح طلال الجنيبي في قصيدته (بنت الرياح) تساؤلات أثارت لديه شغفاً للوقوف على الإجابة ليفسر تلك المتباينات التي أحدثتها الرياح، إذ كيف امتلكت الرياح تلك القوة، فأخذت بالمطر إلى عكس هطوله، وأمسكت بالمتطاير في سكون، وتراقصت الطيور في بهجة الحياة حين انطلقت بين فضاءات الرياح لتكون لها ملاذاً وخيالاً[8]:

كيفَ سكبتِ القطرَ عكسَ هطولِهِ؟
ولم قلبتِ لنا
جميعَ الأمثلةْ؟
بلْ كيفَ أمسكتِ المظلةَ بالسّما
وكأنّها
بنتُ الرياح المرسلةْ؟
حتى الطيورُ تراقصتْ في بهجةٍ
فغدوتِ أنتِ
ملاذَها والأخْيلةْ

وبنزعته الرومانتيكية التي تشكل شخصيته الشاعرية وترتبط بطبيعته الإنسانية التي تظهر جلياً على مدار تجربته الشعرية، يُقيم أحمد محمد عبيد، من صورة فنية ممتدة في قصيدته (المبحرون مع الرياح) التي أهداها إلى الشاعر الكويتي خليفة الوقيان صاحب ديوان باسم القصيدة، أدخل بها المتلقي في رحلة عميقة الإنسانية مع شخصية من يكتب عنه، دون أن تنفصل ملامح تلك الرحلة عن طبيعة الكاتب ذاته، ويستدعي الشاعر من الرياح ما تُحْدثه من حالة المواجهة والمغالبة وقدرة الإنسان على التمسك بقيمه وثوابته في هذا العالم، يقول[9]:

يـــا مُبحـــرينَ مـــع الريـــاحِ إلـــى
الأحـــلامِ حـــيثُ العالـــمُ الأرقـــى
الشمـــسُ والأهـــــوالُ تلفحـــكم
ومصاعـــبٌ مـــن فتنـــةٍ أشـــقى
ربَّانكـــــم نشـــوانُ مضطـــربٌ
ضِقْتـــم بـــه وطموحِـــه أُفْقـــا

وسفينُكـــم ألواحُـــه حُطـــمت
والعـــمقُ زادَ ببحرِكـــم عُمـــقا
وشراعُكـــم حـــزنٌ عليـــه بـــدا
والريـــحُ زادت جرحَـــه فتْقَـــا

التسامي عن صغائر الأمور، ومواجهة الحياة بنخوة الفرسان وتحمُّل ما يواجه من بواعث الحزن واضطرابات الرحلة وتحدياتها سمة في شخصية الشاعر وممدوحه، حيث الإبحار مع رياح تترفع عن القاع وفتنته، فأفق الطموح الذي يرتقي بصاحبه في صحبة الريح يمنحه مجداً متسامياً وعزاً رفيعاً مهما تحطمت سفائن النجاة وتمزقت أشرعتها مع مكابدات الجرح والحزن، فثمة خلود ونقاء يمنحهما كفاح المتشبث بقيمه[10]:

ريـــحُ الهـــوى ساقـــتْ شراعَكـــم
نـــحو الخـــلود وسحـــره الأنقـــى

وعلى شفاهِكم الكفاحُ غدا
لحناً تصدّح أو هوى رقّا
طفتم فجاجَ النورِ فامتزَجَتْ
آهاتُكم وقلوبُكم عشقا
ولقيتمُ مجداً برحلتِكمْ
غرباً بهذا الكونِ أو شرقا

وقد جعل الشاعر طلال سالم عتبة عنوان ديوانه (برزخ الريح) مفتتحاً معبراً عن السمة المضمونية الغالبة على تجربة الديوان، حيث القلق الروحي الذي يسيطر على حالة نفسية، يفسرها إضافة الريح إلى البرزخ، في تركيب يجمع الثابت بالمتحرك، والموت بالحياة، والدائم بالمتغير، وقد تداخل في الكثير من قصائد ديوانه مكونات الطبيعة التي وظفها في التعبير عن هذا التكوين النفسي الذي تحمله توابيت الأماني، في روح يكسوها الوجع، ويضيعها الوهم، وتتجاذبها مشاعر الغربة، ويملؤها هذيان المهموم[11]:

يا أنتِ كمْ جذعٍ حملتُ بأحرفي
وقطفتِ تابوتاً يُلوّح بالمُنى
غيماً أتيتُ أمدُّ روحي لهفةً
وكسرتِ بالوجعِ المخيِّمِ جسرَنا
كانت حكاياتُ الرياحِ غوايةً
كبرتْ شراعاً في تلهّفِ وهْمِنا
للآن نزْفُ الشمسِ يصبغنا أسىً
ونموتُ رمضاءً على أوجاعِنا

ويكرس الشاعر التعبير عن هذه الحالة الشعورية في قصيدته (خلفي الريح)، فما بين ريح تطارده وأمل غائب تأخذ به أشرعة الرياح العاصفة إلى حيث العدم، وما يمتد من خيط العمر صار طوقاً خانقاً يشتهيه الموت، فكل شيء من صبابات الأمل ينأى بعيداً عنه، ثم في قصيدته (بريدي) يستعطف الريح ألا تقسو حين يحمل بعض صوته إلى محبوبته، وهو في (بقايا الوعد) المشتت في حنايا الريح، وهو الجراح التي مرت موانئها على سفائن الذكرى فما زاد إلا اغتراباً، وهو صريع (وهم) في ريح سكرى لعمر يدعو إلى الموت ما تبقى من سهاده، وهو كذلك في قصيدته (لستِ أنتِ) ضحية جراح لا يعرف كيف يلملمها أمام من كانت الرياح العاصفة بذاته، إلى غير ذلك من قصائد الديوان التي تحتشد تراكيبها الشعرية بالرياح، في بناء معانيه التي تتوهج بعاطفة متقدة بالوجع والجراح التي تفوح منها أشرعة السفن الماخرة في عباب الحياة.

وباستقراء ما سبق من نصوص، يتضح أن القصيدة الإماراتية استطاعت أن تنتقل باستدعاء الرياح من كونها صورة وصفية تشبيهية، إلى مفردة محملة بالدلالات النفسية التي ترتبط بواقع الإنسان في وجوده، وكانت جزءاً من رحلته الحياتية حيث مواجهة الانكسار والانهزام، والتعبير عن القدرة على المطاوعة والتجاوز وصولاً للغاية الأسمى من الرحلة ■

* كاتب وأكاديمي مصري

الهوامش والمصادر:

1. أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م، ص 314 بتصرف.
2. عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 2، 2004م، ص 143.
3. سلطان العويس، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، 1999م، ص 229.
4. أحمد أمين المدني، الأعمال الشعرية الكاملة، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، ط 1، 2006م، ص 115.
5. سيف المري، الأغاريد والعناقيد، كتاب دبي الثقافية، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، الإصدار (23)، ط 2، إبريل 2009، ص 90.
6. سالم أبو جمهور، الأعمال الكاملة، مؤسسة نبطي للنشر، أبوظبي، 2015م، ج 2، ص 25.
7. كريم معتوق، الأعمال الشعرية الكاملة، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أكاديمية الشعر، أبوظبي، ج 2، ط 1، 2011م، ص 168.
8. طلال الجنيبي، على قيد لحظة، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ط 1، 2017م، ص 111.
9. أحمد محمد عبيد، عاشق في زمن الغربة، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط 1، 1995م، ص 23.
10. المصدر السابق نفسه، ص 25.
11. طلال سالم الصابري، برزخ الريح، أكاديمية الشعر، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، ط 1، 2012م، ص 7.

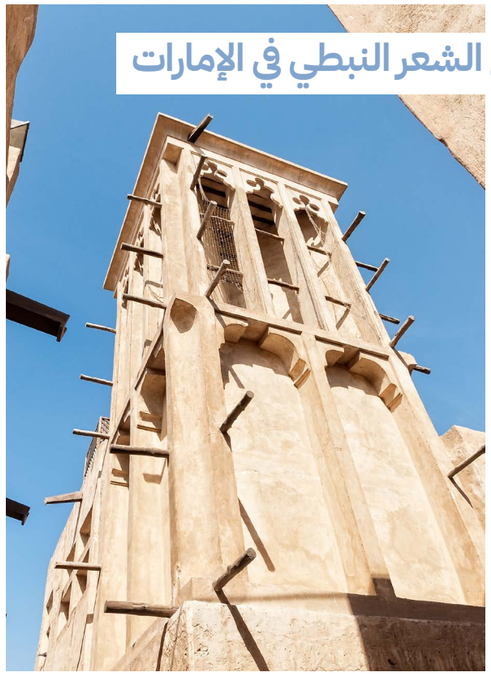

الرياح والأهوية من أهم روافد إبداع الشعر النبطي في الإمارات

بريد الشعراء وذاكرة التراث

أحمد عبد القادر الرفاعي

تحفل النصوص الشعرية النبطية في دولة الإمارات العربية المتحدة بمعجم زاخر من الكلمات والألفاظ المرتبطة في معظمها بعناصر الطبيعة، أو التي تستمد مادتها التعبيرية من المحيط الطبيعي، فهي تشكل في خيال الشاعر وجهاً آخر من وجوه التعبير عن الذات، والرحيل إلى المعنى وتوظيف أبعاده الفكرية والوجودية والفلسفية.

والرياح والأهوية حملت رمزية وعمقاً دلالياً واسعاً في ذاكرة القصيدة العربية؛ إذ اتخذت من مكوناتها المعرفية والدلالية بمفرداتها وتسمياتها المتعددة ملاذاً جميلاً ومميزاً للقصيدة ومكاناً خصباً يلجأ إليه الشعراء لتفجير طاقاتهم الإبداعية وتغذية خيالهم الشعري وحشد رؤاهم العاطفية والإنسانية. وقد انصهر الشعر العربي منذ نشأته ببيئته الصحراوية وبعناصرها المتنوعة الحسية والمعنوية كالناقة والرحلة والرمال والأطلال وغيرها، وقد كان للريح حضور متنوع الدلالات على مر العصور الأدبية المتتالية.

وتكمن أهمية الرياح والأهوية في طبيعة المجتمع الإماراتي في العديد من جوانب الحياة من خلال التنبؤ بكثير من الظواهر الطبيعية، فظهور بعض النجوم يؤكد هبوب رياح معينة، وغياب بعض النجوم يأتي برياح معينة، كما يتم من خلال الرياح الاستدلال على نضوج بعض الثمار أيضاً، ولا سيّما النخيل، وفي ذلك يقول الشاعر الماجدي بن ظاهر:

وفي أربعٍ مِ القيظ وادنى له الشتا
وبانت لأيام المصيف رسُوم
ترفّع مرفوع النّيا من حشايشه
غيوب الثريّا يبتدي بسمُوم
وباداه صبغٍ من بياضٍ وأحمر
كسا روس وعوّانٍ لها وصرُوم

والحديث عن الرياح والأهوية المحلية في التراث الشعبي لدولة الإمارات العربية المتحدة حديث ذو أهمية كبيرة يلقي الضوء على مدى أهميتها واهتمام الأهالي بها وبمعرفة أسمائها وأوصافها واتجاهاتها وتاريخ هبوبها، وهذه المعارف تساعدهم على تأدية أعمالهم وفق هذه الأهوية، وخاصة الأعمال والنشاطات البحرية المختلفة من خلال السفر والتجارة وصيد الأسماك، ومن خلال رحلات الغوص التي كانت تشكل الهاجس الأكبر لهم، والأمر ذاته ينطبق على أهل الجبال والصحراء؛ فالمعرفة يجب أن تكون قائمة للجميع إذا أمكن الأمر، لذا اكتسبت تلك الرياح والأهوية المحلية بعضاً من الخصوصية وفقاً للخصائص الجغرافية التي تتميز بها عن غيرها من الرياح والأهوية الأخرى، فمنها الأهوية البحرية مثل: رياح «السِيهِيَانِي»، ورياح «الخَيَّايْ»، ورياح «النَّاعِرْ»، وهناك الرياح البرية، مثل: رياح «نسيم البحر»، ورياح «السِهَام»، إضافة إلى الأهوية المشتركة التي تأتي في البحر والبر، ومنها الهواء الأشهر في دولة الإمارات العربية المتحدة وهو «الكوس»، الذي تغنّى به شعراء الإمارات كثيراً في أشعارهم فمنهم المرحب به، ومنهم المشتكي منه، ومنهم من ينتدبه إلى أصحابه وأصدقائه وأحبائه. وتتوضح

الرياح والأهوية في الإمارات.. بين التحدّي والإبداع

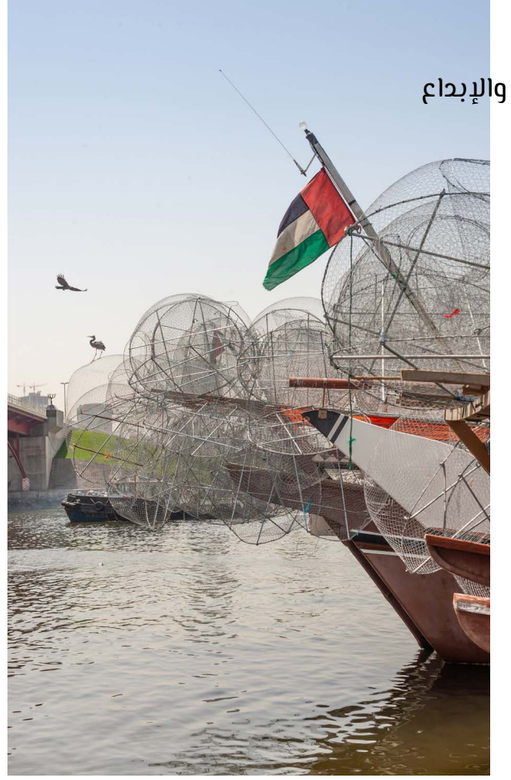

أهمية الرياح والأهوية وعلاقتهما بالتراث الوطني والمحلي للدولة من خلال القصائد الكثيرة التي صدح بها شعراء الإمارات في هذه الأهوية فأصبحت تاريخاً أدبياً وثقافياً يكشف الكثير من صفحات حياة الأجداد. ومسميات الرياح والأهوية في الإمارات كثيرة ومتنوعة وفقاً لاتجاهها ووقت هبوبها، والظواهر الطبيعية المتعلقة بها وهكذا نتجت أسماء كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر «المزر»، و«الغيّاضة»، و«اليولات»، و«الرايحة»، و«السهيلي»، و«الأحيمر»، و«الشمال»، و«شمال الثمانين»، و«أربعين المريعي»، و«الغربي»، وسنحاول في مقالنا استقصاء الحقول الدلالية والصور الشعرية التي استلهم من خلالها الشعراء الإماراتيون رياح «الكوس» في قصائدهم بطرق متعددة فـ«الكوس» من الرياح المحلية والساحلية، ويهب «الكوس» من مطلع النعش، ويسميه بعضهم «النعشي»، كما يهب من مطلع الشمس ويسمى «مطلعي» أيضاً، وفي كلتا الحالتين يسمى «الكوس»، بيد أنه إذا هبّ من مطلع النعش في فترة القيظ تكون فيه رطوبة خفيفة، وإذا هب في الشتاء يكون بارداً. وغالباً ما تكون رياح «الكوس» شديدة التأثير على السواحل الشرقية، وتحدث أمواجاً عالية أحياناً، تؤدي إلى حفر السواحل الرملية، يقول الشاعر سالم بن حميد البحري السويدي:

يالكـــوس لـــي هبّيـــت ولّـــم
وانتـــي مكينـــة اللّـــنج سُوقيـــه
هاتيـــه لـــي يشـــكي تألّـــم
ويقـــول مالـــي مـــن يشاكيـــه

يخاطب الشاعر هنا «الكوس» طالباً منه الاستعداد، ويخاطب محرك الزورق «ماكينة اللنش» لدفع القارب إلى ديار الأحبة واستغلال هبوب الريح لتساعده على الوصول بسرعة، و«الكوس» هنا رمز لنقل الشاعر للديار التي يحب الوصول إليها وهو يشتكي من ألم البُعد والفراق، والرياح في هذه الأبيات غدت رمزاً يحمل دلالات مكثفة لما يختلج في نفس الشاعر من مشاعر عميقة ومكوناً من أهم مكونات الصورة الشعرية.

ويقول شاعر آخر:

هـــبّ ولفـــا مِ الكـــوس نســـاس
لموقّـــظ الغافـــل توقّيـــظ
نشّـــيت لـــه يا هـــلا ولا بـــاس
يـــا مرحبـــا بكـــوس المقايبـــظ

وهكذا نجد أن الشاعر الإماراتي كان قادراً على تحديد طبيعة العلاقة بين الناس وطقس المكان في بقعة جغرافية محددة بعينها وهو يفصّل الرياح على مزاجه وحالته العاطفية والنفسية والصحية والاقتصادية، فلكل موسم طبيعة دلالاته التي يسقطها على شيء ما قد يكون قريباً أو بعيداً، وهذا ما سنلاحظه في سياقات الكثير من النصوص الشعرية ومنها ما قاله الشاعر سعيد بن عتيج الهاملي:

يـــا كـــوس يـــا روّادي
سوايبـــــك ابـــــردن
فيـــك الســـحـــب تنقـــادي
وتســـــاوي بالمـــــزن
واحييـــت قلـــب غـــادي
هيـــس الصـــــواب أُو ون

«الكوس الروادي»: الهواء الذي يرتاد الأماكن أكثر من مرة، حيث إن هباته المتقطعة أصبحت باردة من كثرة الارتياد. ويقول: حتى إنك يا كوس أحييت القلب الذاهب والمنتهي فلمس الجرح صار يثن من الألم، وبهذا أصبحت رياح الكوس رمزاً حياً بطاقته التعبيرية الخصبة تحمل من خلالها الرؤية الفنية والتجربة الغنية للشاعر.

ويقول في موضع آخر:

يـــا كـــوس يـــا لـوّابـــه
اللـــيل مـــا بتّيـــه
كـــم لفـتـــي مـــن عدابـــه
والصبـــح يـــاج اهنيـــه

يشبه الشاعر نفسه بالهواء الذي يظل طوال الليل «يلوب»، ولا يهدأ ولا يتوقف عن الدوران حتى الصباح، يدور حول «عدابه» أي المرتفع الرملي، إلى أن يطلع الصباح على تلك الحال، والشاعر هنا يضع نفسه موقع الرياح التي لا تنام فهو - أي الشاعر - في موقعه لا يرى غير ما يرى، ولا يستدين صوره الشعرية من شاعر آخر أو من بيئة أخرى لا يعرفها ولم يعشها، بل أصبحت الرياح برمزيتها المأخوذة من الطبيعة سمة بارزة وصفة إبداعية تمكّن من خلالها من التعبير عما يجيش في داخله.

وفي موضع آخر يقول:

كـــوس مهبّـــه بـــدي
غبّـــا وطـــى ورمـــال
مـــن كـــل عـــدْب ونـــدي
شـــل اربـــع يفّـــال
واصبـــح هـــواه مـــردي
عنـــده شراحـــة بـــال
وانـــا جســـدي ملتـــدي
حانـــي شـــرى لـــهلال
عـــن وصلهـــم لا بـــدّي
فـــي سعـــود مـــن اللـــيال

حسب ما ورد في شروحات الديوان الصادر عن نادي تراث الإمارات، فقد قال الشاعر هذه القصيدة في بدايات حياته الشعرية، حيث كان والده لا يرغب في أن يكون ابنه شاعراً، لكنه تناهى إليه أن ابنه يقول الشعر، فأراد أن يختبر شاعريته فطلب منه أن يذكر «البد» في قصيدة. والبد هو حشية من ليف توضع على ظهر المطية لتلامس جلدها تحت ما يتلوها من «شداد» فقال هذه القصيدة بحيث استخدم المفردة كالريح الهابة، وأثبت شاعريته أمام والده والجميع.

ويقول في موضع آخر:

كـــوس مهبـــه حـــارج
مـــا هـــوّن بالسكـــون
بـــات الجـــفن مستـــارج
مـــا غمّـــضت العيـــون
يعـــل المطـــر والبـــارج

يطيـــــــــح ويـــــن اســـــكون عقب العـــــشا سويـــــت ريـعان
لـــــي يطلـــــون المفـــــارج مويـــك تبنّـــا مثـــل الحصـــون
بالعنبـــــر المعيـــــون
خلّيـــت لـــي فِ الـــدار حيـــران
من البـــــزم قطّعـــــت لاسنـــان حيران يرقـــب باســـك يهـــون
قطّعـــت خـــرب اللي يغوصـــون

هذا الهواء القادم يحرق الوجوه بسبب دخول موسم الصيف، وأصبحت العيون في حالة أرق لا تنام.. ألا ليت المطر يعود ومعه البرق فيغمر المنطقة التي يسكن فيها الحبيب، ذلك الذي يطلي مفارق الشعر بالعنبر المعجون بالزيت والأعشاب الطيبة.

ويقول الشاعر محمد خميس المزروعي:

كـــــوسٍ مهبّـــــه حـــارق مـــــا هـــــوّن للسكـــــون
بـــــات الجـــــفن مستـــارق مـــــا غمّضـــــت العيـــــون

رياح «الكوس» تهب حارقة، وهنا تختلط المشاعر الحارة بالرياح القوية الحارقة التي لم تهدأ ولم تسكن، حالها حال ألم الفراق؛ فراق الأهل والأحبة، التي استدعت السهر والأرق وغياب النوم عن الجفون، فيغدو «الكوس» هنا رمزاً ذاتياً يوحي بالعديد من التجارب والانفعالات وما يدور بداخله من مشاعر وأحاسيس.

وفي سياق قريب يقول الشاعر راشد بن حميد المزروعي:

يالكـــوس جيـــت بغير برهـــان
عـــقب العقـــل باداك لجنـــون

ميـــــــر المهـــــبّ الـــــكوس واحيـــــا هشـــيم عظامـــــه
البـــالـــــي المـــــدروس

يطلب الشاعر توجيه الدفة وقت هبوب الريح باتجاه ملائم لها لمساعدة السفينة على الإبحار والوصول إلى الديار بسرعة، حيث إن «الشرتا» هي ريح تطلق في أحد مسمياتها على الرياح التي تهب أحياناً من «الروس» وهي رؤوس الجبال من ولاية مسندم في سلطنة عُمان شمال إمارة رأس الخيمة وهذا يعطي دلالة بأن السفينة قادمة من الهند، وهي في مضيق هرمز تتلاطم بها أمواج «غبة سلامة»، وتلك منطقة وعرة وخطرة على السفن قديماً، وكأن الشاعر يقول: جهز شراع السفينة عندما تهب رياح «الكوس» لنعود إلى البلاد مسرعين قبل أن نتعثر بـ «غبة سلامة»، وبعد الوصول يقول الشاعر إن رياح «الكوس» جاءت بأخبار السلامة وأحيت العظام المهشمة والمعنى هنا بأنها أحيت الروح بعودته إلى البلاد سالماً وعاد كل شيء إلى طبيعته، ورمز الحركة سمة بارزة للريح رافقت هذه المفردة في العديد من القصائد فهي تحرك السحب كما تحرك أشرعة السفن في البحار، ورياح «الكوس» كانت عاملاً مساعداً ومعادلاً نفسياً للعودة إلى الأحبة والديار فسكنت رياح نفسه بعد أن كان مسافراً كالريح التي ساعدته في العودة فارتاح واطمأنت نفسه، وقد وظف رياح «الكوس» للدلالة على نقل البشارة والأنباء للحبيب والأهل والديار.

وهكذا نجد أن الرياح والأهوية بارتباطها العميق بالمجتمع المحلي في دولة الإمارات العربية المتحدة وبما حملت من أهمية كبيرة ومسميات عديدة شكلت رافداً ثراً ومورداً عذباً من موارد إبداع الشعر النبطي في الإمارات بما قدمته من حقول دلالية عظيمة حملت العديد من الرموز والمشاعر والأفكار، وأن ما قدمناه ما هو إلا غيض من فيض هذا الإبداع وإنه لمعين كبير يستحق العديد من الدراسات لتوثيق تراث دولة الإمارات العربية المتحدة بغناه وعطائه الذي لا ينضب ■

كاتب سوري

المصادر والمراجع:

1 . الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي، فهد علي المعمري، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، ط 2، 2016.

2 . سعيد بن عتيج الهاملي/ فروسية الحب والشعر، مؤيد الشيباني، مؤسسة سلطان بن عويس الثقافية، ط 1، 2020.

3 . ديوان بن عتيج، جمع وتحقيق لجنة التراث بنادي الإمارات - الكندي بن مصبح المرر، علي بن مصبح المرر، الدكتور غسان الحسن، إصدارات نادي تراث الإمارات 1999.

4 . ديوان امرئ القيس وملحقاته، شرح أبي سعيد السكري، إصدارات مركز زايد للتراث، ط 1، 2000.

5 . شرح ديوان كعب بن زهير، الإمام أبو سعيد بن الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة، ط 4، 2010.

البراجيل.. وسيلة الأجداد لتطويع الرياح

خالد بن محمد القاسمي

منذ قديم الزمن والإنسان يرتبط ببيئته التي نشأ فيها، وعلى مرّ العصور يحاول - بطاقاته كلها - السيطرة على البيئة وتطويعها لاتقاء ما قد تحدثه له من ضرر من ناحية، وللاستفادة بكل ما فيها بقدر الإمكان من ناحية أخرى.

وتعد الرياح والأهوية من أبرز العناصر البيئية المحيطة بالإنسان، نظراً لشعوره بها على مدار اليوم بكل ما تحمله من شدة وخفة، وحرارة وبرودة.. إلخ. لذا اجتهد الإنسان وأبدع وابتكر الوسائل التي تقلل من أضرار الرياح، والتي تُعزِز الاستفادة منها إلى أقصى درجة. وفي زمن لم تكن المدنية الحديثة والحضارة قد ألقت بظلالها على دولة الإمارات العربية المتحدة، ولم تمتد يد النفط بعد إلى جسد الدولة، عاش الأهالي حياة اعتمدت على المقومات والمعطيات الموجودة، وأكثرها كان بدائياً، ففي المنازل كان الاعتماد على الرياح في خفض درجات الحرارة الملتهبة لا سيما في فصل الصيف، فكان البارجيل أحد الاختراعات التي تساعد على تبريد المنازل[1].

تعريف البراجيل

البارجيل أو ملقف الهواء يطلق عليه «البادكير»، أي الهواء البارد، وهي كلمة فارسية معناها «باد»: بارد، و«كير»: مجرى الهواء[2]. وكانت البراجيل تُبنى على أسطح الغرف الرئيسية في البيوت القديمة، أو فوق بيوت «العرشان»، وهي تُشبِه أبراج الأجراس الإيطالية[3].

وشاع استعمال البراجيل كأداة تقليدية للتكيّف مع عوامل المناخ بطريقة طبيعية وتتكون من كتلة مرتفعة عن سطح المبنى والبرجيل مهيّأ من جهاته الأربع لدخول الهواء الخارجي إلى الداخل من خلال فتحاته إلى الفراغات السُّفلى في المبنى، وتعتمد درجة التلطيف على عوامل كثيرة منها سرعة الرياح وارتفاع البارجيل عن مستوى السطح، وتنتهي فتحة برج الهواء في أسفل الفراغ الداخلي للغرف عند مستوى منخفض يوازي مستوى وقوف الإنسان في المكان وذلك من أجل ملامسة الهواء المتحرك لبشرة الجسم، ملطفاً مناخ الغرفة خافضاً درجة الحرارة بنحو 10 درجات مئوية بحركته وهو مندفع إلى

الداخل. وقد استعملت الأحجار المرجانية مادة بناء لهذه الأبراج في كثير من الحالات وخاصة في المدن الساحلية كمدينة دبي والشارقة ورأس الخيمة، وقد تستبدل بمادة سعف النخيل أو الخشب أحياناً[4].

أنواع البراجيل

وللبراجيل أشكال وتصميمات عدة، منها:

- بارجيل أو ملقف هوائي داخل الجدران (البادكير) لسحب الهواء وإدخاله نحو الغرف والوحدات الأخرى، ويوجد في ستارة السطوح.
- بارجيل «مفرد»، أي له فتحة واحدة في أعلى السطح يرتفع تقريباً ما بين 1.50 - 1.80 متر، لصد التيارات الهوائية وإدخالها ضمن فتحة لسقف الوحدات الخدمية.
- بارجيل «مزدوج» أي له فتحتان فقط، ويرتفع كارتفاع البارجيل المنفرد لإدخال الهواء من الجانبين.
- البارجيل ذو الفتحات الأربع وهو المستخدم في غالبية المباني، وتختلف مقاساته وأشكاله وهدفه إدخال الرياح

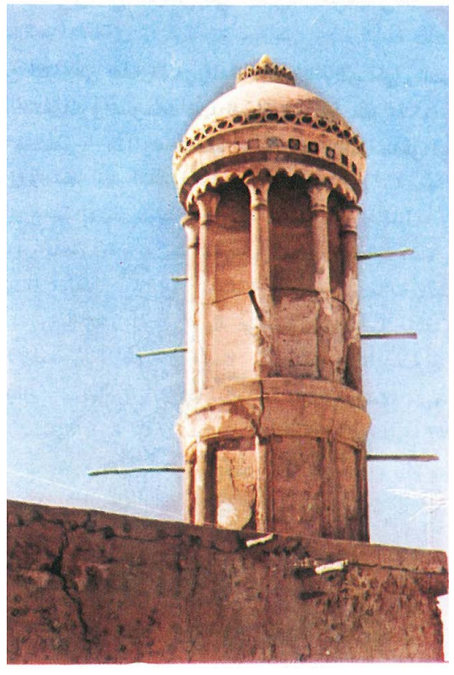

حسب الاتجاه. والبرجيل الأكثر شهرة من هذا النوع هو البارجيل الدائري في مجلس إبراهيم المدفع[5].

- ومن حيث التأثيث يمكن تقسيم البراجيل إلى نوعين: النوع الثابت «المسكن التقليدي»، الذي يُبنى من أحجار تسمى السلافة وميزتها أنها مرجانية عازلة للحرارة. و«المؤقت»، وهو المنتشر على أسطح العرشان وعادة ما يُشيَّد من الجواني أي الخيش، ويوضع في الصيف فقط ثم يزال في الشتاء[6].

نشأة البراجيل

في الواقع ليست «البراجيل» اختراعاً إماراتياً، فقد استخدمها الفراعنة حين كان يطلق عليها «مسرب الريح». كما استُخدمت بالعهد العباسي. وعُرِفت في بلاد الشام والمغرب ومصر بـ«المشربية». وهي تُبْنى في إيران من الإسمنت بعكس الإمارات حيث تشيد من مواد البناء القديمة. وفي العهود الغابرة، كانت تصنع من الأقمشة والأكياس وتغطى أسطحها بالأخشاب، والسعف أحياناً في المناطق الساحلية.

ويُقال إن عرب «النجا» مقابل الشارقة هم أول من بنوا البراجيل، وأول من أدخلوها إلى الإمارات، حيث تحوّلت إلى مظهر لصيق بعمارتها الطينية التقليدية، وغالبية براجيل الإمارات القديمة، بُنِيَت خلال عام 1903 مع قدوم التجار إليها، يرافقهم الصنّاع الذين استقروا في منطقة الفهيدي التي لا تزال تحتفظ بالكثير منها حتى اليوم، كما أنها أصبحت تُشاد اليوم في القرى التراثية الاصطناعية، باعتبارها عنصراً أساسياً في العمارة التقليدية.

ويشير المؤرخون إلى أن «البراجيل» القديمة كانت تُزين بنقوشٍ وزخارف جبسية متنوعة مما يؤكد وظيفتها الجمالية في البيت الإماراتي[7].

الاستخدام العصري للبراجيل

رغم إيقاع الحياة العصرية السريع وزيادة استخدام المكيفات الصناعية التي تعددت وتنوعت أشكالها وأحجامها، وأصبحت تعطي أفضل النتائج في مجال التهوية والتبريد، بدا مشهد انتشار البراجيل الآن في الإمارات فوق ناطحات السحاب والفلل الحديثة غريباً، وزاد المشهد غرابة أن كبرى شركات الإنشاء العاملة في الدولة استحضرت التراث المعماري الأصيل بقوة من خلال المشاريع العملاقة التي تنفذها فظهرت أحياء كاملة من الفلل الحديثة تستخدم عناصر تصميم تقليدية

مثل البراجيل وارتفعت ناطحات سحاب عملاقة واجهاتها من الزجاج الذي يعكس أشعة الشمس الحارقة تنتصب فوق زواياها الأربعة البراجيل التقليدية. ويعكس هذا رقياً تراثياً في البناء ويسهم في المحافظة على الإرث المعماري المحلي كون هذه المشاريع العقارية تحافظ على الطرازين المعماريين التراثيين العربي والإسلامي وتستلهم تصاميمهما من وحي التراث وعبق التاريخ وتعكس روعة فن العمارة المحلية القديمة خاصة فيما يتعلق بالبراجيل[8]. وعند وضع المخطط الرئيسي لمدينة مصدر، تم استلهام تصاميمها من الإرث العمراني لدولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك انطلاقاً من قناعة مفادها بأن الاطلاع على تاريخ التخطيط الحضري للمنطقة هو العامل الأساسي لضمان تحقيق الاستدامة في مدينة يجري بناؤها لتكون مجمعاً للطاقة المتجددة والتقنيات النظيفة وإحدى أكثر مشاريع التنمية المستدامة نجاحاً على مستوى العالم. وإلى جانب الملامح العمرانية التقليدية لتخطيط المدن، أدرك المصممون أن «البارجيل» يُمثِّل أحد أبرز العناصر المميزة للعمارة المحلية، فضلاً عن دوره كنظام للتهوية والتبريد يستخدم منذ القدم في منطقة الخليج. وبالفعل، تم استخدام «البارجيل» في مدينة مصدر بأسلوب يمزج بتناغم كبير بين

عراقة المدينة ومستقبلها، وذلك من خلال الابتكارات الفريدة.

ويستخدم البارجيل العصري في مدينة مصدر - وتحديداً في «معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا» - أحدث المواد والتقنيات بما يسهم في تعزيز فاعلية البارجيل التقليدي. ويبلغ ارتفاع البارجيل 45 متراً ليبرز بوضوح فوق مباني معهد مصدر ذات الطوابق الأربعة التي تحيط به من كل جانب.

ويتكون «البارجيل» العصري في معهد مصدر من هيكل فولاذي مقوس قليلاً بحيث يشد الأنظار إلى الأعلى. وفي قمة البرج، توجد تسع كوات تفتح أتوماتيكياً في الاتجاه الذي تهب منه الريح وتغلق الاتجاهات الأخرى، وذلك من أجل التقاط أكبر قدر ممكن من الرياح. ومن ثم ينساب الهواء نحو الأسفل عبر غشاء من مادة «PTFE» أو ما يعرف بـ «التيفلون». وبحسب عوامل درجة الحرارة ومستوى الرطوبة وسرعة الرياح، تعمل مولدات للرذاذ في قمة البرج - على غرار نموذج قطع القماش المبللة بالماء - من أجل خفض درجة حرارة الهواء عبر التبريد بواسطة التبخر. ويؤدي نظام التبريد بواسطة التبخر وتنشيط حركة الهواء عند مستوى الساحة في خفض درجات الحرارة وإضفاء شعور بالانتعاش والراحة. حتى في الأيام التي تسكن فيها حركة الرياح، يقوم «البارجيل» بتوليد نسمات خفيفة من خلال تيار هابط ينشأ عن تشغيل رذاذ البخار في أعلى البرج. فمن خلال التبريد بواسطة التبخر، يتحرك الهواء البارد هابطاً نحو الأسفل ويتدفق باتجاه الساحة. وتم تزويد «البارجيل» بالعديد من المستشعرات وأجهزة المراقبة، بما في ذلك أدوات لجمع بيانات الطقس مثل درجة الحرارة والرطوبة وسرعة الرياح، إضافة إلى أجهزة لقياس جودة الهواء. ويقوم أساتذة وطلاب «معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا» باستخدام هذه البيانات في العديد من مشاريع الأبحاث[9].

وهكذا نجد أن الإماراتيين استطاعوا منذ القدم أن ينجحوا في السيطرة على الرياح وتطويعها للاستفادة منها والتغلب على قسوة الظروف المناخية، وذلك عن طريق استخدامهم للبراجيل، ورغم قِدَم الفكرة فإنها عادت للظهور في العصر الحديث، ومن أبرز النماذج في هذا الشأن استعانة «معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا» بالبراجيل من أجل الحصول على نظام تبريد صديق للبيئة، مما يؤكد تمسك دولة الإمارات العربية المتحدة بإرثها وتراثها العريق الذي لا يتعارض مع تطلعها إلى المستقبل المشرق ■

* باحث في شؤون الخليج

الهوامش والمصادر:

1. فهد علي المعمري: الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط. 2، 2016، ص 13.
2. عبد الستار العزاوي: البيت الغربي.. تحليل عناصره المعمارية وصيانتها، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص 53.
3. البراجيل رمز دبي المعماري.. مكيفات الزمن الغابر، صحيفة الشرق الأوسط، بتاريخ 20 مايو 2012، العدد (12227).
4. بدرية محمد سالم الشامسي: الابتكار في تراث دولة الإمارات العربية المتحدة الفترة من بداية القرن العشرين حتى عام 1971م. مجلة المؤرخ المصري، يناير 2022، ع 60، ص 349 - 350.
5. عبد الستار العزاوي: المباني الأثرية في كلباء، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 111 - 112.
6. خولة علي: البارجيل.. أيقونة الأسطح، موقع صحفية الاتحاد، بتاريخ 24 يونيو 2022، على الرابط التالي: https://cutt.us/2HfH4
7. محمود شاهين: «البراجيل» درّة التراث المعماري، موقع البيان، بتاريخ 15 سبتمبر 2017، على الرابط التالي: https://www.albayan.ae/five-senses/east-and-west/2017-09-15-1.3046721
8. شيخة الغاوي: البراجيل .. معالم من الماضي تسرب الهواء البارد وتنثر دفء المشاعر، موقع وكالة أنباء الإمارات (وام)، بتاريخ 13 مايو 2005، على الرابط التالي: https://wam.ae/ar/details/1395234057839
9. د. عصام جناجرة: دور البارجيل في تبريد «معهد مصدر» .. إلهام الماضي وابتكار المستقبل، موقع صحيفة الاتحاد، بتاريخ 21 نوفمبر 2010، على الرابط التالي: https://cutt.us/M66DI

مصدات الرياح: إطلالة بانورامية

صديق جوهر

شكّلت الرياح إحدى ثيمات الأدب الإماراتي المعاصر خاصة في القصص القصيرة والأشعار التي كتبها قصاصون وشعراء من دولة الإمارات العربية المتحدة على مدار السنين حيث ارتبطت الرياح على المستويين الخيالي والاستعاري في هذه الأعمال برحلات مراكب الغوص وصيد اللؤلؤ إبان زمن السفن الشراعية قبل دخول الزوارق التي تدار بالمحركات إلى الخدمة. وحسب خبراء الأرصاد الجوية فإن الرياح في علم المناخ هي حركة الهواء بالنسبة إلى سطح الأرض. وتلعب الرياح دوراً مهماً في تحديد المناخ والطقس والسيطرة عليهما، وتحدث الرياح بسبب الاختلافات الأفقية والرأسية (التدرجات) في الضغط الجوي. وبناءً على ذلك فإن توزيع الرياح يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتوزيع الضغط. وبالقرب من سطح الأرض تتدفق الرياح عموماً حول مناطق ذات ضغط منخفض وأخرى ذات ضغط مرتفع نسبياً لتشكلان الأعاصير والأعاصير المضادة على التوالي. وهذه الرياح تدور عكس اتجاه عقارب الساعة حول المنخفضات الجوية في نصف الكرة الشمالي وفي اتجاه عقارب الساعة حول المنخفضات الجوية الموجودة في نصف الكرة الجنوبي. وبالمثل، تدور أنظمة الرياح حول مراكز المرتفعات الجوية في الاتجاه المعاكس. وتكون سرعة الرياح وقوتها أقوى بشكل عام خلال النهار عندما يؤدي تسخين الأرض بواسطة الشمس إلى قلب الهواء، وتحافظ التيارات الهابطة على زخم الرياح على ارتفاعات عالية وفي الليل، تهدأ الرياح وتكون أخف وطأة بشكل عام.

وفي سياق آخر فقد ورد لفظ (الرياح) عشر مرات في القرآن الكريم، وكذلك ورد لفظ (الريح) ثمانية عشر مرة في القرآن، وقد ارتبطت كلمة (الرياح) بالرحمة والمنفعة بشكل عام (وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته)، بينما ارتبطت كلمة (الريح) بالعذاب في مواضع عديدة في القرآن (وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)، وفي مواضع أخرى ارتبطت كلمة (الريح) بأمور إيجابية مثل (قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف) وارتبطت كذلك بالقوة والسيطرة (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره).

ويتفق العلم مع النصوص القرآنية فيما يخص أنّ للرياح منافع وأضراراً ولذلك يسعى هذا المقال القصير لإلقاء الضوء من ناحية علمية على مصدات الرياح التي تستخدم للتقليل من أضرار الرياح وأثرها على البيئة وحياة البشر بشكل عام.

علمياً تلعب الرياح دوراً مهماً في الحياة النباتية في المناطق كافة رغم اختلاف التضاريس والجغرافيا الطبيعية والبشرية. قال الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً) أي أن الرياح أينما وجدت تلقح السحاب فتسقط الأمطار، وهي كذلك تلقح النباتات خاصة التي تعتمد على التلقيح الرياحي، مثل: القمح والأرز والذرة والبلوط والصنوبر، وكذلك الزهور التي تعتمد على الرياح لنقل حبوب اللقاح من الزهور الذكورية إلى الزهور الأنثوية، وقد تكون الرياح مصحوبة بهطول الأمطار، ولكنها أحياناً تكون مدمرة؛ لذلك سعى الناس عبر العصور لعمل مصدات الرياح من أجل تخفيض قوتها، ومن أجل ذلك تمت زراعة الأشجار بادئ ذي بدء بطريقة محددة وعلى مساحات معينة لإبطاء سرعة الرياح وإعادة توجيهها.

وقد تشمل مصدات الرياح أيضاً الأسوار والسواتر الترابية والجدران والشجيرات والمحاصيل المعمرة أو السنوية التي تعمل في المقام الأول على حماية التربة والماشية والحياة البرية والناس من أضرار الرياح، ويمكن القول إن مدى هذه الفوائد يعتمد على كيفية تكوين مصدات الرياح واتجاهاتها وكثافتها (لو كانت من الأشجار) وحجمها وموقعها. بالإضافة إلى ذلك يمكن أن تشكّل مصدات الرياح الشجرية أو النباتية

موطناً للكائنات الحية البرية بما في ذلك الملقحات، ويمكن أن توفر الظل للماشية أو تعزز المناخات المحلية لزراعة محاصيل معينة علاوة على فوائد أخرى. على سبيل المثال لا الحصر تعمل مصدات الرياح الحقلية على حماية المحاصيل الحساسة التي تتأثر بزخم الرياح، ما يساعد على تقليل الأضرار المترتبة على فقدان الرطوبة بسبب عملية النتح الناجمة عن تسرب الماء من أوراق النبات بسبب التبخر الذي يتزايد بفعل الرياح. بالإضافة إلى أن المصدات تساعد في السيطرة على تآكل التربة الناجم عن حركة الرياح وبالتالي حماية التربة الصالحة للزراعة والحفاظ عليها.

وفي سياق مماثل يمكن لمصدات الرياح الحقلية، خاصة

التي تشكلت من بقايا النباتات الطبيعية البرية أو المصدات المزروعة بالنباتات المحلية، أن تزيد من إنتاجية المحاصيل الملقحة بالحشرات من خلال توفير موطن للنحل والملقحات الأخرى. علاوة على ذلك يمكن لمصدات الرياح زيادة فعالية الري عن طريق تقليل الهدر المائي الناجم عن عملية التبخر، وأن تقلل من انجراف المبيدات الحشرية وضياع مفعولها بسبب عنف الرياح. كما باستطاعة مصدات الرياح الميدانية في المزارع العضوية أن تمنع الغبار المحمّل بالمبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب من الانتقال إلى المزارع المجاورة، ما يمنع هذه المواد الكيميائية الزراعية الاصطناعية من التأثير في الملقحات والنباتات العضوية. وفي المناخات الباردة في شتى البلدان يمكن أن تساعد مصدات الرياح الميدانية في توزيع الثلوج المتساقطة بالتساوي عبر الحقول ما يضمن حصول جميع أجزاء الحقل على رطوبة التربة الكافية عندما يذوب الثلج في الربيع.

تقلل مصدات الرياح في المزارع الحيوانية من الآثار السلبية للرياح وتوفر العديد من الفوائد ومن بينها تخفيض تكاليف التدفئة والتبريد. وفي مزارع الحيوانات المفتوحة تساعد مصدات الرياح على تقليل معدلات وفيات الماشية عن طريق حماية الحيوانات من درجات الحرارة القصوى صيفاً وشتاءً وتقلل من درجة الإجهاد الذي تسببه الرياح للحيوانات. كذلك تقلل مصدات الرياح من الاستهلاك اليومي من الأعلاف فعندما تكون الحيوانات محمية من الرياح الباردة في فصل الشتاء فإنها لا تحتاج إلى تناول الكثير من العلائق التي تتغذى عليها لتبقى أجسادها دافئة، وهذه الفوائد تساعد الحيوانات على زيادة الوزن وإنتاج المزيد من الحليب وتوفر بيئة مناسبة للتكاثر الحيواني. بالإضافة إلى ذلك توفر مصدات الرياح للماشية الظل في القيظ وتحمي الحيوانات من الإجهاد الحراري في فصل الصيف وتقلل من بعض الآثار السلبية ذات الصلة بوجود الحظائر ومزارع الماشية بما في ذلك الروائح والضوضاء. ويمكن زراعة مصدات الرياح كأسوار حماية طبيعية على طول الطرق الممتدة أيضاً، حيث تعمل هذه المصدات على زيادة سلامة السائقين من خلال إبقاء الطرق خالية من الانجرافات التي تحملها الرياح خاصة في مواسم سقوط الثلوج في البلدان الباردة علاوة على أن مصدات الرياح تقلل من أثر العواصف الرملية على الطرقات في البلدان الصحراوية.

وفي سيناريو آخر يمكن أن توفر مصدات الرياح الشجرية قيمة جمالية نادرة من المناظر الطبيعية الخلابة في حين أنها تشكل مصادر إضافية للإنتاج تزيد من دخل المزارعين اعتماداً على نوعيات الأشجار والنباتات الموجودة في مصدات الرياح. ويمكن أن تشمل المنتجات الأخشاب والفواكه والمكسرات والأعلاف وبعض المواد اللازمة للصناعات اليدوية. لكن يجب حصاد منتجات الأشجار والشجيرات بطريقة تحافظ على مصدات الرياح ووظيفتها الرئيسية المتمثلة في إبطاء الرياح وإعادة توجيهها.

ونظراً للأهمية البيئية للأشجار والشجيرات والنباتات ذات الصلة يمكن أن توفر مصدات الرياح عدداً من الخدمات للنظام البيئي والتنوع البيولوجي. وبالإضافة إلى أهميتها في توفير موائل للملقحات يمكن لمصدات الرياح أن تزيد التواصل بين الأنواع البرية المتعددة الأخرى ويمكن لشبكات مصدات الرياح أن تساعد في ربط الغابات المجزأة معاً وتسمح للحيوانات بالانتقال بأمان من منطقة إلى أخرى. وفي حالة تم تضمين أنواع نباتية متنوعة في مصدات الرياح فسوف توفر طعاماً ومأوى لمجموعات متعددة من الحيوانات والطيور خاصة الطيور المهاجرة. من ناحية أخرى تعمل مصدات الرياح على عزل الكربون مما يساعد في التخفيف من ظاهرة الاحتباس الحراري الناتج عن النشاط البشري.

وعند إنشاء مصدات الرياح يجب أن يكون اتجاهها عمودياً على الناحية التي تأتي منها الرياح في معظم الأحيان. أما إذا كان اتجاه الرياح متغيراً فإن الأمر يستلزم إنشاء مصدات الرياح ذات الاتجاهات المتعددة التي يمكن أن توفر حماية أفضل من مصدات الرياح ذات الاتجاه الواحد. علمياً عندما تضغط الرياح على الجانب المواجه لها من مصدات الرياح - خاصة لو كانت تتكون من شجيرات قصيرة - يتزايد ضغط الهواء وتتجاوز الرياح المصدات من خلال المرور من فوقها ومن حولها. وكلما كانت الأشجار التي تتشكل منها مصدات الرياح والمزروعة في المساحة الواقعة على الجانب المواجه للريح أكثر امتداداً وطولاً وكثافة فإنها تؤدي إلى تخفيض سرعة الرياح بشكل ملحوظ، ويتحدد مدى فعالية مصدات الرياح من شكل المصدات ومساحتها الإجمالية على الجانب المواجه للريح. بشكل عام يجب أن تكون مصدات الرياح أطول بكثير من ارتفاعها من أجل تعظيم المساحة المحمية. ويمكن زيادة كثافة مصدات الرياح عن طريق زراعة صفوف متعددة من الأشجار أو عن طريق زراعة الشجيرات قريبة بعضها من بعض ■

* خبير الترجمة في الأرشيف والمكتبة الوطنية - أبوظبي

الباب والموروث الشعبي

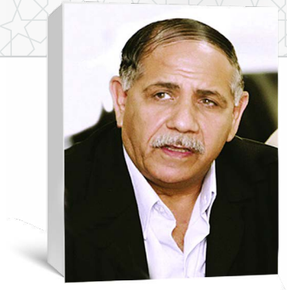

عبد الفتاح صبري
روائي وناقد مصري

الموروث الشعبي هو ذاكرة الشعوب ونبض حيويتها ومخزون حكمتها فيه ترى القيم والسلوك والعادات راكزة في أقنية من رقائق حافظة لهذه القيم التي تعبّر عن سيرة الناس وتطور ثقافتهم وعلائقهم ومعتقداتهم وطقوسهم عند الفرح أو الحزن والملمات وعند الوداع والاستقبال وعند الفقد أو الحرمان.. كما أنه مرآة لعاداتهم اليومية وفي المناسبات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة.. وهناك طرائق للتعبير والحفظ منها الأمثال الشعبية التي تمثل ذاكرة حية للشعوب ومخزناً مهماً عن مكنون أفكارهم ومعتقداتهم وفلسفة الحياة ونظرتهم للأشياء واستخداماتها المعنوية والمادية.. والأمثال التي لا نعرف من أطلقها تصبح أداة للكشف وتحليل سلوك الناس ومعتقداتهم.

الباب أحد أهم معالم الحضارة الإنسانية لأنه تؤَمّن للإنسان حين يوفر العديد من فرص الطمأنينة والرضا والسكينة، حين يكون حارساً ومَدْخَلاً مغلقاً على حيواتهم وأسرارهم ومكتنزاتهم، ويمثل الباب الوجاء وأمل ورجاء الحماية والستر وتغليف المكان أو السكن أو الذود بغلاف الطمأنينة والأمان والحماية، ولذلك سنرى أن للباب حظوة أمنية ورمزاً مهماً لحضارة الإنسان وتعددت وظائفه المادية والمعنوية حتى إنه أصبح رمزاً معنوياً للشموخ والرضا والطمأنينة وقوة المنع، واستخدمته الحضارات كلها ليكون حارساً على المدن والديار لما كانت المدن القديمة محاطة بأسوار المنعة والحفظ، وكان الباب رمزاً لشموخ المدينة بل وقلعة حمايتها بجوار أنه للدخول والخروج من المدينة وإليها.

هكذا كانت المدن القديمة في حضارات العالم كلها التي لجأت إلى هذه التقنية لحماية الناس وأهل المدينة قاطبة مثلما نرى في الحضارة الإسلامية مثلاً في مدننا العربية في مصر والشام والمغرب العربي كله.

الباب استحوذ على تفكير الناس ومخزونهم الثقافي وطقسهم الاجتماعي أي إنه ارتبط بعادات الناس وقيمهم أيام الجاهلية مثلاً كانت البادية هي مسكن الناس والخيمة هي مأوى النوم وحماية الأهل عن أعين الناس. وإذا جن الليل كان الأعرابي الكريم يقدح النار ليصل إليه المحتاج كي يكرمه ويأويه، كانت النار علامة على الكرم وباباً للمكان المفتوح يلجأ إليه من يريد أن يلوذ إلى مكان آمن.. الآن لما أصبحت هناك دار ولها باب فإن أهل الدار الكرماء مثلاً لا يغلقون الباب ليكون مدخلاً ميسراً وسهلاً لأصحاب الحاجات، هنا ارتبط الباب بقيم الناس وبشعيرة الكرم وسلوك صاحب الدار الذي يريد أن يقدم المساعدة للمحتاج دون عنت أو ذل السؤال لفتح الباب أولاً ثم الدخول، كما تكشف العلاقة بين الباب والإنسان عن قيم هذا الإنسان وسلوكه وعاداته، فإن كان من الوجهاء والأغنياء وأصحاب الجاه أو متنفذاً فالباب يكون كبيراً يعكس مكانة صاحبه، وإذا كان الباب باباً للحكم فإن الباب هنا يكون فخماً ومزيناً برموز وتشكيلات ورسومات فنية وباباً كبيراً وعالياً ومتعالياً لأنه يكشف عن مكانة اجتماعية لصاحبه. ولذا تداخلت العلاقة بين الباب وصاحبه وأصبح كاشفاً عن الوضعية والمكانة الاجتماعية لهذا الصاحب وعن سلوكه في التعامل مع الآخرين أيضا من خلال وضعية الباب.. أهو مغلق دائماً أو مفتوح أحياناً أو مفتوح إلى الأبد (دائماً).. إذا كان الباب مغلقاً دائماً فإن صاحبه رجل انطوائي يحب العزلة ولا يحب الاختلاط.. وإذا كان مفتوحاً أحياناً معناه أنها أوقات يستحب فيها التواصل دون غيرها بين الداخل والخارج والعكس.. وإذا كان مفتوحاً إلى الأبد فهو تعبير عن أن أهل الداخل كرماء وبابهم مفتوح دون تحفّظ ويمتلكون الحس الاجتماعي وحب الناس والآخرين أيضاً لأن بابهم مفتوح دون تحفظ.. ومن زاوية أخرى يعبّر الباب المفتوح عن الطمأنينة الاجتماعية والأمان المجتمعي الذي يهيمن على عموم المكان لأنه لا خوف من الآخرين وأن الباب الذي لا يرد أحداً يعني الرضا والقناعة والأمان والتواصل الشفيف بين المجموع.. هذه السلوكيات الاجتماعية والثقافية التي تفضحها وضعية الباب الكاشفة عن القيم الإنسانية الحاكمة للجماعة في الحي أو القرية أو المدينة أي إن الباب ينبئ عن سلوك الناس وعاداتهم ومعتقداتهم، ولذلك حمل الموروث الشعبي والذاكرة الجمعية ومن خلال الأمثال إحدى أهم أدوات هذه الذاكرة في الحفظ لبعض هذه السلوكيات من خلال علاقتهم بالباب ونظرتهم الفكرية والفلسفية والاجتماعية التي تكشف بوضوح تام عن القيم والعادات، ومن هذه الأمثال مثلاً التي تكشف عن أهمية غلق الباب على المكان أو الدار التي يحميها وكذلك عن نظرة بعض الناس من الناحيتين الاجتماعية والثقافية لهذا الغلق. فهناك مثل يقول: «باب مردود شر مطرود». أو برؤية أخرى: «الباب المقفول يرد القضا المستعجل»، وبالتأكيد هذا المثل موجود بصيغ أخرى في عموم البلدان العربية، ووفقاً للهجة المنطوقة.. ويعني المثل أن هذا الإغلاق يقي من الشرور ومن الأمور غير المتوقعة كأن يدخل حيوان أو وحش مثلاً أو ريح قوية أو أتربة أو حتى بشر غير مطلوبين للدخول المفاجئ، بمعنى أنه كلما كان الباب مغلقاً كان الوضع أكثر أماناً واطمئناناً من أي شرور غير متوقعة وليست على البال، وهذا يعني في اليقين الجمعي وفي الثقافة الاجتماعية الحذر والخوف، وأن الطمأنينة لن تأتي إلا بالإغلاق، هذا الحذر المطلوب يؤكده مثل آخر في سياق موضوع إغلاق الباب ولكنه بزاوية أخرى وللغرض نفسه، «الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح»، هنا الحض على الإغلاق إذا كان فتح الباب يسبب لك أي إشكاليات مع الخارج.. مع الناس مع المحيط والريح، هنا بالتأكيد رمز للإشكاليات المادية والمعنوية.. لأن الريح هنا تمثيل لبعض الأمور المعنوية وحتى المادية التي يريد صاحب المكان أن يتقيها فإنه يغلق بابه للاتقاء والمنع ولرد هذه الإشكاليات المتعددة المعنوية والمادية وفي رؤية معاكسة للإغلاق هناك بعضهم الذي يرى في فتح الباب تواصلاً وكرماً ورمزاً للعطاء والإغداق مشابه لموضوع النار في المراحل المبكرة للتطور الإنساني لما كانت رمزاً للعطاء والكرم. فالمقصود أن الباب المفتوح رمز لعطاء صاحب الدار وكرمه، وأن قيم هذه الفئة من الناس وسلوكها وعرفها أنها تتصف بالكرم والسخاء وتلبية حاجات الناس وأن الله لن يخيب رجاءهم أيضاً وسيظلون كرماء والله معطيهم الخير والرزق ليواصلوا هذا الكرم وذاك العطاء.

ومن زاوية أخرى يرى بعضهم أن هذا الفتح يكشف عن سلوك غير سوي حيث إنه يكشف عن المستور والمخبوء، وأن هذا ربما نقيصة مذمومة فهي تجعل أصحاب الداخل مكشوفين للخارج، وأن الفتح هنا فضح واستهتار بالقيم لمن هم في الداخل في أن يكونوا مكشوفين للآخرين أو لغير المخولين بالاطلاع، ويطلقون عليهم المثل «الباب المفتوح مفضوح».

كما يكشف الباب عن حالات الغضب والشجار بين أهل الدار وبعضهم أو أهل الدار ومن يتعاملون معهم في الداخل، فيكون الباب عنواناً للطرد وإعلان حالة الشجار القصوى ويطلقون المثل، «الباب يفوّت جمل»، وهو دليل على عدم الرضا عن وجود الشخص الذي يتم التنازع معه أي إن الباب أصبح هنا وسيلة للطرد وعدم القبول بوجوده.

وفي إحدى الإشارات لصاحب الباب الذي يصادف أن يكون غير قادر مادياً على إصلاح بابه أو وضع باب جيد، وكما سبق أن أوضحنا سابقاً أن الباب يكشف عن وجاهة صاحبه وقدرته مادياً واجتماعياً.. ولكن حين يطلق المثل «باب النجار مخلع»، فهو إقرار أيضاً بأن صاحب المهنة كسول وغير قادر معنوياً على إصلاح بابه إمعاناً في كسله وعدم اهتمامه ببيته، وربما يدل على انشغاله في عمله وفي إصلاح أبواب الآخرين.

هذه الأمثلة وغيرها تكشف عن الوعي الشعبي وقيم الناس وسلوكهم الاجتماعي من خلال أمثلة تطلق على الأبواب تعبر عن هذه الحالات الاجتماعية والثقافية، وذلك لأن الأبواب لصيقة بحياة الناس ولها أهمية قصوى في مشوار الحياة الآمنة المطمئنة، وأن الباب له دور مهم فهو الذي يكشف عن سلوكنا وحيواتنا وحضارتنا ويعكس ما فيها، فارتبط الباب بالسلوك والقيم والعادات، ولذا لم تهمله الذاكرة ولا الموروث الشعبي من خلال الأمثلة الكاشفة عن تلك القيم والعادات ■

جزيرة الأساطير (كريت)

ضياء الدين الحفناوي

تعتبر جزيرة كريت مسقط رأس أول حضارة عُليا وهي حضارة (كوس) التي ازدهرت في الفترة ما بين 3000 قبل الميلاد و1200 بشكل رئيسي في وسط جزيرة كريت وشرقها. وحتى اليوم لا تزال قصور جالاتا المهيبة وقصور أمنيسوس وماكريجيالوس وفاثيبيترو الفاخرة وروعة الحضارة المينوية وصياغة الفضة والرسم في تفاصيلها شاهدة على هذا المكان المميز وتاريخه الثري. وكان الأسطول (المينوي) معروفاً بتجارة كريت في المنتجات الزراعية الشهيرة، آنذاك، حيث يتم بناء السفن في أحواض بناء السفن الكبيرة، مثل: حوض بناء السفن (أجيوس ثيودورس) وتبحر هذه السفن في اتجاهات البحر الأبيض المتوسط جميعها وكذلك الدول الإسكندنافية، وسيطرت عبادة الإلهة الأم على التقاليد الدينية للمينويين الذين استخدموا العديد من الكهوف **وقمم الجبال كأماكن للعبادة وتسلق الحجاج من جميع أنحاء الجزيرة جبل يوشتا المقدس لوضع قرابينهم والصواني ذات النقوش المينوية والطاولات الطينية في الحرم العلوي أو في كهف (هوستوس نيرو) توجد محميات الذروة، وهي مخصصة للعبادة أيضاً في ذلك العصر على قمم أخرى مثل فريسينا وبيتسوفاس وتروستالوس وزو وكارفيو.**

الفترات المظلمة: رحلة عبر تاريخ كريت

من الفترات المظلمة في تاريخ جزيرة كريت حينما برزت ذروة القصور المينوية العظيمة والمباني المهيبة منذ عام 2000 قبل الميلاد حتى 1400 ق.م. ففي 1700 ق.م، حيث تمت تسوية المدن المينوية بالأرض بسبب بعض العوامل التي لا يمكن فهمها ربما ثوران بركان سانتوريني أو زلزال مدمر، ولا يوجد دليل قاطع تاريخياً على ماهية هذا الحدث، وأعيد بناء القصور بشكل أكثر روعة بعد ذلك، لكن تم تدمير المراكز المينوية العظيمة على يد الميسينيين نحو عام 1400 قبل الميلاد وكانت بداية الانخفاض واهتزت الإمبراطورية المينوية بشكل لا يمكن إصلاحه ونتيجة لذلك لم تتمكن من التعافي ثم اضمحلت في القرون التالية ما سمح للآخيين والدوريين بغزو الجزيرة. وعانى سكان المناطق الساحلية من ذلك وهم الذين شعروا لأول مرة بالتهديد بالاستيلاء على جزيرتهم وتراجعوا إلى القمم الأكثر وعورة وانحداراً، ثم بدأ ما يسمى بالعصر المظلم (1200 ق.م – 800 ق.م) حيث تم خلاله بناء المدن في أصعب الأماكن وأكثرها تحصيناً طبيعياً وحتى اليوم لم يتم التأكد من السبب الذي أجبر المينويين على التخلي عن أراضيهم الخصبة وبناء مدن منيعة على قمم تعصف بها الرياح على قمم الجبال. وخلال العصور المظلمة كان العيش في مثل هذه المناطق التي يتعذر الوصول إليها أمراً قاسياً للغاية لدرجة أنه في غضون بضعة قرون كانت هذه المستوطنات ستتراجع وتختفي بشكل طبيعي، وفي الفترة نفسها مهّد الآخيون والدوريون الطريق لازدهار الهيلينية الكلاسيكية وتم إدخال عادات جديدة مثل استخدام الحديد وحرق الموتى وأشكال جديدة للملابس.

وبدأت الجزيرة في العودة ببطء إلى المقدمة وتم تعزيز مدينة كنوسوس إدارياً وتم تطوير مدن جديدة مثيرة للإعجاب مثل إيرابيتنا، وإيتانوس بالقرب من فاي وأكسوس في مقاطعة ميلوبوتاموس وبرايسوس، وسيفريتوس، ودريروس وريزينيا وتريبتوس وبعد احتلال الرومان لجزيرة كريت في عام 69 بعد الميلاد تم تعيين جورتينا كعاصمة للجزيرة التي تطورت في الواقع لتصبح عاصمة المقاطعات الرومانية في كريت وكيرينيا، وكانت المدينة كما يرى الزائر حتى اليوم تحتوي على مجمعات مهيبة من الحمامات والمسارح والملعب وميدان سباق الخيل والأكروبول والمعابد، بينما كانت موانئها ماتالا ولاسايا وليفينا في ليندا، وقد ازدهرت العديد من المدن الأخرى ومن بين المواقع الأثرية الأكثر إثارة للإعجاب اليوم هي (إليفثيرنا وبوليرينيا) المحصنة جيداً وإيرابيتنا وليتوس وإليروس وأبتيرا ولابا وأولوس ولاتو وبريانسوس ومع إنشاء المستعمرات الكريتية في صقلية ومرسيليا وقورينا في القرن السابع قبل الميلاد ازدهرت التجارة مرة أخرى وتفوقت العديد من الموانئ في القوة التي تطورت بعد ذلك إلى مدن مهمة هي فالاسارنا وليسوس وهيرونيسوس ولاتو إلى كامارا وإيناتوس وغيرها وأصبحت من أهم الموانئ العاملة في هذا الوقت في منطقة البحر المتوسط. وفي رحلته إلى روما توقف القديس بولس في جزيرة كريت وأعلن المسيحية وأشعل شعلة تقليد نسكي من قرون ولا تزال آثاره نجدها حتى اليوم في مناسك أستيروسيا والمناطق التي مر بها هذا القديس، وسرعان ما تحولت الجزيرة إلى مجتمعات زاهدة نابضة بالحياة وأصبحت مركزاً مسيحياً عظيماً. ومع مرور الزمن وبعد استيلاء الصليبيين على القسطنطينية عام 1204 أصبح الحكام الجدد لجزيرة كريت هم (البندقية) حتى عام 1669، وخلال هذه الفترة شهدت جزيرة كريت ازدهاراً اقتصادياً وروحياً استثنائياً وتم إعادة بناء المدن الكبرى وتزيينها بآثار رائعة وتحصينها بأسوار ضخمة، وفي الوقت نفسه وصلت الفنون إلى ذروتها مع شخصيات عظيمة من مجال سيرة القديسين مثل دومينيكوس ثيوتوكوبولوس (إل جريكو) ومايكل داماسكينس.

كما ازدهر الأدب والموسيقى والمسرح وأنتج روائع حقيقية مثل إروتوكريتوس وهيروفيل وتم إيقاف كل هذا بعنف في عام 1669 عندما استسلمت خانداكاس آخر قلعة في جزيرة كريت للعثمانين بعد حصار طويل. ففي القرن السابع عشر وبعد أن

ضمن العثمانيون الحفاظ على القسطنطينية في أيديهم حولوا أنظارهم إلى الفتوحات الجديدة واكتسبت جزيرة كريت دوراً مركزياً في سياستهم التوسعية نظراً إلى موقعها الاستراتيجي في البحر الأبيض المتوسط وبعد معارك ضارية تمكن العثمانيون عام 1645 من الاستيلاء على خانيا وريثيمنون عام 1646، ولكن القلعة الأخيرة قلعة خانداكا الكبرى ظلت في أيدي البنادقة حتى عام 1669 عندما سقطت غدراً بعد حصار دام 21 عاماً، وكان استسلام الخندكة للعثمانيين بداية فترة استشهادية لسكان الجزيرة وأدى الموقف القاسي للعثمانيين تجاه السكان المحليين إلى قيام الكريتيين بالعديد من الثورات خاصة مع تحرير «اليونان الأم».

وبعد قرون من العبودية ناضل الكريتيون بمزيد من العناد والتصميم من أجل حريتهم بشكل رئيسي خلال فترة الثورة الكبرى 1866 - 1869، التي كانت أهم الأحداث فيها محرقة أركاديو ولاسيثي وبدا التحرير أقرب من أي وقت مضى وقد استغرق الأمر بضع سنوات أكثر صعوبة لقيادة جزيرة كريت إلى الحكم الذاتي في عام 1898 وإلى الاتحاد مع اليونان في عام 1913، ففي الأول من ديسمبر من العام نفسه انضمت جزيرة كريت رسمياً إلى بقية اليونان محققة حلم جميع الكريتيين في الاتحاد المنشود بالفعل مع اتحاد كريت برزت الشخصية السياسية لفثيريوس فينيزيلوس من خانيا رئيس وزراء اليونان لاحقاً، لكن المعارك الكريتية لم تنته هنا إذ كان من المقرر أن تُختبر الروح الكريتية مرة أخرى في معركة كريت عام 1941 التي كانت من أكثر المعارك حسماً في الحرب العالمية الثانية؛ وذلك بسبب موقع الجزيرة الاستراتيجي في البحر الأبيض المتوسط، ولقد ولدت جزيرة كريت من جديد من رمادها حتى يومنا هذا وهناك آثار متناثرة في كل ركن من أركان الجزيرة لتذكير الزائر بمعاناة الحرب وقيمة التعايش السلمي بين الشعوب وفي أنحاء جزيرة كريت جميعها يمكن للمرء أن يرى منشآت الألمان لدعم آلاتهم الحربية ويمكن العثور على مدافع رشاشة مدمرة في رؤوس ليثينوس وسباثا وأفورسمينوس وأكروتيري درابانوس وبلاتانياس وبلاكياس شديدة الانحدار والعديد من الأماكن الأخرى ويمكن للزائر زيارة مقبرة الحلفاء في منطقة سودا والمقبرة الألمانية في منطقة ماليم حيث جرت معركة كريت.

جزيرة غنية بالتاريخ والثقافة لتجربة لا تنسى

تعتبر جزيرة كريت اليونانية مكاناً غنياً بالتاريخ والثقافة ومن بين الأماكن المهمة التي يمكن التمتع بزيارتها. ويعد قصر نوسوس واحداً من أهم المواقع الأثرية في كريت حيث يتمتع بتاريخ طويل يعود إلى العصور البرونزية ومدينة هيراكليون أيضاً العاصمة الحديثة لكريت وتحتضن متحف هيراكليون الذي يعرض العديد من القطع الأثرية المهمة من تاريخ الجزيرة وجبل(إدي) الذي يعتبر أعلى جبل في اليونان ويقدم إطلالات رائعة على الجزيرة والبحر الأيوني، ومدينة ريثمنو أيضاً التي تشتهر بمعمارها الجميل وشواطئها الرائعة، ومدينة كانيا وهي مدينة ساحلية تاريخية تتميز بمينائها الجميل والبنية العمرانية التقليدية، ومعبد موناستيري أركادي يُعد أحد أهم المعابده اليونانية القديمة ويحتفظ بتاريخ طويل يعود إلى القرون الوسطى، وهناك العديد من المواقع الأخرى التي تضيف إلى تجربة استكشاف التاريخ والثقافة في هذه الجزيرة الرائعة وتعد شواطئ كريت من أجمل الشواطئ المطلة على البحر

الأبيض المتوسط والوجهة الصفية المفضلة للكثير من الزوار من أنحاء العالم كله، بفضل رماله الوردية الفاتحة والمياه الزرقاء الصافية وشاطئ بالي وشاطئ فايدو وشاطئ بريتشي وغيرها أيضاً.

اهوية الثقافية لسكان الجزيرة

يتميز سكان جزيرة كريت بتراثهم الثقافي الغني الذي يتضمن العديد من العادات والتقاليد، ويعتبر الرقص والموسيقى جزءاً مهماً من حياة السكان ويعكس الهوية الثقافية للجزيرة، وتعكس الحرف التقليدية الهوية الثقافية لأهل الجزيرة، مثل صناعة السجاد والنسيج والخزف وغيرها. وتقام على أرض الجزيرة العديد من الاحتفالات الدينية والمحلية، مثل احتفالات عيد القديسين ومهرجانات العنب والزيتون. ويظهر السكان الضيافة الكريتية كالترحيب الكبير تجاه الضيوف والزوار التي تشكل جزءاً رئيسياً من حياتهم اليومية الحياة اليومية، حيث ينحدر السكان من خلفيات متعددة ويتميزون

بالتنوع ويشكل اليونانيون الأصليون أغلبية سكان كريت ويتحدثون اللغة اليونانية ويتبنّون الثقافة اليونانية التقليدية وتوجد أقليات دينية صغيرة تشمل المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك وهم جزء من تنوع الديانات في الجزيرة.

المحاصيل الزراعية

تعتبر جزيرة كريت واحدة من أهم المناطق الزراعية في اليونان وتشتهر بالعديد من المحاصيل الزراعية مثل الزيتون حيث تنتج الجزيرة كميات كبيرة من زيت الزيتون ذي الجودة العالية والمشهور عالمياً، كما تنتج العنب والحمضيات مثل البرتقال والليمون والجريب فروت. بالإضافة إلى الفواكه مثل: الرمان والعنب والتين، كما يزرع في الجزيرة مجموعة متنوعة من الخضروات، مثل: الطماطم، والفلفل، والباذنجان، والخضروات الورقية، وهذه المحاصيل تشكل جزءاً مهماً من الاقتصاد الزراعي في كريت وتسهم في العديد من المنتجات الغذائية عالية الجودة التي تحظى بشهرة عالمية ■

كاتب من مصر

عزي لقلب

إعداد: نايلة الأحبابي

الشاعر راشد بن حمر عين الظاهري

عـــزي لقلـــــب لـــــده الـــود ... يمـــــــسي ينـــوح ودوم مجهـــود
عـــن الشـــراب وقوتـــه مصـــد ... وينـــوح يـوم العالـــم رقـــــود
مـــا يـــدري أن الـــود يجـــــهد ... ويدعي قـــوي الحـــيل مبـــــيود
كلـــما عذلتـــه عانـــد وصـــد ... تابـــع هـــوى بو خـــصر مجلـــود
كـــم قلـــت لـــه رد وعـــصى يـــرد ... وش حيلتـــي فـــي قلـــب عنـــود
متـــعلل والحـــال ملتـــد ... لد الفـــحل مـــن عقـــب لهـــدود
ولـــي غـــضت الدلهيـــن يجهـــد ... ويهيضـــه لي ذعـــذع النـــود
وتفيـــض عبراتـــه علـــى الـــخد ... فيـــض الجوابـــي وقـــت لـــورود
ويطيـــر مـــن العينيـــن الأثـــمد ... وأدعـــى المدامـــع م البـــكي ســـود
يبـــكي علـــى المحبـــوب لمـــود ... بكـــي اليتامـــى عنـــد لجـــدود
قلبـــي بحـــب صخيـــف الـــخد ... هايـــم هيـــام مالـــه بلـــود
شـــروى مطـــرطايـــح وجـــود ... أهـــواه وان سألونـــي أجـــحد
والقـــاع مـــن قبـــل المطـــرجـــود ... وربحـــان ياللي يكتـــم الـــسد
عـــن عـــين عذالـــي ولحســـود ... تلـــقى غزيـــر السـد في سعـــود
وليـــت الأهـــبه تنـــقل الـــرد ... وتـــجيب من الأحـــباب مـــردود
إن كـــان باطـــرش وبفنـــد ... ســـلام للمحبـــوب مفنـــود

القصيدة للشاعر راشد بن حمر عين الظاهري، وهو من مواليد البادية الواقعة شمال غرب مدينة العين في نحو عام 1940. وقد بدأ الشاعر قصيدته مواسياً ومعزياً قلبه الذي صدته المحبة، بعد أن كان يقضي وقت المساء في نوح وتعب مبتعداً عن الطعام والشراب بسبب حنينه وبعده عن أحبابه. ثم يقول معاتباً ما يدري أن المحبة تضني المحب شوقاً وتعباً ثم يذكر سبب ذلك في قوله إن محبوبته لا تقبل نصيحته وعذله. ثم يصف حالته حينما ينام الدالهين يشكي حاله وتعيد ذكراه وتهيض شوقه النود الباردة إذا ذعذعت نسائمها، وتفيض عبراته في وصف مجازي واستعارة مكنية بقوله: إن الدموع تفيض مثل الجواب وهي القربة الكبيرة المملوءة بالماء، ثم يعرج بوصف جميل لحالة الدمع الذي تنهمر عيونه بمدامع سوداء لشدة حزنه وشوقه ويبكي فراقه مثل اليتامى، ثم يذكر أنه يجحد وينكر إذا سأله العذال عن محبوبه، وبعدها يقول إن من يحفظ سره ومابه يعيش سعيداً ويتمنى قائلاً ليت الأهبة: أي الهبوب وهو نسيم الهواء يحمل الرد والسلام ويكون مرسالاً بين الأحباب حتى يبعث معه سلاماً مميزاً وعزيزاً لشخص غالٍ على قلبه ومقرب من نفسه. وهذه قصيدة تميزت في مضمونها ومعناها وقافيتها، فنشعر بها تتغلغل في المسامع بترنيم بدوي أصيل ما يعطيها لمسة جمالية تنضح بمكونات البداوة الخالدة التي تتجدد جمالاً بسلاسة الطرح وقوة المفردة.

المفردات: عزيز لقلب: عزائي ومواساتي، لده: ابتعده واشقاه، مصد: مبتعد ومنصرف، مبيود: بائد فلا يحتمل وانهارت قواه، بوخصر ميلود: نحيل الخصر، متعلل: عليل، غضت الدلهين: غفوا السالين من الهم. الجوابي: القرب الكبيرة الممتلئة، صخيف: ناعم، بلود: حدود وبلدان، باطرش: برسل، مفنون: مميز.

ارتياد الآفاق

رحلة حج إلى نجد - الليدي آن بلنت 1878م

عاشقة البوادي والخيول العربية

محمد عبد العزيز السقا

رحلة حج إلى نجد - الليدي آن بلنت 1878م

عاشقة البوادي والخيول العربية

محمد عبد العزيز السقا

أميرة نبيلة من أسرة أوروبية مرموقة، وحفيدة أمير الشعراء الرومانسيين في إنجلترا في القرن التاسع عشر، ذاعت شهرتها في بريطانيا كمربية للخيول تقتني أجود الخيول من السلالات العربية الأصيلة، وتربيها في ضيعة كرابيت بارك، وتصدّرها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

حين زارت الرحالة والرسامة والمستكشفة الإنجليزية الليدي آن بْلَنْت (Lady Ann Blunt) جزيرة العرب عام 1875م، بهدف البحث عن الخيل العربي، وحياة البداوة، وضعت كتاباً سمته «الحج إلى نجد - موطن العرق العربي»[1] ضمنته مشاهدات قيّمة عن الجزيرة العربية وأحوالها حينئذ، شملت الإنسان والطبيعة والعادات والثقافة حتى الفنون.

جاء كتابها ليصف رحلتها الحافلة، وعندما طبعته بعد عودتها، حاز الشهرة والانتشار بسبب لغته الراقية وأسلوبه المشوق، حتى قيل إن زوجها هو الذي كتب لها النص، واسمه وليفرد بلنت الذي كان شاعراً وسياسياً محنكاً، استقال من عمله الدبلوماسي بسبب معارضته للسياسة البريطانية الإمبريالية وقرر أن يرحل متجهاً إلى الصحراء مع زوجته وإلى أفريقيا وأماكن أخرى كثيرة. ولكني أرى أنها هي من كتبت الكتاب فقد كانت شاعرة وموسيقية ورسامة تجيد لغات عدة منها العربية.

طبعت النسخة العربية للمرة الأولى بعد أن كلف الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - الكاتب محمد أنعم غالب بترجمة مقتطفات مهمة من الرحلة وربما تحرج من ترجمتها بكلمة الحج إلى نجد فسماها رحلة إلى بلاد نجد. ثم طبعتها دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي، مركز أبوظبي للغة العربية في نسخة فاخرة ضمن سلسلة رواد المشرق العربي بعنوان «حج إلى ربوع نجد مهد قبائل العرب 1878 - 1879م» ، كما طبعت في مصر بمعرفة المركز القومي للترجمة، المشروع القومي للترجمة، في جزأين بعنوان الحج إلى نجد. تقدم الرحلة أول وصف تفصيلي عرفته أوروبا عن جنوب بادية الشام وشمال نجد، وطريق قافلة الحج الفارسي بين نجد وفارس، من خلال اليوميات التي درجت الليدي آن بلنت على تسجيلها وهي بصحبة زوجها طوال الرحلة من دمشق إلى نجد، إلى أن حطا رحالهما في ميناء بو شهر، ثم توقفت عن الكتابة فيما سجلته من أخبار الرحلة في هذا الكتاب، وإن كانا قد تابعا الرحلة من بو شهر إلى الهند.

لماذا لاحقت الرحلات الأوروبية جزيرة العرب؟

يرجع اهتمام أوروبا بأحوال الجزيرة العربية، إلى الموقع الجغرافي الذي احتلته جزيرة العرب بين الإمبراطورية البريطانية في الهند والبحر المتوسط؛ حيث أوروبا ودولها المنافسة لبريطانيا، وبين بريطانيا نفسها التي تريد أن تجعل من الجزيرة العربية منطقة حاجزة بين الطامعين في إمبراطوريتها الهندية وخط الدفاع الأول عن تلك الإمبراطورية وهو الخليج العربي.

ميزة رحلة الليدي آن بلنت

أظهرت الليدي آن بلنت هويتها وزوجها وعقيدتهما الدينية دون خداع أو تستر خلف أسماء مستعارة، معتمدين على رصيد الصداقة مع القبائل العربية بمبادرة وشغف شخصي، وعلى نفقتهما الخاصة على عكس الرحلات الأخرى، ما أضفى على الرحلة طابعاً فريداً، وبحكم كونها أنثى انفتح لها باب الاتصال بحريم البدو والحضر فقدمت كتابة فريدة ودقيقة عن النساء في المشرق، كما أتقنت بلنت اللغة العربية إلى درجة تذوق الشعر النبطي وفهم الأهازيج الشعبية والتغني بها، وبلغ إعجابها وزوجها بالقبائل العربية وأعراف البادية حد التعصب للعرب، وإضافة إلى الكتابة فقد زينت بلنت رحلتها بأربع عشرة لوحة رسمتها بريشتها مثل: لوحة العاصفة الرملية، ولوحة واحة الجوف، ولوحة حفل الاستقبال الذي أقامه ابن الرشيد حاكم حائل لهما، وغيرها، كما أن الرحلة عامرة بالتفاصيل التي ترسم صورة غاية في الأهمية للتداخل القبلي على الحدود بين العرب والفرس والأكراد، ومن يقرؤها بتمعن سيضع يده على جذور التفاعلات الحضارية في تلك المنطقة.

ضربة البداية: سحر الصحراء

كانت بداية اهتمام آن وولفرد بلنت بالصحاري العربية وسكانها الرحلة الأولى التي قامت بها وزوجها في شتاء 1870م إلى مصر مع شركة توماس كوك للرحلات السياحية، وكان لهما ميل خاص للمغامرة جعلهما يختاران زيارة القدس بغير طريق البحر، حيث اشترى الزوجان خيلاً وإبلاً وشقّا صحراء سيناء إلى القدس دون دليل برفقة مجموعة من بدو الشرقية في مخاطرة كادت تكلفهما حياتهما عندما ضلت القافلة الطريق، ونفد مخزون الماء، وكادوا يهلكون عطشاً لولا الصدفة التي وضعت في طريقهم نفراً من قبيلة العزازمة رووا عطشهم، وأكرموا وفادتهم، ليصبح العزازمة أول من صادق بلنت من القبائل العربية البدوية، وكما هي عادة الصحراء الساحرة سلبت هذه المغامرة لبهما، وجعلتهما يعقدان العزم على تعلم العربية ومعرفة المزيد عن البادية العربية وأهلها، فكانت رحلتهما الثانية التي بدأت من حلب حيث قام القنصل البريطاني بحلب بمعاونتهما في اختيار الخدم والأدلة الأكفاء وشراء الخيول العربية الأصيلة وما يلزم، وبدلاً من أن تتجه القافلة جنوباً عبر بادية الشام إلى نجد، استمعا لنصيحة القنصل بالاتجاه شرقاً عبر بلاد عرب الجزيرة الفراتية، ومن

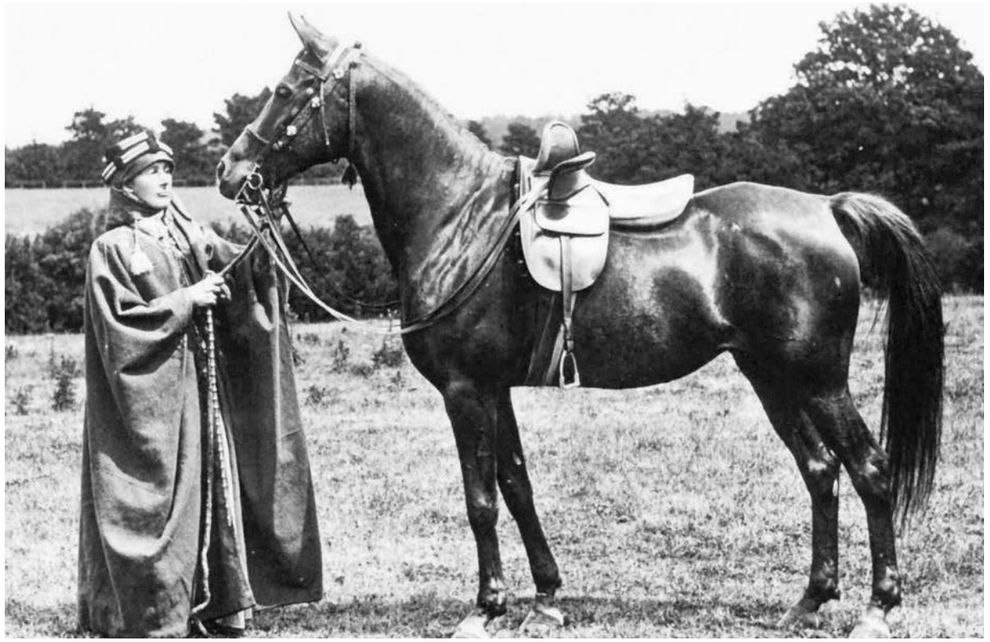

هناك جنوباً إلى بغداد ثم العودة. كان مسار الرحلة - على هذا النحو - في بلاد لم تظهر تفاصيلها على خرائط كسنى Chesney، يرمي إلى استثمار فضول آل بلنت لمساعدة القنصل في رسم خريطة دقيقة لطبوغرافية المنطقة وسكانها يستفيد منها في دعم الفكرة البريطانية لإقامة مشروع خط حديدي يربط حلب ببغداد عبر الجزيرة الفراتية، والأرجح أن الزوجين بلنت قبلا بالاقتراح لإضفاء قيمة علمية لمغامرتهما، وللاستفادة من خطابات التقديم لبعض الشخصيات التي تفيدهما في العراق، ولكن الثابت أن الرحلة الفراتية زادتهما ميلاً إلى القبائل العربية والثقافة البدوية، بل تآخى ولفرد بلنت مع الشيخ فارس الشمري وأصبح وزوجه آن ينتسبان إلى الشمر بحكم تقاليد الأخوة، ولهما على القبيلة حق الحماية، والثأر لهما ممن يصيبهما بسوء. طوال هذه الرحلة المثيرة سمع الزوجان أكثر من مرة أن أصل القبائل العربية في بادية الشام والجزيرة الفراتية ينحدر من نجد، ومن هنا كان القرار أن تكون رحلتهما التالية إلى منطقة جذور القبائل التي اتصلا بها في بادية الشام والفرات.

آل بلنت عن قرب:

ولد ولفرد سكاون بلنت Wilfrid Scawen Blunt عام 1840 لأسرة تنحدر من نبلاء ساسكس Sussex، وتلقى تعليماً كاثوليكياً خالصاً، ثم انتقل للعيش مع عمته وزوجها في ضيعتهما في بتوارث Petworth في إنجلترا.

أما آن إيزابيلا نويل Anne Isabella Noel فكانت البارونة الخامسة عشرة لمنطقة وينتوارث Wentworth في إنجلترا، ولدت عام 1837م، والدها وليم كنج لورد لافلاس، وأمها أدا Ada ليدي لافلاس ابنة الشاعر اللورد بايرون[2]، ربتها جدتها بايرون على نسق بنات الأسر الأرستقراطية العريقة، فتعلمت ركوب الخيل، ودرست الفنون في باريس وروما وبرعت في الرسم، والموسيقى، والكتابة، وعشقت الأدب باللغات التي أتقنتها وهي: الفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والإسبانية، إلى جانب الإنجليزية، ثم أتقنت العربية لاحقاً.

التقت مع ولفرد بلنت في فلورنسا في إيطاليا ولفتت أنظاره باحتشامها وجاذبيتها وثرائها، ووصفها بلنت بعد رحيلها بقوله: «كانت تعتبر نفسها امرأة عادية، ليس فيها ما يجذب الرجال، ولكنها كانت امرأة جميلة جمال الطائر، جمال البلبل، مريحة الملامح، وإن لم تكن ذات جاذبية طاغية، لها ثغر بديع...»، كما جذبه إليها كونها حفيدة الشاعر العظيم اللورد بايرون الذي كان بلنت من معجبيه، وتم الزواج في لندن.

من الرحلة:

أحضروا لنا عقب وصولنا تمراً على صينية من الخشب، هذا التمر من محصول العام الماضي، هذا التمر كله لزج، ومهروس لكنه طيب؛ وفي ساعة متأخرة من المساء، قدموا لنا عشاء معتاداً من البرغل ومعه بعض الدواجن المسلوقة. لقد اندهشنا للأدب الجم الذي يتمتع به الجميع.

هذا عبد الله، مضيفنا سألنا عشرين مرة عن صحتنا، قبل أن يدخل في الحديث عن أمور أخرى؛ ولم يكن سهلاً علينا العثور على الردود المناسبة على تلك الأسئلة. كل شيء هنا متواضع جداً وغاية في البساطة، ونحن لا يسعنا إلا أن نقول: إننا كنا بين أناس متحضرين. كانوا يتناقشون مع محمد الذي كان يعدونه شيخاً. وتحدث الزوجان عن تدمر وتدمر معروفة هنا بالاسم، والناس هنا، في هذه المنطقة النائية ينظرون إلى تدمر باعتبارها بلداً مهماً.

يوم عصيب

«... هذا يوم عصيب آخر بالنسبة إلى الإبل؛ هذا هو الجمل

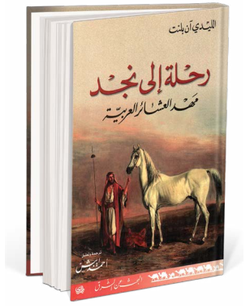

شنوان أصيب بكسر وأصبح عاجزاً عن حمل الأحمال؛ وهذا هو حنا، شأنه شأن بقية الرجال، تعين عليه السير على قدميه مثلهم، نظراً لأن دلوله هو الآخر بدأ يستسلم. هذا هو الرمل يزداد عمقاً على عمقه، وعلى الرغم من أننا مشغولون بأعمالنا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فإننا مازلنا نبعد مسافة خمسة عشر ميلاً.... الكل هنا جادون ومتحمسون هذه الليلة، الأحد، المصادف لليوم التاسع عشر من شهر يناير. يوم مرعب للإنسان وللإبل... واقع الأمر أن محمد، وعبد الله وباقي أفراد القافلة تصرفوا جميعهم تصرف الأبطال؛ وهذا هو حنا العجوز، الذي تتدلى خصلات شعره الأشيب من تحت كوفيته؛ والذي اشتعل رأسه شيباً بسبب الرحلة، وهذه قدماه العاريتان، إذ يستحيل على الرجل السير وهو يلبس حذاء، تدوسان بشجاعة مثل سائر الأشداء من أفراد الجماعة. الكل كانوا سعداء ومبسوطين ولا يشتكون، على الرغم من توقف أغانيهم وأناشيدهم المعتادة، وعلى الرغم من قلة كلامهم أيضاً.

امتنان وأخوة

«...قال محمد بن عروق لضيفه ولفرد، عندما كانا جالسين في المساء يشربان القهوة ويدخنان: «يا أخي، ألم أعدك بأنك سترى نجد، وابن الرشيد، وخيل ابن الرشيد، ألم تر ذلك كله؟ «شكرناه بل شعرنا بالامتنان له. ولم تكن الأفضال كلها من جانب واحد؛ لأن المواقف الأخوية كانت متوازنة تماماً، لأن محمد كان شغوفاً بالقيام بهذه الرحلة مثلما كنا شغوفين بها أيضاً. لكن، يا أسفاه! لقد أوشك لقاؤنا الطيب مع محمد على نهايته....».

«...يمكن لنا أن نصف وصفاً موجزاً تلك الأيام القلائل التي أمضيناها بعد ذلك في حائل. كان محمد هو وولفرد يذهبان كل صباح لحضور المجلس، ثم يقومان بعد ذلك ببعض الزيارات، كما كانا يزوران حمود في بعض الأحيان، ومبارك في أحيان أخرى، وكانا يزوران الأمير في أحيان ثالثة. كان هناك عبد يقوم بإحضار الإفطار إلينا صباح كل يوم من القصر....».

عموشة زوجة الأمير

«... كنت قد سئمت الانتظار، وكنت أعجب متى يمكن أن نعود إلى منزلنا، حتى أتمكن من كتابة مذكرات اليوم في شيء من السرية، وعندما دخل علينا المراسل ليقول لنا: إن عموشة، زوجة الأمير الرئيسية، على استعداد لاستقبالي.... أوكل الأمير أمري إلى جارية سوداء، فسحت الطريق أمامي إلى محل إقامة الحريم، زوجات حمو، وزوجات الأمير محمد كلهن يعشن في القصر أيضاً، لكن كل واحدة منهن في مسكن منفصل. والقصر يعد مدينة بحد ذاته، وتعين عليّ أنا ومرشدتي السوداء المشي بسرعة عبر كثير من الطرقات والأحواش، وتجاوزنا كثيراً من الأركان عن اليمين وعن الشمال... وبعد أن عبرنا فناء كبيراً توقفنا أمام باب صغير منخفض. كان ذلك الباب مفتوحاً، ومن خلال ذلك الباب المفتوح أمكنني رؤية بعض الناس الجالسين حول النار في الداخل، لأن ذلك كان المدخل المؤدي إلى قهوة عموشة، هذه الغرفة كان فيها عمودان يحملان السقف، مثل بقية الغرف التي شاهدتها في القصر، فيما عدا القهوة الكبيرة، التي تحتوي على خمسة أعمدة. المدفأة، أو بالأحرى وجار القهوة كالعادة، عبارة عن حفرة بيضاوية الشكل في

الأرض، وعلى الجانب الأيسر من مدخل القهوة، وفي الركن القريب من الباب؛ في هذه الحفرة كان يوجد الوجار الحامل للنار، فيما بين الحفرة والجدار توجد سجادات أنيقة مفروشة على الأرض. وقفت كل الحاضرات عندما وصلت إليهن. كان من السهل تماماً تعرف عموشة من بين الحاضرات كلهن، حتى قبل أن تتقدم هي للترحيب بي هذه السيدة لها مظهر مميز وسلوك مميز يمكن تعرفه من خلال حديثها وتصرفاتها، وكان نجمها طاغياً على بقية المجموعة. كيف لا وهي ابنة عبيد بن الرشيد، وشقيقه حمود، كان معها الحق كل الحق في أن تتفوق وتتألق دوماً على سائر الأصدقاء، والأقارب والزوجات الأخريات. وعلى الرغم من أن وجهها كان أقل اتساقاً من وجه أخيها فهو جميل بما فيه الكفاية، وأنف جميل وفم جميل أيضاً، كما أن فيها نوعاً فريداً من التلألؤ والبريق والذكاء أيضاً. أما حدوشة ولولية، الزوجتان الأخريان، اللتان كانتا حاضرتين، فكانتا ترتديان فستانين مقصبين بالذهب والفضة مثل فستان عموشة، وكانت خدودهن وشفاههن مخضبة باللون الأكثر حمرة عن شفاه عموشة، وكانت عيونهن مكحلة بالكحل مثل عيون عموشة أيضاً، لكن عيونهن كان ينقصها السحر والجاذبية اللذان في عيون عموشة...».

النهاية

لاحقاً.. قررت بلنت مغادرة إنجلترا والتوجه إلى مصر لتقيم في العزبة التي تبلغ مساحتها 42 فداناً بالشيخ عبيد وبها إسطبل للخيول العربية والإبل، وتقوم على خدمتها مجموعة من البدو، واستقرت بها حتى وفاتها عام 1917م ودفنت بناء على وصيتها في قبر أقامته على طرف الصحراء، ومات ولفرد بلنت في عام 1922م وأوصى بأن يدفن دون صلاة جنائزية ملفوفاً بالسجادة العجمية التي رافقته في رحلاته، قرب ضيعته في كرابيت بارك، ساسكس في إنجلترا ■

الهوامش:

1. بالإنجليزيةrace Arab the of cradle the Of (Pilgrimage to Nejd)

2. اللورد بايرون (1788-1824): شاعر وكاتب بريطاني، من رواد الحركة الرومانسية أوائل القرن التاسع عشر، وأحد أهم شعراء بريطانيا وأوروبا، قال عنه دوستويفسكي: كانت البايرونية ظاهرة كبيرة ومقدسة، تشكل ضرورة لحياة الشعب الأوروبي، وربما لحياة الإنسانية جمعاء.

المصادر والمراجع:

- حج الى ربوع نجد، مهد قبائل العرب 1878 - 1879م، ترجمة أحمد إبيش، دائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي، 2014م.

- الحج إلى نجد، آن بلنت، ترجمة: صبري حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط 1، عام 2007م.

- رحلة إلى بلاد نجد، الليدي آن بلنت، مختارات حمد الجاسر، ترجمة: محمد أنعم غالب، دار اليمامة، الرياض.

رموز من التراث الشعبي الإماراتي

إبراهيم أحمد ملحم

ناقد أدبي من الأردن

اتخذت بعض الأشياء في الحياة الشعبية الإماراتية مكانة عالية جعلتها رموزاً تحمل معاني محددة لدى الإنسان الإماراتي، وصارت توظف في الأمثال والأغاني والشعر النبطي كدلة القهوة، والصقر، والخنجر، لتجد أمكنتها الأثيرة إلى النفس في سياقات متعددة من الحياة المعاصرة. ونرى بعضها في تصميم المباني، والشعارات، والفسيفساء الجدارية داخل الأنفاق التي تمر بها المركبات في المدن الكبيرة، وعلى الميادين في المدن، وغيرها وهو ما يعزز تقدير الماضي، ويؤكد حضور رموزه في ذاكرة الأجيال المتعاقبة.

دلة القهوة

قبل تحديد المعنى الذي تحمله دلة القهوة في الحياة الاجتماعية الإماراتية ينبغي إلقاء الضوء على الذاكرة الجماعية التي أوصلتها إلى مستوى الرمز: يحرص الإماراتيون على انتقاء حبوب البن ذات الجودة العالية، وتحميسها حتى تنضج في «المحماسة» ثم دقها من أجل تنعيمها في «المنحاز»، كما يحرصون على مذاقها المتميز بإضافة الزعفران والهيل والقرنفل إليها. ويقدمها المقهوي ساخنة بمقدار رشفة أو رشفتين في الفنجان الواحد مبتدئاً من الأكبر قدراً بين الجالسين، أو من اليمين إلى اليسار، وهو يمسك الدلة بيده اليسرى ويمسك الفنجان من أسفله بيده اليمنى، وإن أي خلل في هذا الأمر يصير منقوداً، أو عيباً في العادات والتقاليد المتبعة في الضيافة. ولقد مرت معك الرؤية الشعبية التي جسدها المثل الشعبي: «اللي ما عنده دلة ما حد يندله»؛ لتأكيد أن قيمة الكرم هي التي تضع اسم الإنسان على الخارطة البشرية، فيعرفه الداني والقاصي. ولهذا فإن الدلة خرجت عن معناها الحقيقي لتكون رمزاً للكرم الإماراتي الأصيل.

الصقر

إن الخلفيات التي أحاطت بالصقر في الحياة الاجتماعية الإماراتية قادرة على إيصالك إلى الأسباب التي جعلت منه شعاراً للدولة، ويدخل في تصميم شعارات أخرى للهيئات والمؤسسات الإماراتية، وقادرة على إيصالنا إلى الرمز الذي يحمله الصقر: لفعل ملازمة الصقر لعادات وتقاليد مجتمع الإمارات حيث الصيد بالصقور، إبداء الجرأة والشجاعة حين يقف على أيدي أفراد القبيلة، وغير ذلك، فقد أدرك الإماراتيون عن كثب أخلاقه التي تميزه من غيره؛ فهو يحمي بقدراته الدفاعية كلها فراخه ومن ينتمي إلى فئة الصقور ويتمتع بقدرات ذهنية حادة؛ إذ يروض ويتعلم من الصقّار بسرعة. وارتبطت الدراية بالأمور وحسن تقدير منزلتها بالصقر؛ فقد قيل في المثل الشعبي «اللي ما يعرف الصقر يشويه»؛ بمعنى أن الذي لا يقدر قيمة ما يملك يفقدها، وتضيع بيد من لا يعرف هذه القيمة. إن الصقر الذي عاش مع الإنسان الإماراتي منذ القدم لم يعد يعني أنه مجرد طائر فحسب، بل صار رمزاً للعزة الإماراتية؛ فلا غرابة أن يتم اعتماده من قِبل المجلس الأعلى للاتحاد في 9 ديسمبر 1971 شعاراً للدولة، ولا غرابة أن تقود الدولة جهوداً جبارة تكللت بالنجاح لإدراج الصقارة ضمن التراث الثقافي غير المادي للبشرية في اليونسكو عام 2010.

الخنجر

يتألف الخنجر الإماراتي من المقبض والصدر والغمد، ويجمع هذا الخنجر بين براعة التصميم ممثلةفي: خفة الوزن، والرأس الحادة، والشفرتين الحادتين وبين جمال المظهر؛ حتى يبقى ملازماً للرجل في حلة وترحاله، فيؤدي وظائف حياتيه بسيطة ووظائف في غاية الخطورة حين يتعرض للاعتداء. إن الخنجر الذي لازم الإنسان الإماراتي وكأنه جزء من الذات لم يعد قطعة من المعدن يتقلدها، بل صار رمزاً للرجولة التي ينفتح معناها على البطولة العربية الأصيلة. وهناك أشياء أخرى مستمدة مما شارك الإنسان حياته اليومية، أو ارتبطت بعمله من أجل البقاء تحولت إلى رموز لها معانيها القوية كالنخلة والناقة والشراع وغيرها ■

الإمارات رعت الفنون المجسدة للقيم الإنسانية

ذاكرة التسامح التاريخية في كتاب الباحث محمد وردي

أحمد حسين حميدان

مما لا شك فيه أن سائر الفنون الإبداعية وفي مقدمتها الكلمة الراصدة لقيم الحياة، تلعب دوراً مهماً في إزكاء روح التواصل والتعايش بين سائر الشعوب؛ ودولة الإمارات العربية المتحدة منذ البدء قام تكوينها على هذا التواصل والتعايش، ونسيجها الاجتماعي الذي تضافر ونشأ على أرضها من مختلف الجنسيات الإنسانية، يبرهن بشكل حاسم على هذا التعايش الذي لم تبتعد الكلمة البحثية والمبدعة عن نقل هذا العيش وتجسيده، وتأتي المعاني السامية التي أطلقها الشاعر عارف الشيخ عبدالله الحسن في التعبير عنه عبر متن النشيد الوطني تجسيداً مبكراً لصورته النبيلة، إضافة إلى العديد من القصائد والقصص والأبحاث التي أسهمت في هذا التجسيد، ويأتي كتاب الباحث محمد وردي (من أين ندخل إلى التسامح) الذي صدر له في (أبوظبي) عن دار (هماليل) للطباعة والنشر ضمن هذا السياق الذي سعى من خلاله إلى رسم أفق وبوابة هذا التسامح المؤدي إلى التعايش المشترك الذي قدمت له دولة الإمارات العربية المتحدة نموذجاً زاهياً وبليغاً عنه في عالم معاصر تعلو فيه أصوات الضغائن والصراعات بعدما أضحى فيه خارج هذا التسامح الذي ينبغي أخذه من الفضاء الشعاراتي وإعادة الاعتبار له بتحويله إلى سلوك حياتي ومن أجل ذلك قام بتناوله ضمن ثمانية فصول محاولاً من خلالها التحدث عن التسامح على نحوٍ تنويري للإحاطة بحقائقه وبوجوهه المتعددة التي يبلغ من خلالها الإنسان سمة الأنوار التي تخلصه من قصوره، حسب تعبير كانط، التي تجعل عقله يتحكم في الواقع ويحكمه كما ترى الفلسفة الحديثة، ورصداً لسيرة التسامح التاريخية يمضي الأستاذ محمد وردي في إصداره إلى إبراز صوره عند العرب قبل الإسلام وبعده حيث تدرج من الأخوة البيولوجية إلى الإقرار بمدنية الطابع الإنساني واجتماعيته كما يعبّر ابن مسكويه وابن خلدون وصولاً إلى أخوة العصبية القبلية ومن ثم الأخوة الإنسانية الدينية وينتقل الأستاذ الوردي بعد ذلك إلى رصد حال التسامح في فرنسا الذي أخذ يبرز مع بداية عصر النهضة بعدما بلغ إليها صدى الأنسانويين الإصلاحيين الذين أعلنوا رفضهم للاضطهاد الديني وصار لهم أنصاراً وأتباعاً وجمعيات ضمن المجتمع الفرنسي في حين أن التسامح بدا مختلفاً في إنكلترا وأخذ طابعاً علمانياً جراء الحروب الأهلية التي وقعت بين البريطانيين أنفسهم بين عامي 1942-1951 بينما تأخرت الدعوة إليه فترة أطول في إسبانيا بسبب محاكم التفتيش التي سادت فيها فترة ليست بالقصيرة.

كما يؤكد الأستاذ محمد وردي في هذا الإصدار الذي رأى من خلاله أن التسامح وإن تعاظمت الدعوات إليه وترسّخت أواصره أكثر من السابق وبات يحتل موقعه بين الأفراد في المجتمعات على اختلافها وصار له نسقاً ثقافياً فاعلاً بسبب ما جرته الحروب من قتل ودمار، إلا أنه لم يأخذ أثره في العلاقات التي تقوم بين الدول فأمست سياستها رهن المطامع الأحادية وليس المصالح المشتركة، وأصبحت مبنية على سلوك براغماتي عدواني ناهيك عن انتشار الجرائم وسط أفرادها.. عبر هذا المفترق يتجه الأستاذ الوردي إلى طرح سؤال أبحاثه المهم والمُلح (من أين ندخل إلى التسامح) جاعلاً إياه عنواناً رئيسياً لكتابه ليكون مدخلاً مركزياً إلى موضوعاته وقضاياه المطروحة كافة تأكيداً منه بعدم الكفاية في جعله شعاراً كلامياً مرفوعاً أو مكتوباً بعبارات مُنَمّقة فلا بد من الدخول إليه والتحلّي به على صعيد سلوك الفرد والمجموعة حتى يأخذ أبعاده الحقيقية في جوانب العلاقات الإنسانية المختلفة ويبلغ مراده في تنقية حياتنا المعاصرة من شوائبها المتعددة وللظفر في هذا المسعى يطالب الأستاذ محمد وردي في إصداره الجديد بتجديد خطاب التسامح الذي ما عاد يسعفه اعتماده في الخطاب الأوروبي

على البُعد الأخلاقي في الفلسفة اليونانية أو على التقاليد الرومانية والفرعونية؛ كما لم يعد يسعفه اعتماده في الخطاب العربي قبل الإسلام وبعده بسبب إحالاته إلى روادع موكلة إلى غائب أو سلطة مؤجلة فبقيت في الإطار الوعظي دون الخوض في ثقافة التسامح وتطوير مفاهيمه وهو ما يفتح باب البحث على ضرورة تجديد الخطاب الديني نفسه الذي لا بد من أن يقوم على أفق معرفي يتجسد من خلاله جوهر الأنسنة التي هي خيارنا وليست قدرنا، كما يرى الكاتب محمد وردي الذي يؤكد بأن التطور البشري يصاحبه تطور معرفي يدفع بالإنسان المفكر إلى مراجعة ما أنتجه العقل طوال قرون من الزمن ويتم ذلك منه كواجب ديني أخلاقي وفلسفي معرفي أيضاً يصل به إلى الجسور الممدودة بين سائر البشرية التي يطالب الأستاذ الوردي من خلالها إلى المضي في تأسيس مقاربات يتبلور عبرها مفهوم جديد إلى ثقافة التسامح التي تنتج وعياً جديداً يُفضي إلى سلوك جمعي يسمو فيه التسامح قولاً وعملاً؛ وهذه المقاربات التي دعا إليها الأستاذ الوردي في إصداره السائل فيه من أين يكون الدخول إلى التسامح يقدم لها أسساً يتم من خلالها هذا الدخول إليه والذي يتم بتطوير خطابها الداعي إليه عبر مستويات عدة من أهمها:

تطوير العقل بترسيخ ملكة النقد، وتجاوز الموروث غير الأخلاقي، وإجادة الحوار مع الآخر، وبناء الشخصية المستقلة القادرة على التحرر من أخطاء السائد الجمعي؛ إضافة إلى ضرورة العمل المؤسسي على تفكيك البنية الاجتماعية المغلقة القائمة على التعصب وبناء بنية ذهنية مفتوحة على قبول الآخر ومحبته، والعمل على غرس قيم ثقافة الجمال المبنية على هندسة الإنسان والوجود من خلال العلوم الإنسانية. واستند الكاتب الوردي في دعوته هذه إلى ما دعا إليه من قبل المفكر الجزائري مالك بنبي في كتابه «شروط الحضارة» الذي أكد فيه أن الصورة القبيحة لا يمكن لها أن توحي بالخيال الجميل؛ كما استند الأستاذ الوردي إلى ما قام به الرسول الكريم عليه السلام من نشرٍ لثقافة الحب التي بدأت قبل الدعوة النبوية بتأسيس حلف الفضول وبعدها بالتأكيد على ما سُمي «الأشهر الحُرم» التي يُحْرَم فيها القتال، والمؤاخاة التي قامت بين المهاجرين والأنصار والعربي وغير

العربي التي بات الميزان فيها للتقوى الناهضة على السلوك القويم والحب الموصل للعلاقة السامية مع الآخر الإلهي والإنساني والتي انتهى بها الأستاذ محمد وردي إلى ما سماه في كتابه «ثقافة الصداقة» التي يظهر فيها وجود الإنسان محكوماً بمدى حُسن علاقته بالآخر باعتبار أن الإنسان جزء من كلٍ ولا قيمة للجزء من دون هذا الكل الذي يتأكد منه الحاجة الإنسانية المُلِحّة إلى الصداقة التي تعتبر من أقوى روافد التسامح لأن الفضيلة في الإنسان تظهر من خلال التعامل مع الآخرين كما يعبر ابن مسكويه؛ وحتى تتحقق ثقافة الصداقة والحب، يجب أن تصبح ركناً أساسياً في سلم القيم ويحدد الكاتب الوردي منابتها بالاعتماد على رؤية سماحة الشيخ ابن بيه الذي يرى أن منبع القيم السامية تعود أصوله إلى صفات الله وأخلاق الرسول والأوامر والنواهي التي جاءت في القرآن الكريم الذي يتبلور الحب من خلاله أفقياً وعمودياً ويبدأ من حب الله لعباده، وحب العباد لله والرسول، وحب الناس لبعضهم بعضاً وفي ذلك كله يجب أن يُتْرَك للعقل يقين الاعتقاد، كما يؤكد سماحة الشيخ ابن بيه في خلاصة رؤياه التي انطلق من فحوى مقاصدها الأستاذ محمد وردي مطالباً في خواتيم أبحاثه بضرورة استعادة العقل العربي الذي رزح في دوامة النقل والتكرار وأخذه إلى ميدان العلم الذي يبلغ به الآفاق المعرفية الجديدة معتبراً في سياق ذلك العلم الوجه الثاني للعقل ولا يتحقق أحدهما من دون الآخر فلا تكتشف أسرار العلم من دون إعمال العقل ولا تُدرَك جُلّ معطيات العلم ومراميه من دون العقل المبني على المعرفة التي لن تكون إلا بالرعاية والتنشئة الأولى للشخصية الإنسانية التي يطالب الأستاذ الوردي من أجل بنائها معرفياً بالعودة إلى مرحلة ما قبل المناهج المدرسية إلى الطفولة الأولى وإلى الإعداد الأُسري من قبل باعتبارها الفضاء الأول الذي يجب أن يكون مؤهلاً لرعاية الشخصية الطفلية منذ تكوينها الأول يضاف إليها رعاية الدولة بمؤسساتها العلمية لهذه الشخصية وبذلك تكون المعرفة بوابة دخولها إلى التسامح والانتقال به من شعار القول إلى الممارسة السلوكية التي جعلها الأستاذ محمد وردي مدخلاً حقيقياً إلى التسامح على امتداد إصداره الجديد ■

كاتب وأديب من سوريا

ذكريات زمن البدايات (21)

عمير اليوسف... البساطة لم تفارق حياته

خليل عيلبوني

من أجمل ما أتذكره عن الأيام الأولى التي وصلت فيها إلى مدينة أبوظبي، في بداية عام 1971، أنني كلما مشيت في شوارعها القليلة المعروفة، مثل: شارع الكورنيش، وشارع حمدان، وشارع إلكترا، وشارع الخالدية، كُنت أتبادل التحية مع معظم الذين ألتقي بهم. لقد كان عددنا القليل يسمح بالتعارف وإنشاء الصداقات، حتى كأن المدينة كلها بيت كبير تسكنه أسرة واحدة.

الآن، حينما أسير في شوارع أبوظبي التي تكاثرت، واتسعت، وشمخت فيها المباني والعمارات الشاهقة لا ألقي التحية على أحد، ولا أتلقاها من أحد.. فلا أحد يعرفني، ولا أعرف أحداً. تكاثر الناس وصار عصيّاً عليّ أن أميز واحداً منهم. عن شعور الإنسان بالاغتراب داخل المدينة، يقول الشاعر الدكتور مانع سعيد العتيبة:

أعـــــود إليـــــكِ رمـــــال بـــلادي
بحلـــــق مريـــــر ودمـــع أمـــــر
فـــــلا أستطيـــــع التعـــــرف حتـــى
على واحـــد مـــن مئـــات البشـــر
بنـــــاء يطـــــاول فـــيك الســـحاب
وخضـــــرة زرع تســـــر النظـــــر
ولـــكن تغيـــــر فـــــيك الرجـــــال
وماضـــي المحبـــــة فينـــا اندثـــر
أعـــــود إليـــــك بـــــلادي حزيـــــناً
بدمـــــع علـــى الرغـــم مني انهمـــــر
وأعلـــــن أنـــك مهـــدي ولحـــدي
حمى اللـــــــه أرضـــــك من كل البشـــر

كنا نعيش في جوٍّ حميمي، نتزاور باستمرار. الأطباء في المستشفى المركزي الوحيد أعرفهم واحداً واحداً، حتى الصيادلة كانت تربطني بهم علاقات صداقة قوية.. الموظفون

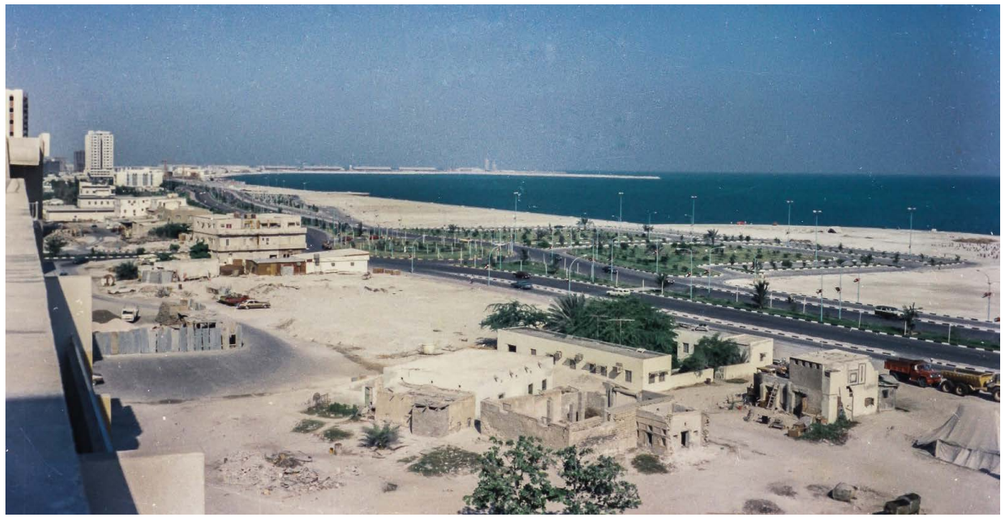

جميعهم تقريباً أعرفهم بالاسم؛ فالعدد كان بسيطاً، أما أعيان البلد والشخصيات الفاعلة في المجتمع، فكان اللقاء معهم يدخل الفرحة إلى القلب. من هؤلاء، كان عمير اليوسف، خال معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة. وبرغم أن الرجل كان من أغنى رجال أبوظبي في ذلك الوقت، فإن البساطة التي كان يعيش فيها، والتواضع الذي تميز به كانا يجعلاك لا تفرق بينه وبين أي مواطن عادي بسيط. كان يبادر هو إلى السلام، ولم تكن الابتسامة تفارق وجهه، وكأن من يلتقي به هو واحد من أفراد أسرته. وعلى الرغم من كونه الوكيل المعتمد لكبرى شركات الطيران العالمية، خاصة البريطانية، وعلى الرغم من الثروة الكبيرة التي جمعها بكده وجهده مع إخوانه في الزمن الذي سبق اكتشاف البترول في أبوظبي، فإن البساطة لم تفارق حياته؛ فعندما كان يسافر لحضور أي اجتماع مع إدارة شركة الخطوط البريطانية في لندن، كان لا يحمل معه إلا حقيبة يد صغيرة. في تلك الحقيبة ثوب ووزار وغترة، ولا يهمه أين يجلس في الطائرة أو في أي درجة، المهم أن يصل، ويحضر الاجتماع، ويعود. كان عمير اليوسف كريماً، ولكن لا يستعرض كرمه أمام الناس، بل يخفي الصدقات بقدر ما يمكنه. كثيراً ما التقيت

به في البنك البريطاني، يقوم بصرف مبالغ كبيرة من فئة المئة درهم والخمسين درهماً، وعندما كُنت أسأل مدير الفرع / الأخ الصديق علي النقي: لماذا يفعل عمير ذلك؟ كان يجيبني بابتسامة، غداً العيد، ولا بد لعمير من أن يوزع هذه المبالغ على الفقراء، وفي كل عام كان عمير اليوسف يستأجر طائرة خاصة كبيرة، يجمع فيها عدداً كبيراً جداً من الرجال والنساء، ويذهب معهم إلى العمرة، حيث يقضون طوال شهر رمضان هناك، وذلك على حسابه الخاص.

كانت متعة عمير اليوسف أن يقوم بفعل الخير. ولم يكن أحد يتصور أن يكون ذلك الرجل البسيط، المتواضع من أهم الفعاليات الاقتصادية في الإمارات. ولا أذيع سرّاً، إذا قلت: إن بنوك أبوظبي كانت تتسابق لفتح حسابات للرجل وشركاته؛ فهو ومهما كان المبلغ الذي يودعه في حسابه، يرفض أن يتقاضى عليه أي فائدة؛ لأنه يؤمن أنها نوع من الربا، وهذا ما يخالف تقواه وورعه.

لم يبنِ عمير اليوسف ثروة المال، والشركات والعمارات، واللؤلؤ فحسب، بل بنى ثروة أهم وأكبر، بنى الرجال، أصر أن يتعلم أبناؤه جميعهم، وأن يحققوا أعلى المستويات في

مجال العلم؛ فمن وجهة نظره، العلم يبني الوطن، والجهل يهدم بيوت العز والكرم. وبرغم أن عمير اليوسف لم يحصل على الشهادات العلمية، فإنه كان مثقفاً بكل معنى الكلمة؛ فهو بالإضافة إلى فهمه العميق للدين، خاصة ما يتعلق بالحلال والحرام في الإسلام.

كان اقتصادياً من الدرجة الأولى، ولا أدل على ذلك من تحقيقه النجاح قبل البترول، ووصوله إلى أعلى مستوى من النجاح بعد النهضة التي رافقت مسيرة القائد زايد منذ عام 1966. وكان من المقربين لدى المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، جمعتهما صداقة امتدت لعشرات السنين، وكان كذلك يحظى بالمحبة والاحترام من قِبل أبناء زايد جميعهم، ومن قِبل المواطنين كلهم.

مما أذكره عنه كذلك، أنه قام بتقديم قرض يزيد على أربعين مليون جنيه إسترليني لشركة الخطوط البريطانية من دون فائدة، وأن الشركة قامت تقديراً للرجل الذي وقف معها وقت الشدة بجعله الوكيل الوحيد لها في الإمارات. لم تكن علاقة القربى وحدها ما جمع بين عمير اليوسف ومعالي الدكتور مانع سعيد العتيبة، بل كان معاليه حريصاً دائماً على زيارة خاله الطيب، وحينما شكا ذات يوم من وجود حصى في كليته، قام معاليه بنقله بطائرته الخاصة إلى «مايو كلينيك» في أمريكا وعلاجه هناك. أذكر أننا زرنا المغرب قبل السفر إلى «روشستر» في أمريكا، وفي مراكش قام عمير اليوسف بزيارة لأشهر ساحة فيها، وهي ساحة جامع الفنا. هناك، وعلى عادته وزع عمير اليوسف صدقاته السخية على الفقراء، وخلال أقل من نصف

«روشستر» في أمريكا

ساعة وجد نفسه محاطًا بجمع غفير من الناس الذين لم يعتادوا على مثل هذا السخاء.. أذكر أنني أسرعت بإخراجه من ذلك المحيط، وأنه لم يكن راضياً بذلك، بل كان يريد أن يبقى، وأن ينال عدد أكبر من الناس من صدقاته. وعندما جاء نبأ انتقال عمير اليوسف إلى جوار ربه كان معالي الدكتور في أغادير، وكان ذلك في الرابع من إبريل 2001. وفي ذلك اليوم الحزين، نظم الدكتور مانع رثائيته التي يقول فيها:

يا ليت وعدك كان وعد مخلف
يا موت، يا حكم الإله المنصف
اليوم تقرع باب خالٍ طيب
أرأيت أطيب من عمير اليوسف
رجل تحلى بالتقى ومكارم
إن كان أخفاه الثرى لن تختفي
هذا عمير أيها الموت، فلا
تعتب على دمعي وقدر موقفي
أنا صامد متماسك متمسك
بثوابتي، ديني الحنيف ومصحفي
لكنه خالي الحبيب وقدوتي
في كل فعل ماجد ومشرف
كان الغني بدينه، لا بماله
لم يغره عيش الثري المترف
وبنى عمير مساجد وتصدقت
يده على المحتاج والمتعفف
يا أم مانع، لا تنوحي واتركي
لله أمرك، فهو أكرم مسعف
ما مات مثل أخيك، فهو بفعله
للخير، حيٌّ فارأفي بي ارأفي
ستظل تذكره بلادي كلما
ذُكر الوفاء بها، ولا يُنسى الوفي ■

إعلامي وشاعر

الفيلم الإماراتي الوثائقي «حمامة»

من المحلية الشعبية ومن مناطق متوارية عن السطح المرئي إلى الحضور العالمي وتعزيز التواصل بين الشعوب

محمد فاتح زغل

حرص نادي تراث الإمارات على تنويع أنشطته التراثية في المجالات كلها وكان للسينما الإماراتية التي توثق لتراث الإمارات نصيبها من الاهتمام وتكريم نخبها السينمائية، وقد شهدتُ عرضاً أقامه النادي على مسرح أبوظبي بكاسر الأمواج في مبادرة جديدة من المبادرات التراثية التي شهدتها العاصمة أبوظبي في إطار الاحتفالات باليوم الوطني الـ 40 سبتمبر 2011. بعرض فيلم «حمامة» بحضور إدارات النادي وبحضور المكرمين ومنهم: المخرجة نجوم الغانم، والباحث خالد البدور، وبطلة الفيلم حمامة بنت عبيد الطنيجي، ونخبة من المثقفين والمهتمين بالأفلام الوثائقية.

وقد أثار فيَّ هذا الفيلم شهيَّة الكتابة عنه وبالذات عن «حمامة» بطلة الفيلم التي منحت الفيلم اسمها، بل أصبحت راية شهرته، وشخصيته الرئيسية.

صعوبات الفيلم

لعل المهمة الصعبة التي واجهت هذا الفيلم بداية هو توثيق هذا التاريخ الذي احتاج إلى بحث دقيق ومعمق للوصول إلى حقائق دامغة، حيث لابد من مراجعة أرشيفات خاصة وعامة كانت وقتها ولاتزال أرضاً بكراً تنتظر من يمرر محراثه فيها؛ حيث قام بهذه المهمة الباحث الدكتور سلطان العميمي، وقالت المخرجة نجوم الغانم إنها وفريق العمل دخلوا حياة «حمامة» بالتدريج حتى تمكنوا من تصوير الفيلم، واستلزم ذلك العديد من جلسات التصوير، لكنها كانت وسيلة ناجحة لدخول عالم «حمامة» الخاص بمساعدة الباحث سلطان العميمي الذي كان له الدور الرئيسي في تعرف المخرجة نجوم إلى «حمامة».

ملخص الفيلم

يلخص فيلم «حمامة» تجارب جيل جسدته «حمامة» عبر مسيرة حياتها لتكون نموذجاً للإنسان الذي يواجه التحديات النفسية والمادية ويتغلب عليها بالعمل والإيمان.

فلقد استطاعت امرأة بلغت من العمر عتيّاً - وتقيم في منطقة الذيد في إمارة الشارقة ضمن مجموعة بيوت بيضاء، وفي مكان مفتوح على بساط رملي يحاصره من كل جهاته - أن تؤسس لمشروع تواجه به الحياة وهي وحيدة؛ فقد رحل عنها زوجها الأول والثاني وتوفي ابنها، وغادرتها بناتها إلى بيوت الزوجية، ومع ذلك استطاعت هذه المرأة الطاعنة في السن أن تدير مؤسسة متكاملة، وأن تصرّ على العيش في بيتها، وتبدأ منذ صلاة الفجر باستلهام الزاد الروحي الإيماني الذي يسري في كيانها ليمدها بالقوة لتمضي بعد ذلك إلى العناية بحياتها اليومية بكل تفاصيلها بدءاً من رعاية الأبقار والأغنام إلى قيامها بتصنيع الزبدة والسمن والجبن إلى بيعه والاستفادة من ريعه لمتابعة الحياة بكرامة دون الحاجة إلى أحد، كما توزع قسماً منه على الفقراء والمحتاجين، وتقوم بشراء ما تحتاجه من المتجر الشعبي، وإعداد طعامها بنفسها، فضلاً عن خبرتها في ممارسة العلاج الشعبي ووصف العلاجات والأدوية التي تعدها من الخلطات العشبية والمواد الطبيعية، وانتهاء بالكي أو الوسم.

تجربة مميزة

هذا النموذج الفريد التقطته المخرجة الإماراتية المميزة نجوم الغانم بالتعاون مع السيناريست خالد البدور الذي أعد مادة الفيلم الوثائقية وبتعاون جميع الفنيين قدموا هذه التجربة الإماراتية المميزة لتحصد العديد من الجوائز العالمية.

تصرُّ هذه السيدة العجوز على العيش في بيتها، لا تغادره، بل تحوم حوله، دون أن تبتعد كثيراً.. وفي أفيائه تمارس حياتها، بدأب يفوق دأب النملة النشيطة؛ وفضلاً عن عنايتها بكل تفاصيل يومياتها المعيشية، فإن الأمر الأهمّ في حياتها، سيبدو في أنها تقوم بممارسة العلاج الشعبي، بمختلف أنواعه، بدءاً من الكيّ، والتدليك، وصولاً إلى وصف العلاجات والأدوية، التي تعدها من الخلطات العشبية، والمواد الطبيعية.

أهم إلتقاطات الفيلم

يلتقط الفيلم نموذجه هذا، ويُحسن تخيّره من بين ما يمكن العثور عليه من شبيهاتها، إذ سنرى على مدى ساعة وقليل من الدقائق، إلى أي درجة مدهشة يمكن لهذه المرأة الاستحواذ على اهتمام المشاهد، وجذبه للمتابعة، والتأمل في نموذجها.

إنها مزيج من العفوية والبساطة، والخبرة والتجربة المديدة، تضفي عليها هالة من البريق، من خلال قدرتها على التعامل مع الكاميرا، والتحرك أمامها بحرية تليق بمحترفي التعامل مع

عدستها، خاصة وهي تطوي الثمانين من العمر، في مكان غارق بفطريته. لن تكفّ «حمامة»، عن الأحاديث المسترسلة، سوف تشرّق وتغرّب في تفاصيل حياتها، بدءاً من التفاصيل الخاصة، وصولاً إلى الأحاديث العامة، التي تثري معرفتها بشؤونها اليومية، وهمومها الحياتية. تتحول «حمامة» بفضل اعترافاتها المتدفقة إلى ما يشبه كتاباً مفتوحاً، تتملاه الكاميرا، صفحة إثر أخرى، داخل البيت والأسرة، وفي الجوار، ومع المرضى الذين لا يكفون عن التردد إليها، باحثين عن علاج عجز الطب الحديث عن إقناعهم بقدرته على القيام به، وليس انتهاء بذهابها إلى المزرعة، حيث لها بعض الأبقار والأغنام، وأشياء من موارد رزق، تمنحها الكفاف، وتفيض به هدايا وتبرعات على «صاحب النصيب».

الفيلم الذي استمر 65 دقيقة قدم رؤية عميقة ولافتة للنظر والانتباه عن حياة طبيبة شعبية إماراتية بالرغم من بلوغها التسعين. كما يظهر الفيلم مدى تعلق هذه السيدة بالتراث والقيم التي تربت عليها، وهي التي تعيش في مكان بسيط تبدو في الفيلم متعلقة به، حيث يضيء الفيلم على موضوع علاقة الإنسان بمكانه الأول، ومفردات بيئته التي تعايش وكبر معها.

جلسة نقاشية وتكريم.

تلا العرض جلسة نقاشية تحدثت فيها المخرجة نجوم الغانم والسيناريست خالد البدور وبطلة الفيلم «حمامة بنت عبيد الطنيجي»، عن الفيلم، كما شارك بالنقاش بعض الحضور ثم قام حبيب الصايغ رحمه الله، بتكريم بطلة الفيلم حمامة بنت عبيد الطنيجي والمخرجة نجوم الغانم والسيناريست خالد البدور.

جوائز الفيلم

استطاعت المخرجة الإماراتية نجوم الغانم من خلال ستة أفلام سينمائية، تنوعت بين القصيرة والروائية والوثائقية الطويلة، التي كان آخرها الفيلم الوثائقي الطويل «حمامة»، أن تكون واحدة من أهم المخرجات الإماراتيات وأشهرهن، حيث حازت أعمالها الإعجاب وإشادة النقاد وصنّاع السينما، كما نالت جوائز عدة من خلال عرض أفلامها في مهرجانات الدولة. فقد حصلت على جائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان دبي السينمائي الدولي، وجائزة أفضل فيلم وثائقي من

مهرجان «مالمو للسينما العربية» في السويد من خلال فيلمها الوثائقي «حمامة»، كما عرض الفيلم في جامعة نيويورك في أبوظبي. وكان آخرها عندما سافرت إلى إسبانيا، وتفاجأت بأن السفيرة الإسبانية تعرض فيلم «حمامة» للجمهور الإسباني بين فترة وأخرى. حكت نجوم الغانم عن تجربتها بهذا الفيلم حيث قالت: إن فيلم «حمامة» من الأفلام التي أرهقتني كثيراً، حيث أخذ مني فترة تحضير طويلة جداً قاربت العامين، ومن الصعوبات التي واجهتها إقناع أهلها وعائلتها أولاً، بظهورها بحكم العادات والتقاليد. وكذلك تأجيل التصوير لأكثر من مرة، وذلك بسبب كبر سن «حمامة» وعدم قدرتها على الحركة والتركيز خلال التصوير، وأنها خافت على «حمامة» كثيراً في آخر أيام تصوير الفيلم، حيث ازداد عليها التعب وعدم قدرتها

على تحمل التصوير لساعات طويلة، لدرجة أنها سقطت على الأرض خلال التصوير أكثر من مرة، لعدم تحملها الوقوف على قدميها لفترة طويلة.

كلمة أخيرة

يصعب تحديد ملامح ظهور الفيلم الوثائقي في الإمارات نظراً لتداخل جهات إنتاجه، بدءاً من شركات إنتاج النفط الأجنبية، التي نشطت منذ النصف الأول من القرن الماضي، وهناك أفلام وثائقية أنتجتها هيئة أبوظبي للثقافة والتراث وكذلك ما أنتجه نادي تراث الإمارات من أفلام وثائقية تخص بعض مظاهر الحياة والتراث ■

أكاديمي وباحث في التراث

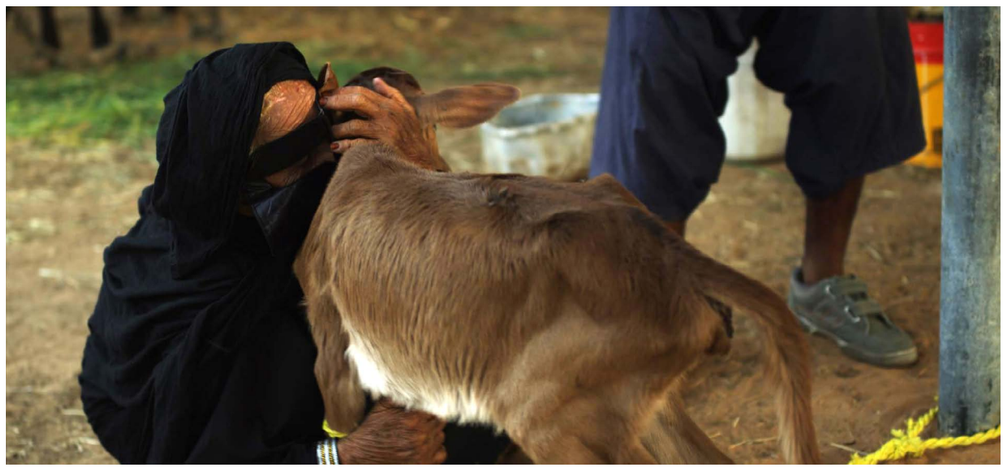

مسرح الفرجان.. تراث شعبي إماراتي

عبد الرزاق الدّرباس

يعتبر المسرح واحداً من أهم الفنون الإنسانية، ولا غرابة أن يقال عنه «أبو الفنون» لأنه شامل للفنون الأخرى التي تشكل عناصر مكوّنة له، فهو يأخذ التأليف من الكتّاب والمبدعين، والإخراج من المخرجين، والأزياء من المصممين، والديكور من الفنانين والرسامين، والموسيقى المرافقة من العازفين، بالإضافة إلى الإضاءة والمكياج والإكسسوارات، فتجتمع الفنون كلها فيه، ما يجعله أباً جامعاً لكل الفنون الأُخرى.

ولعل المتعة الأكبر في المسرح هو جماهيريته المتفاعلة معه، فهو حيّ تواصليّ بين الممثلين والجمهور من خلال رسالة هي المسرحية، ومرسلٍ هو الممثل، ومتلقٍ هو الجمهور، وإذا كان المسرح أحد الفنون المؤثرة في المجتمع وثقافته، لدرجة قول شكسبير عن ذلك: أعطوني مسرحاً أعطكم شعباً، فإن المسرح الشعبي هو الأكثر التصاقاً وتأثيراً بالناس وحياتهم.

ويكاد لا يخلو قطر عربي من تلك الظاهرة، ففي سوريا هناك الحكواتي والمسرح الشعبي، وفي تونس هناك المسرح الجوال، وفي العراق هناك مسرح المقاهي، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة هناك مسرح الفرجان. والفرجان جمع فريج وهي كلمة يقصد بها الحيّ السكني أو الحارة الشعبية، ويكون بين أهلها تواصل وتعارف وروابط متينة، حيث يقوم الفريق المسرحي بتنفيذ عرضه في الحي بوسائل بسيطة في المكان والمقاعد وخشبة المسرح، بهدف إيصال رسالة محددة إلى الجمهور، قد تكون أخلاقية أو اجتماعية أو دينية أو توعوية، وقد تكون للترفيه والتسلية أحياناً. وشاع مسرح الفرجان في دولة الإمارات العربية المتحدة وأقطار خليجية أخرى منذ خمسينيات القرن الماضي كتقليد لما هو شائع في العواصم العربية، التي تطورت فيها الحركة المسرحية مثل القاهرة ودمشق وبغداد في تلك الحقبة، لكنه سرعان ما تراجع بفعل التطورات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة التي شهدتها دولة الإمارات وبقية أقطار الخليج العربي، بفعل تغيّر أنماط الحياة، والتطور الاقتصادي والاجتماعي السريع بعد استقلال تلك الدول عن النفوذ البريطاني، ووفرة الموارد النفطية. وفي مجال إحياء التراث الثقافي غير المادي في دولة الإمارات العربية المتحدة، نشطت الحكومات المحلية والحكومة الاتحادية ممثلة بوزارة الثقافة وتنمية المجتمع، في مجال إحياء التراث والاهتمام بالموروث، فكان لمسرح الفرجان نصيب من هذا الاهتمام خاصة في إمارة الشارقة، حيث يقام له مهرجان سنويّ، ويلقى قبولاً شعبياً ملحوظاً، كما يبرز في كل دورة جيلاً جديداً من المواهب الشابة المتألقة في التأليف والإخراج والإضاءة والديكور. وفي مرور سريع على الأعمال المقدمة في مسرح الفرجان في دولة الإمارات العربية المتحدة عموماً والشارقة على وجه الخصوص، نجدها تتجمّع في ثلاثة مجالات رئيسية يمكن تجميعها كما يلي:

المسرحيات الجادة بما تضمه من رسائل توعوية.

المسرحيات الشبابية حيث يؤلفها ويخرجها ويجسد شخصياتها مجموعة من الشباب الواعد.

المسرحيات الهزلية التي تعتمد على بعض المفارقات المضحكة الجاذبة للجمهور. وفي النظر إلى الأثر الاجتماعي الذي تتركه تلك المسرحيات نرى أنها ترسخ بعض القيم التراثية لمجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة من كرم الضيافة، واحترام كبار السن، والأزياء التراثية، واللهجة المحلية، والمأكولات الشعبية، كما أنها تطرح قضايا اجتماعية مهمة مثل: التماسك الأسري، وأثر تفككه على الوالدين والأولاد والمجتمع، والآثار السلبية لمخالفة القوانين، والكوارث الشخصية والاجتماعية للمخدرات، كما تطور مسرح الفرجان لمواكبة التطورات التكنولوجية، فصرنا نشاهد عروضاً عن سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي واختراق الحسابات والأمن السيبراني، وذلك على شكل مسرحيات قصيرة شائقة تعطي الجمهور رسائل توعوية تسهم في النضوج والوعي لكل أفراد المجتمع. ويمكننا في نظرة سريعة تسجيل بضع ملحوظات حول الأعمال المسرحية التي يقدمها مسرح الفرجان، وتتلخص تلك الملحوظات فيما يلي:

- **منصة العرض:** قد لا تكون مسرحاً مثالياً، إنما منصة أعدّت على عجالة، أو عربة متنقلة (مقطورة) يؤدي الممثلون عروضهم فيها.

- **المؤلفون والمخرجون والممثلون:** وهم من فئة الهواة المحبين للمسرح الراغبين في ممارسة هواياتهم واكتساب مهارات فنية من خلال مشاركاتهم.

- **التجهيزات:** بسيطة ارتجالية وتخص الإضاءة والموسيقى والصوت ومقاعد الجمهور، ولكنها تؤدي دورها رغم بساطتها.

- **مدة العرض:** تكون قصيرة تتراوح ما بين 30 - 40 دقيقة تقريباً.

- **الجهات الراعية:** مؤسسات رسمية محلية أو اتحادية، وأحياناً رجال أعمال، وأحياناً دون رعاية رسمية داعمة من أي جهة.

- **التحفيز والتكريم:** يكون أحياناً موجوداً، وأحياناً أخرى يكون بمستوى لا يتناسب مع الجهد المبذول من فريق العمل المشارك.

- **المنافسة:** قد تكون هناك مهرجانات خاصة بمسرح الفرجان ومنافسات بين العروض واللجان الفنية للتحكيم، ما يجعل جودة العروض أعلى مستوى.

أفرزت هذه الأعمال نخبة من الشباب والشابات الباحثين عن جهة داعمة تتبنّى مواهبهم وتروي شغفهم للمسرح وفنونه ومهاراته. وفي هذا المجال تعتبر إمارة الشارقة سبّاقة في اهتمامها بمسرح الفرجان من خلال مؤسسة ربع قرن لصناعة القادة والمبتكرين برئاسة الشيخة جواهر بنت محمد القاسمي، ورعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، وذلك في مستويات الطفولة، والناشئة للبنين، وسجايا للبنات، كما يسهم المسرح الكشفي والصحراوي في أداء المهمة ذاتها أو المقاربة لها، من حيث المواصفات الفنية للعمل المسرحي ودوره التنويري للمجتمع.

إن مسرح الفرجان تقليد تراثي إماراتي قديم متجدد، يوازي المقاهي الشعبية وما كانت تقدمه من متعة وتسلية لجمهورها من خلال المهرج والحكواتي بهدف الربح المادي وكسب الزبائن، ولكنه في منطقة الخليج العربي ومجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة كان تقليداً اجتماعياً يدل على الترابط العائلي والمجتمعي، والتمسك بالتراثين المادي والاجتماعي للمجتمع، ليؤدي رسالة تنويرية ومتعة ترفيهية للحضور على اختلاف مستوياتهم العمرية والتعليمية.

ختاماً يمكننا من خلال ظاهرة مسرح الفرجان أن نؤكد حقائق راسخة لهذا النوع من الموروث الشعبي في المسرح، وجذوره الطيبة، واستمراره رغم تبدّل الحال وتقدم الزمن، وذلك لتحقيق أهداف نبيلة في الحفاظ على التراث الشعبي لمجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة، وتحميل هذا التراث رسائل هادفة للمجتمع، وتطويره لمواكبة المستجدات الاجتماعية والتقنية والاقتصادية فيه، وكل ذلك في قالب جاذب، لا يتجاهل حاجة الجمهور إلى الترفيه والبسمة، ما جعل الإقبال عليه دافعاً لاستمراره والاهتمام به من الجهات المتخصصة والمؤسسات صاحبة الشأن في هذا المجال ■

شاعر وأديب سوري

آفاق الأمن الثقافي في أوراق تراثية

محمد نجيب قدورة

تطمين موضوعي

قد نعرف الكثير الكثير عن أمن المعلومات في عوالم السياسة والحروب، ونحن ندرك ما مدى أهمية الحفاظ على السريّة في التخاطب العسكري أو أصول الأحاديث الدبلوماسية، لكن هل تعلم نفسي أنني أقرأ أوراقاً تراثية بمعنى: أن لا دخل لي في عوالم السياسة والحروب، فلكل خبز خبازه.. قالت نفسي: أعرف أنك منهمك في استلال الشعرة من عجين الفكرة، فماذا وراءك أيها الباحث البريء؟ قلت: بل أنا في ملعب كرتي جريء، لا أخشى على لساني زلة، ولا على قلمي عثرة. لذلك أكتفي هنا بالتطمين الموضوعي. عندما حملت قلم التراث:

قالت نفسي المهتمة بسلامة نواياي: هات من الآخر، قلت: حياتي الأولى ليست هي الأخيرة كما يقول كُتّاب السيرة الذاتية.. أجل يا نفسي تذكرين أستاذنا المتمسك بحرفية المنهاج حين قال: إن أحمد بن ماجد هو الذي دلّ فاسكو دي جاما إلى طريق الهند، وكيف أني وأنا ذلك الطفل في سن الثانية عشرة.. بعد رفع إصبعي كنت أعني ما أقول: عفواً أستاذي، مستحيل أن يفعل ذلك مثل أحمد بن ماجد العالم المخترع الجليل بأخلاقه وعلمه.. كان أستاذي (زهير الغزاوي) يمازح طلابه بعبارة (يا نمس).. ولم أكن نمساً إنما وعيت درساً ظل يشغل تفكيري ويعصف بي حيث عملت مدرساً في رأس الخيمة، وجلفار موطن أحمد بن ماجد وأسود البحر، لتتحقق نبوءة الطفل حين تعرّف على كتب أحمد بن ماجد ومحققها إبراهيم خوري الذي ساورته نفسه بالارتياب من شائعة الدلالة فاجتهد ليؤلف كتاباً عن استحالتها، حاول أن يسبر غور ما قيل.. المهم كان له فضل رمي حجر في بركة.. ثم توسعت دائرة الفكرة عندما وصلت ليديّ الأديب الباحث الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، فشدّ الرحال إلى بلاد الإسبان والبرتغال ليعود بكتابه المؤكد الموثق (بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد) إصدار دار القاسمي في الشارقة، ونظراً لأني دخلت معمعة البحث أصدرت كتابين محاولاً اتباع منهج الوعي الأمني في قراءاتي للتراث فكان الأول (ملحمة ناموس جلفار) والثاني (ابن ماجد المعلم الأريب في إفهام اللبيب) كما روّجت لهذه الفكرة في كتابي الثالث (السيرة البحرية) عندما تحدثت عن ابن ماجد وأسود البحر. وكان المحور الأساسي فيما كتبت هو كيف نأمن على أنفسنا من تزييف من الحقائق.

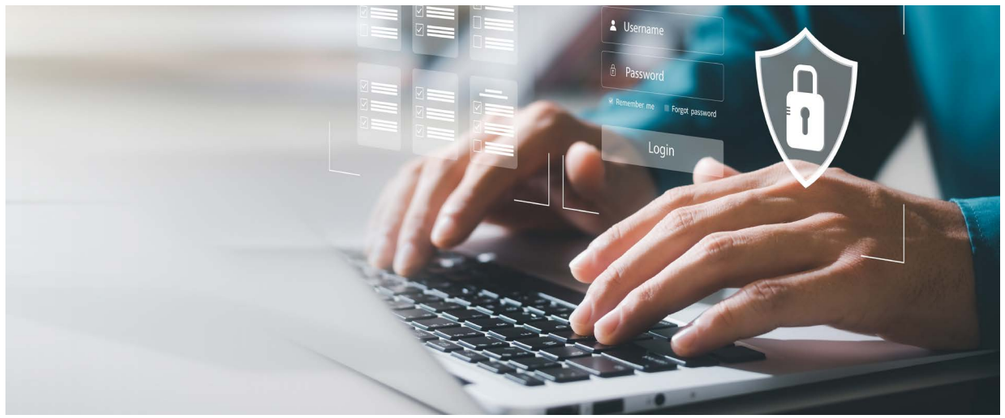

آفاق ضرورة الأمن الثقافي:

لم يكن حديثي عن تجربتي تزكية لنفسي، لأن نفسي ذاتها قالت: لا بأس أن تسرد بالطريقة الاسترجاعية جهود علماء أمتك وأولياء أمورها في ذكائهم الاجتماعي والتاريخي وهم يسمعون أو يقرؤون أو يكتبون... قلت: أيتها الذاكرة، علم الجرح والتعديل وعلم الرجال من العلوم المخبرية في استحقاق سلامة المتون المروية التي قام عليها عصب الفكر العربي، حتى الشعر في تدوينه خضع إلى هذه المعايير إلا ما ندر ولعلك تستغربين مثلاً من قول ابن خلدون في مقدمته وسواه عن هارون الرشيد (أنه كان يغزو عاماً ويحج عاماً) وأن الرشيد لم يعاقر الخمرة مع أبي نواس بل أمر بحبس أبي نواس لانهماكه في شرب الخمر حتى تاب، ثم يا نفسي شخصية أبي نواس الشعبية في نسبة شعر أو خبر فيها ما فيها من الزيادات والانتحال.. ونحن ننكر سلوك أبي نواس ولا نزكيه في أول حياته، لكن أبا نواس كان عالماً بالشعر حتى قال عنه الإمام الشافعي: (لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم) وقد وصل الخيال الشعبي أيضاً إلى (جحا) بمبالغة وزيادة تختلف عن شخصيته الحقيقية، فجحا لقب لرجل يدعى (دجين بن ثابت الأنصاري وكان فقيهاً عبقرياً خفيف الظل عاش في القرن الأول، ولا أخفي عليك يا نفسي: إن كتاب الأغاني الذي سرد سيرة كثيرين من شعرائنا كان ينقل ما هب ودبّ باعترافه هو أو بشهادة رجل آخر هو(أبو الفرج الجوزي) في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عن الأصفهاني: (ومثله لا يوثق بروايته) ويضيف: ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر. بالطبع يا نفسي أنت تعرفين شهرة كتاب الأغاني ومدى ملئه رفوف الكُتّاب والمؤرخين حتى غداً معتمداً في سرد الأخبار التي تحوي من اللامعقول أكثر من المعقول.. ولقد رأيتني يا نفسي كيف أنني في بحثي عن جميل بثينة وأشعاره استغربت من نسبة أبيات لجميل بثينة الشاعر العذري العفيف تفوق شعر المجون أو أشعار الحب الصريح... قالت نفسي: أراك تريدنا أن نقوم بفعل ما يستدل به على آفاق الأمن الثقافي.

تفعيل التحقيق في كتب التراث الثقافي:

قلت لنفسي أجل، لِمَ لا؟ فإذا كان الذين قبلنا اعتبروا التحقيق هو مجرد الوقوف على نسبة قول أو خط أو لفظ أو معنى فالمقصود في التحقيق الأمني لكتب التراث يجب أن يصبّ في إطار معرفة ما بين السطور من خلال المنطق الحكمي، كما بحث ابن خلدون وكما يعمل الوصافون المحللون في تحديد مواضع الخلل كبحث علمي في حقائق لا مجرد جمع نسخ ومقابلتها بأخرى، وإن كان مثل النوع جهداً مشكوراً.. لكن حتى علماؤنا القدامى أمثال الجاحظ قال في كتابه «البيان والتبيين»: أبو زيد الأنصاري عالم بالرواية لا بالدراية وهذا هو مرام الأمن الثقافي الذي طبق في مثلنا العربي: لا تصدق كل

ما تسمع، وليس من رأى كمن سمع، والوعي في الأمن الثقافي هو الفيصل.

التأويل في العلم النفيس:

هل هو بيان أو هو تحذير! لكن الواضح أنه أبلغ، ففي المصطلح دعوة تفسح لنا مجال النبش والبحث في التراث عن الحقيقة والعمل على تصويب المفاهيم، لأنّ المآرب والغايات التي تبرر الوسيلة تجعل الكلام مردوداً على صاحبه حيث هناك الفرق بين الحقيقة والحكاية، فلا يجوز القول وهذا ما تفعله العرب في وأد البنات على العموم مع أن المقصود به وأد نفس الطفل البريء من ولادة حرام، والوأد للنفس يشبه التضحية بالقرابين البشرية عند الشعوب القديمة عند العرب وغير العرب، هذا المثال تتابعت فيه الآراء ولم تتطابق، وهنا يجب التفريق بين الوأد والذبح لغة، فالدعوة إلى ترك الوأد وقتل النفس توصية استقبالية أكثر مما هي تذكرة بما كان يحدث..

قالت نفسي: تعني أن وأد السفاح وإلقائه على أبواب الأحياء والمخافر ما زال مستمراً ولا يعني أنه كان عادة لسبب آخر، فالعرب يفاخرون بأولادهم وبناتهم في النسب حيث العرق دساس في المعتقد الشعبي.. والذي حدث عندنا من المعارف يجعلنا مؤهلين للنبش في التراث للرسوخ في العلم بعيداً عن مزاج التأويل.. قالت نفسي: لعلك أردت أن تتوجه إلى الأمن الثقافي من زاوية أخرى.

الدس والانتحال والإرجاف:

قلت لنفسي: أجل، الحذار الحذار من إخلال الأمن الثقافي في الموروث والمستحدث، فالدس إدراج على أصل الحقيقة أو زيادة عن الأصل، والانتحال تزوير وادعاء أما الإرجاف فهو الإفك الذي لا دليل عليه لذلك وصف بالجرم العظيم.

أجل هذا الثالوث الرهيب له تأثيره القاتل في عملية غسل الدماغ خاصة إذا وصلت الأمور إلى قلب الحقائق والكيل فيها بمعايير تشبه البديهيات والمسلمات التي قد تمتد قروناً، فإذا جئت لإدخالها إلى مختبر أمن المعلومات فسترى العجب العجاب، قالت نفسي: هذا الحديث ذو شجون، لكن لا بأس أنك أشرت إلى الإفك العظيم أضف إلى ذلك أن أصحاب المصالح المستبدة قد اعتبروا الأنبياء شعراء أو كهانا أو أنهم استوردوا أفكارهم.. قلت: أَوَ غاب عن ذهنك الافتراء وما حصل من تزوير في كتابة التاريخ في غفلة عن أعين العارفين؟ فغدا كلامهم مصدراً ومرجعاً.. ثم أنسيتِ إغفال التوثيق للحضارة البدوية والتركيز على الحضارية المدنية، بل أيتها الواعية إن

التحريف طبع في الترويج، إما لما يخالف الحقيقة، وإما لما هو وَهْمٌ يستفاض به حتى يخرج الأصل عن أصله والمصيبة أننا لا نجد أحداً يعترض عليه، فإن اعترض فهو خارج عن السرب والنص.. أتذكرين يا نفسي مقولة: هذه الأرض لا تصلح للعيش الآدمي ولا النباتي ولا الحيواني؟ إلا أن المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - قال: دعونا نجرّب. فكان الأمن الثقافي في أوراقنا التراثية شعاراً يُحتذى به في التفريق بين الحقيقة والحكاية... قالت نفسي: أعندك تعليق آخر. قلت: المكتوب من عنوانه.. إنها آفاق الأمن الثقافي في أوراق تراثية..

غربلة الثقافة والتراث ومصيدة الأمن السيبراني:

هنا نحن أمام فرع من فروع التقنية المعروفة بأمن المعلومات الذي مهمته الإيجابية الضمان الأمني لحماية المعلومات والوثائق من السطو والاختراق في الشبكات والحوسبة السحابية، ولِمَ العجب فحرب النجوم والأقمار الاصطناعية والانفجار المعرفي لم تترك شيئاً على حاله مما أحوج الدول إلى إنشاء صندوق ثقافي تدخّل في مساندة الأمن الوطني، ولا بأس هنا أن نوسّع الفكرة لنضع التراث المسجل في الهيئات الرقمية في الائتمان حيث يخشى من تعرض شبكة الإنترنت إلى التهديد، سواء بالتعطيل أو الإتلاف، قالت نفسي: لقد تحول الأمن الثقافي والتراثي إلى علم تجاوز حروب السيف والبارود والنووي، قلت: يا رعاك الله، لابدّ من الإجراءات الاحترازية منعاً للعبث والتبديل، لأن الأمن التكنولوجي نهايته أمن المعلومة والثقافة والهوية التراثية. قالت نفسي: الآن أنا مطمئنة على تفعيل التحقيق وإعادة الاعتبار إلى صحة المتن والسند ■

باحث فلسطيني

نبوءات الشعراء بين الفراسة وشيطان الشعر

قاسم خلف الرويس

باحث ومؤرخ سعودي

في الوقت الذي نؤمن فيه جميعاً بأن الشعر والنبوة أمران يستحيل اجتماعهما بدليل قول الله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» (سورة يس، الآية 69) لأنهما مختلفان تماماً، فإن اسم الشاعر (المتنبي) لا يزال حاضراً على مدى تاريخ الشعر العربي؛ ويرى الدكتور ضيف الله الثبيتي في كتابه (المتنبي في الدراسات الأدبية الحديثة في مصر) أن دعوى النبوّة مكذوبة على أبي الطيب المتنبي ولا صحة لها وإنما هي ملفقة من خصومه وأعدائه في العصر العباسي، مستشهداً بما يحكى عن أبي الطيب أنه إنما لقب بهذا اللقب لقوله:

أنـــا مـــن أمـــة تداركهـــا اللـــه
غريـــب كصالـــح فـــي ثمـــود

وقوله:

مـــا مقامـــي بأرض نخلـــة إلا
كمقـــام المسيـــح بين اليهـــود

ورغم هذا التباين بين الشعر والنبوة فإننا نلاحظ أمراً آخر هو اقتران الشعر بالتنبؤ أي توقع حوادث المستقبل من الأقوال والأفعال وهو محور الحديث هنا.

ومما تذكره كتب التراث في هذا الشأن (بلوغ الأرب 22/1) قول الفرزدق حين نبا سيفه عن أحد الأسرى وقد أمر بقتله في مجلس سليمان بن عبد الملك: كأني بابن المراغة قد هجاني:

بسيـــف أبي رغوان سيـــف مجاشـــع
ضربت ولم تضرب بسيـــف ابن ظالـــم

ثم قام وانصرف فلما حضر جرير فأخبر الخبر فأنشأ يقول على البديهة:

بسيف أبي رغـــوان سيف مجاشـــع
ضربت ولم تـضرب بسيـــف ابن ظالـــم

وأعجب سليمان ما شاهد ثم قال جرير كأني بابن القين قد أجابني فقال:

ولا نقتـــل الأســـرى ولكن نفكهـــم
إذا أثقـــل الأعنـاق حمـــل المغـــارم

فكان ما قاله جرير، قلت: وربما كان ذلك نتيجة لمعرفة الشاعرين لأسلوب كل منهما بسبب استمرار المناقضات بينهما، وهذا ما نجده في الشعر النبطي في قصة مشابهة بين الشاعرين مبيريك التبيناوي الشمري وسعدون العواجي العنزي، حيث ذكر المارك في (شيم العرب) أن العواجي تبارز مع أحد فرسان شمر فسقطا عن جواديهما وسقط سيفاهما من أيديهما فقام كل منهما بسرعة فركب جواد الآخر وأخذ سيفه على سبيل الخطأ فأمسى العواجي مغموماً حزيناً فظن من حوله أنه بسبب فقدان جواده وسيفه الغاليين عليه فلما سئل أجابهم بأن الذي كدر خاطره هو أن التبيناوي سيقول غداً:

السيـــف من يمنى عقـاب خذيناه
والخـــيل بدل كدشها بالأصايل

فما أصبح الصباح إلا والركبان تردد هذا البيت مؤكدة نبوءة الفارس الشاعر سعدون العواجي. ومن النبوءات على الحوادث المستقبلية قول عدوان الهربيد الشمري:

يا سعيد لو تضرب على دارة الديد
بزرقاً تشـــل الروح بالاشتـــعال
بديار مربية البـــقر مرتع الصيـــد
ما عندك اللي عن حـــوالك يسال

حيث قتل سعيد برمح في المكان الذي ذكره الهربيد.

إن توقعات الشعراء العمالقة على مدى تاريخ الشعر النبطي كثيراً ما تصيب والشواهد على ذلك كثيرة، فهل في ذلك دليل على فراسة أم هي شياطين الشعر؟! ■

تجاوز حدود الثقافة الراكدة

شريف مصطفى محمد
كاتب وقاص مصري

تحدّث إدوارد برنيت تايلور، أحد مؤسسي علم الأنثروبولوجيا، عن الثقافة فعرّفها بأنها ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة، والاعتقاد، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، وأي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع. لذلك، تظل الثقافة هي الإطار الجامع للمفاهيم التي تنعكس على سلوكيات المجتمع وتحكم العلاقات التي تربط أفراد المجتمع ببعضهم. وحين نتحدث عن الثقافة، فإننا نقف أمام التراكم الذي تتوارثه الأجيال المتعاقبة، ونجد أنفسنا أمام حائط يقف حائلاً بين المجتمع والتغيّر والتغيير، وهو «الركود الثقافي».

بداية، قد يلتبس عند بعضهم أن مصطلحي «الركود الثقافي» و«الثقافة الراكدة» مرادفان لدلالة واحدة. ولكن، في حقيقة الأمر، هما مختلفان في الدلالة.

«الثقافة الراكدة» هي مصطلح يستخدم لوصف العادات والتقاليد والقيم الثقافية التي تبقى ثابتة وغالباً ما تمتد لأجيال عدة في مجتمع معين. تعبّر هذه الثقافة عن الهوية الثقافية لهذا المجتمع وتشمل عادات الزواج، واللباس التقليدي، والطقوس الدينية، والقوانين الاجتماعية، والعادات اليومية. واستنتاجاً لما سبق الثقافة الراكدة تمثل جزءاً مهماً من تراث المجتمع وتسهم في تشكيل هويته وتماسكه الاجتماعي.

قد يبدو أمامنا أن المفهوم سلبي حيث إن التركيبة اللغوية للمفهوم توحي بسلبيته، ولكن في حقيقة الأمر، هو مصطلح يصف الثقافة المتوارثة في المجتمع والراسخة. ولكن، حين نتحدث عن «الركود الثقافي»، فنحن ننتقل إلى ضفة أخرى.

«الركود الثقافي» هو مصطلح يستخدم لوصف حالة تجمد أو توقف في تطور الثقافة في مجتمع معين. يمكن أن يحدث الركود الثقافي عندما تبقى العادات والتقاليد والقيم الثقافية ثابتة على مر الزمن دون تغيير أو تطوير. يمكن أن يكون هذا الأمر ناتجاً عن عوامل عديدة مثل قلة التفاعل مع ثقافات أخرى، أو عدم وجود تحديث أو تجديد في الفكر والممارسات الثقافية. ويمكن أن يؤدي «الركود الثقافي» إلى فقدان الروح الإبداعية والتنوع الثقافي في المجتمع، ويمكن أن يكون تحدياً للتطور والتقدم في مجالات مختلفة.

عند هذه الزاوية، تبدأ الأزمة التي لا تغيب عن حالتنا العربية، فنحن نعاني حالة «ركود ثقافي» تواجهه محاولات إلقاء الحجارة من أجل إعادة الحياة لها والتخلص من الطفيليات والطحالب الثقافية التي تراكمت عليها نتيجة حالة الركود. وتشتبك مع حالة الركود الثقافي أزمة مصاحبة وهي تحوّل «الثقافة الراكدة» إلى ثقافة مقدسة، حيث صببنا عليها مصهور الدين ليكون درعاً واقياً لها من حالات التثاقف التي تلقي بحجارتها في بركتها الراكدة، محاولة أن تعيد الحركة ودوامات المعرفة لها من أجل أن تسمح لشمس التطور أن تتخلص من غبار الجمود والتماهي مع تغيرات العصر.

لقد واجهت مجتمعاتنا مصاعب جمة، وما زالت تواجهها من الركود الثقافي، والتطرف هو الابن البار لهذه الحالة. حين عاشت ألمانيا حالة من الركود الثقافي تحت حكم النازية، فقد شهدت ألمانيا تقييداً شديداً للتعبير الثقافي والفني، حيث حُظِرَت الأعمال الفنية والكتب التي لا تتوافق مع الأيديولوجية النازية، وهذا القمع الثقافي والانغلاق على نعرة ثقافية معينة ساعد على تعزيز الأفكار المتطرفة ونشر الدعاية النازية. وهذا ما عشناه، وما زلنا حتى الآن، مع تصاعد تيارات الإسلام السياسي التي جاءت لتكون إفرازاً لحالة ركود ثقافي عاشت فيها المنطقة سنوات طويلة. وفي النهاية، تحولت تلك الأفكار إلى رصاص موجه لصدر المجتمع عبر عقول انغلقت على موروثها الثقافي المحتمي خلف درع الدين، والأسوأ حين يتحول أفراد المجتمع ذاته إلى أداة قمع ثقافية ضد الحجارة التي تريد تحريك الركود الثقافي المسيطر عليه.

وحين نتأمل العالم من حولنا للبحث عن تجربة كسر حالة الركود الثقافي، سنجد حالة التخلص من سياسة الأبارتيد الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وكسر المجتمع تلك الثقافة الراكدة لسنوات طويلة التي أسست للفصل العنصري، واستطاع نيلسون مانديلا، الرمز، أن يكسر قيود الثقافة الراكدة، وتحولت جنوب أفريقيا خلال سنوات من التثاقف إلى دولة مؤثرة ومجتمع متماسك، وإلى رائد اقتصادي وثقافي وسياسي.

ينجم الركود الثقافي عن أسباب عدة، ومنها:

- التمسك بالتقاليد والعادات دون تجديدها أو تطويرها بمرونة
- عزل المجتمع وعدم التفاعل مع ثقافات أخرى أو عدم الاستفادة من التجارب الثقافية الخارجية.
- وجود قوانين أو تقاليد اجتماعية تقيّد الحرية الثقافية وتمنع التطور والتجديد.
- عدم توفر التعليم والوعي حول أهمية التنوع الثقافي.
- سيادة الشعور بالاستعلاء الديني، هو القاعدة الواسعة التي عليها أقيمت كل الحوائط السابقة التي تحمي عقل المجتمع وتحافظ على حالة الركود الثقافية التي يعيشها، وتمنح الثقافة الراكدة مسوغ بقائها الأبدي.

كل هذا سيؤدي إلى تراجع الفنون والثقافة الإبداعية، وقلة الإنتاج الثقافي الجديد، وسيادة المفاهيم الشعبوية.

لمحاربة الركود الثقافي، وسيادة ثقافة المؤامرة التي أصبحت ترياقاً يشبعون به بطون المجتمع كلما حلت كارثة نتيجة لهذا الركود الثقافي، يجب تعزيز التفاعل مع ثقافات أخرى، وتشجيع الابتكار والإبداع الثقافي، وتعزيز التعليم والوعي الثقافي، والترويج للحوار والمناقشة حول قضايا الثقافة والتجديد، ودعم حرية التعبير الفكري والثقافي والفني.

إن تكوين هذا الوعي الثقافي بأهمية التثاقف تبدأ رحلته مع العقول الغضة في مراحل تكوين الوعي الأولى، حين نصنع مناهج تعليمية تتخلى عن الاستلاب العقلي الذي يتعرض له الأطفال في مراحل تعليمهم الأولى، ودعمهم بمناهج ديناميكية تفاعلية تستجيب لطاقات السؤال المتدفقة لدى الأطفال في مراحلهم العمرية الأولى. من هذه الخطوة تبدأ الرحلة من أجل حماية المجتمع من الركود الثقافي، ومن ثم سيادة حالة من الاستلاب الحضاري، وتفقد كل المكتسبات الحضارية المادية قيمتها، وتصبح مجرد هيكل خارجي مبهر وتفاصيل داخلية خربة لا تسكنها إلا غربان التطرف ■

الموسيقى والجهاز التنفسي

نورة صابر المزروعي

تؤكد الدراسات التي أجريت حول علاقة الفنون بأمراض الجهاز التنفسي، أن الأنشطة الفنية مثل (الموسيقى والرقص والغناء) لها تأثير إيجابي في الجهاز التنفسي، ولديها القدرة على نقل تركيز المصاب من حالته المرضية إلى الاسترخاء وتحسين عملية التنفس.

ومن أهم الأساليب المستخدمة في علاجات أمراض الجهاز التنفسي ممارسة التمارين الرياضية الخاصة بالتنفس مصحوباً بالاستماع إلى الموسيقى. وتعد التمارين الرياضية عنصراً أساسياً لمقاومة أمراض الرئة المزمنة. كما ينصح الأطباء بممارسة التمارين الرياضية المخصصة لفئة المصابين بأمراض مزمنة في الجهاز التنفسي. وأجرى باحثون دراسة على عينة من المصابين بمرض الانسداد الرئوي المزمن، ووجدوا أن المحفزات السمعية أثناء ممارسة الرياضة، تعمل على التقليل من أعراض ضيق التنفس كما أنها تقلل من مستويات القلق وتنظم معدل ضربات القلب.

إن التحفيز السمعي الإيقاعي، الذي ترتبط فيه الموسيقى بالحركة يثير الجهاز العصبي لذا استخدمت تمارين معينة مصحوبة بالتحفيز السمعي لإعادة التأهيل الرئوي[1]، وإن الجهاز العصبي والعصب السمعي متصلان بالقناة السمعية للأذن الداخلية ويرتبطان بعضلات الجسم كلها، والاستماع إلى الموسيقى أثناء ممارسة الرياضة يعمل على إزالة التوتر العضلي ويقوي العضلات. كما أن للموسيقى ترددات تؤثر إيجابياً في أعضاء جسم الانسان فالترددات الموسيقية بين 40 إلى 66 «هرتز» تؤثر على الجزء السفلي من الجسم (الظهر والحوض والفخذ والأرجل). وعندما تزيد ترددات الموسيقى فوق 66 «هرتز» يمتد تأثيرها إلى الجزء العلوي من الجسم (منطقة الصدر والقلب والرئتين والحنجرة والرقبة والرأس)

وهذا النوع من الترددات تستخدم للمصابين بأمراض الجهاز المناعي. وتوظف العيادات الأمريكية في قسم إعادة التأهيل للمصابين بأمراض الجهاز التنفسي الموسيقى بترددات معينة تستهدف منطقة الصدر[2]. حيث قدّم باحثون في بريطانيا دراسة على عينة شملت 213 مريضاً يعانون أمراض الرئة والربو ومشكلات التنفس، وتم إحضار عازف ليعزف للمصابين وجرى قياس الحالة النفسية بعد الاستماع إلى الموسيقى، ووجدوا بأن العزف

المباشر يعمل على التقليل من معدل ضربات القلب ومشكلات الجهاز التنفسي. وتشير هذه الدراسة إلى أهمية وجود عازف في المستشفيات يعالج المرضى بالموسيقى في قسم أمراض الجهاز التنفسي[3].

آلات النفخ والجهاز التنفسي:

قدمت دراسة بريطانية كيفية الاستفادة من آلات النفخ لمرضى الجهاز التنفسي، وتؤكد الدراسة البريطانية بأن آلات النفخ دون الآلات الموسيقية الأخرى تساعد في علاج أمراض الجهاز التنفسي. وينصح الباحثون المرضى بالعزف على الآلات النفخية بأنواعها كافة لأنها تحسّن من أداء عملية التنفس إذا تم العزف عليها وممارستها بشكل يومي حيث لديها القدرة على توسيع الرئتين والقصبات الهوائية ويمكن بذلك الاستغناء عن بعض الأدوية الطبية المتعلقة بمشكلات التنفس[4]. وفي بريطانيا أيضاً، أُدرج العزف الجماعي على الآلات النفخية في قسم أمراض الجهاز التنفسي، وأظهرت النتائج تحسينات كبيرة في وظائف عضلات الجهاز التنفسي[5]، وتؤكد الباحثة التونسية أسماء الماجد في كتابها الذي بعنوان «الموسيقا والتنفس»، أن الموسيقى تلعب دوراً مؤثراً لمن يعاني صعوبات في التنفس. ونصحت باستخدام الآلات النفخية الخشبية (الناي)، والنحاسية (البوق، والساكسفون) لتنمية قُدرات الجهاز التنفسي، ولتقوية الرئتين والسيطرة على عملية التنفس بشكل أفضل.

كما توظف المستشفيات فنانين يجيدون الغناء لتدريب

المرضى على الغناء بطريقة محددة لأنه يعمل على انبساط عضلات الحنجرة (مصدر إخراج الصوت) وهي مرتبطة بالجهاز التنفسي -الذي يتكوّن من القصبة الهوائية والرئتين - الغناء يعمل على التحكم في التنفس وإخراج الهواء من الصدر، والصوت يسهم في تنشيط عضلات الجهاز التنفسي. وتؤكد الدراسات بأن الغناء ضمن كورال جماعي يحمي مرضى الانسداد الرئوي المزمن[6]. أما الغناء الجماعي فهو يقوم أساساً على اختيار أغاني بدقة لتساعد في التحكم بعملية التنفس وصولاً إلى الاسترخاء. وأدركت الدول الغربية أهمية دمج الفنون بالعلوم في المستشفيات، حيث تبنّت المملكة المتحدة البريطانية «الغناء من أجل صحة الرئة» وهو برنامج غناء جماعي تم تطويره خصيصاً للأشخاص المصابين بأمراض الرئة المزمنة. وتتضمن الجلسات عمليات الإحماء الجسدية والصوتية، وتمارين التحكم في التنفس. وهناك ما يقرب من 100 مجموعة غنائية في المملكة المتحدة في مستشفيات بريطانيا «برنامج الغناء من أجل صحة الرئة» وهو برنامج معترف به في العديد من المستشفيات الطبية في أوروبا ويتم اتباعه في أستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة وأوغندا[7].

من ضمن الفنون المستخدمة، جلسات رقص للمصابين بأمراض الجهاز التنفسي المزمنة في مستشفيات الدول الغربية، وتوظف المستشفيات في بريطانيا جلسات رقص من جنوب آسيا وجلسات رقص من شمال آيرلندا[8]. وتبنّت الأحزاب السياسية في بريطانيا فكرة توظيف الفنون التي تخاطب الروح ودمجتها مع العلوم الطبية التي تخاطب الأجساد في مستشفيات بريطانيا فاستطاعت بذلك تحقيق نسبة نجاح عالية في علاج المرضى. وقُدم تقرير بعنوان «الفنون من أجل الصحة والرفاهية» يتحدث عن تأثير الفنون في صحة المرضى ومزاجهم، وقدمت توصيات لتطوير الأساليب الفنية المتنوعة ودمجها على نطاق أوسع في المستشفيات. ومنها إعادة النظر في دور الفنون وتوظيفها في المستشفيات للمساعدة في علاج المصابين بالأمراض الصدرية المزمنة. ودعت الحكومة البريطانية إلى تبنّي فكرة المعالجة بالفنون وإدراجه ضمن الخطط السنوية لوزارة الصحة[9] ■

أكاديمية من الإمارات

المصادر:

1. Keir Philip, Adam Lewis, Nicholas S. Hopkinson, Music and Dance in Chronic Lung Disease, Breathe Journals, ERS, European Respiratory Society, United Kingdom, 2019 https://breathe.ersjournals.com/content/15/2/116#xref-ref-7-1

2. Don Campbell, The Mozart Effect, power of the music to heal the body , strengthen the mind and unlock the Greative Spirit, Avon Books, U.S New York, 1997,p69

3. Wiley-Blackwell. Music Relieves Stress of Assisted Breathing Science Daily News, 8 December 2020 https://www.sciencedaily.com/releases/2010/12/101207191443.htm

4. د. نورة صابر المزروعي، هل الموسيقى مفيدة حقا ؟ جريدة الاتحاد، الإمارات، أبوظبي، 13 أغسطس 2020. https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/101636

5. Keir Philip, Adam Lewis, Nicholas S. Hopkinson, Music and Dance in Chronic Lung Disease, Breathe Journals, ERS, European Respiratory Society, United Kingdom, 2019 https://breathe.ersjournals.com/content/15/2/116#xref-ref-7-1

6. عُمان الثقافي، الرياضة والغناء والأدوية مفيدة لمرضى الانسداد الرئوي المزمن، صحيفة عُمان ، مسقط، 31 مارس 2023. https://www.omandaily.om/

7. Lewis. A, Cave P. Sterm M, Et al. Singing for Lung Health - a systematic review of the literature and consensus statement. NPJ Prim Care Respir Med 2016; 26: 16080

8. Farmer C. Dance Well Evaluation Report 2016-2019. London, Akademi, 2018. Available from: https://akademi.co.uk/wp-content/uploads/2018/11/DW-Evaluation-Report-2018-FINAL-web.pdf

9. All-Party Parliamentary Group on Arts Health and Wellbeing All-Party Parliamentary Group on Arts, Health and Wellbeing. Creative Health: The Arts for Health and Wellbeing. 2nd Edn. 2017. Available from: www.artshealthandwellbeing.org.uk/appg-inquiry/

بين صوت الألم وصدى الجمال

تلج أغاني الشعوب بوابة الوجدان

نوزاد جعدان

الأغاني التي لا نملها تبقى جزءاً لا ينفصل من ذاكرتنا، نسمعها مراراً وكأننا ننصت لها للمرة الأولى، لنكتشف الجديد فيها ونغرق معها في عالم مغاير للواقع، مثل أي نهر جارٍ يحمل ذاكرة الغابات البعيدة، تلك هي الأغنية الكاملة كالقصيدة الكاملة، بناء متماسك لا يتعرض للتآكل، ولا قطع تبديل لها. شريط الجينات الوجداني للإنسان، نؤمن طوراً أننا سئمنا منها نتيجة فواصل الحياة، ولكن حين نَصدفُ صداها في أحد الأزقة أو من إحدى الشرفات، تعود بنا إلى تلك اللحظة الأولى، يوم أوقدت الأغنية شمعة في حياتنا

الأغاني الكاملة التي تبقى في الوجدان ولا تنصهر مع عوامل وترسبات الزمن والذاكرة، تمخّضتْ عن تجربة أليمة عاشها شاعرها وملحنها ومطربها، وخرجت كدفقة شعورية أولى مثل المواعيد التي تمر بأقدامها على حدائقنا حافية كعفوية المطر، تبدأ من الحطّاب الذي عرف أي شجرة يختار، فتفنن بتقطيعها، مروراً بالنجار الذي هندسها وعرف أي مادة حيّة بين يديه فترفّق بأوصالها، وانتهاء بالمنجّد الذي تفنن بصنع الكرسي فغطاه بغطاء خلاب وجمع الأطراف كلها في جسد واحد، ليحمل الكرسي آلام الحطاب ومسامير النجار ووخزة إبرة المنجّد، لتتوج رغم الألم، وتصبح عرشاً ينبض بأفئدة تلك الأيدي الماهرة، حرفيي القلب تمثل أغنية «الليلة يا سمرا» إحدى أنجح تلك التجارب وأعمقها، إذ بدأت قصة الأغنية من داخل سجن «الواحات» عام 1962 في مصر، ومن بينهم كان الشاعر فؤاد حدّاد، والملحن أحمد منيب والفنان المطرب محمد حمّام والأديب زكي مراد. وكردّ فعل لا يخوض غمارها إلا المبدعون، اجتمعت إرادة الفن لتعيش إرادة الحياة، فاحتفلوا بعيد ميلاد الأديب زكي مراد الخامس والثلاثين، حيث قام الشاعر فؤاد حدّاد بكتابة قصيدة «الليلة يا سمرا»، ولحنها الملحن أحمد منيب ورسم رسوماتها التعبيرية وغناها صاحب الصوت الشجي الفنان محمد حمّام، لتكون أغلى هدية تُهدى لمناضل، وسرب حمام أبيض لا توقفه إشارات الليالي السوداء، غنّت السمراء بلونها الداكن تحت ليل حالك، فضاعت الظلال والقيود ووصل صداها جلياً إلى الملايين، فكانت حرية نسج لوحتها ثلاثة عشاق للوطن. ومن بلد الكنانة إلى بلاد الرافدين، من نزيف الوطن إلى نزيف القلب نصدف تجربة تماثلها، الأغنية الكاملة، إذ تمثل أغنية يا حريمة» إحدى روائع الأغاني العراقية والعربية، تبدأ قصتها مع الشاعر ناظم السماوي الذي كان في السبعينيات من القرن الماضي سجيناً سياسياً في سجن نقرة السلمان بالسماوة، وكان معجباً بفتاة في العشرين تواظب على زيارته، ليتخلل العشق فؤاده وهو قابع وراء القضبان. وبعد فتره من الزمن انقطعت الفتاة عن زيارته، وعند سؤاله عنها قيل له إنها

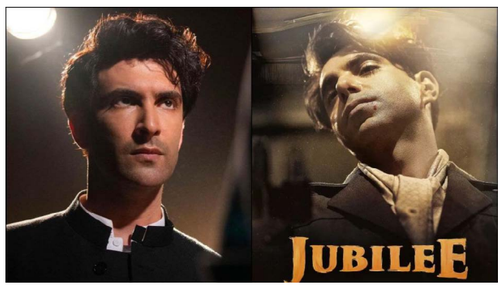

قد تزوجت. وإثرها كتب ناظم رائعته يا حريمة»، ثم أعطاها للملحن الراحل محمد جواد أموري وبقيت عنده قرابة العام ونيف دون أن يمسها، وبعد رحيل زوجته وهي في ريعان شبابها وجد في كلماتها العزاء فلحّنها. ثم أسند الأموري الأغنية إلى المطرب حسين نعمة الذي كان يمر هو الآخر بأزمة عاطفية مع زوجته السابقة، ليكمل الثلاثة طرح الأغنية التي تَجمّعت من نزيف ثلاثة روافد، وتُشكّل بحراً متلاطماً من الآهات. وهناك إلى الأندلس والقصيدة المشهورة «الظل الأسود» التي كتبتها الشاعرة الإسبانية روزاليا دي كاسترو (1837-1885) بلغتها الجاليكية حين فقدت ابنها، وتعتبر من روائع الرثائيات في العالم لاسيما في مطلعها وهي تقول «عندما أفكر برحيلكَ تتراءى لي كخيال أسود يظللني / وفي طرف الوسادة وظلها تعود رؤياك وكأنك تهزأ بي / ولكن حين أدرك أنك رحلتَ لا محالة / تتجلى لي حتى في الشمس / أنتَ النجمة التي تضيئ وأنت الريح التي تهب / إن غنوّا كأنك أنت الذي يغني / وإن بكوا كأنك من يبكي / أنت هدير النهر / أنت الفجر وكل الليل / في كل شيء تتراءى لي/ أنت كل شيء وفي داخلي تعيش / يا شبحاً حيّاً لا يفارقني ظلّه»، وبعد مئة عام يفقد المغني الإيطالي آل بانو ابنته يالينا عام 1994 ويشدو الأغنية بصوت الأب المفجوع عن اختفاء ابنته. وفي الولايات المتحدة كتب المغني والملحن جيمي رادكليف (1936- 1973) أغنيته «وماذا أملك الآن»، بعد رحيل حبيبته عنه إذ كان يعاني مشكلات في الوزن ومشكلات صحية جمة تقول كلمات الأغنية: ما الذي بقي لي الآن / من دون حبك / كوة من الذكريات القديمة فقط

/ أيام وحدة شقية / قلب شاكٍ باستمرار / هذا كل ما أملكه / منذ رحيلك/ وحيداً في غرفة باردة / محاطاً بأربعة جدران زرق/ تغنيها روحي الحائمة / روحي المحكومة بالفشل لأنني كل هذا / كوكب فارغ / يد مرتجفة وقلب غائم لا يعرف الفرح / مثل شخص أحمق لم يناسب رحلته الأخيرة / هذا كل ما لدي ./ دون حبكِ

في الهند، عبرت الشاعرة كوثر منير عن لقطة سينمائية ستبقى خالدة في قاموس السينما الهندية في مسلسلها السينمائي اليوبيل عبر تصوير الحالة الوجدانية لبطل المسلسل وهو في حالة انحدار بعد أن كان نجماً لامعاً تقول الأغنية: جذف أيها البحّار جذف / يا ملك المحيطات / أنت نجمي الهادي / وأنا الشاطئ / في كتاب الحياة/ لو كنتَ لي وكنتُ لك / سيغدو العالم ملكاً لي ولك / لكن/ نزلتُ بقاربي إلى بحر مفتوح / لا نهاية له / مع ذلك صنعت قدري تحت سماء واسعة / تغيرتْ الريح.. تبدلتْ السماء / لكن عشرتنا لم تتبدل أبداً / جذف

أيها البحّار جذف / يا ملك المحيطات. وإلى تركيا، حين كتب الشاعر التركي أورهان ولي قصيدته مغامرة في منتصف عام 1950 وكان، آنذاك، عاطلًا عن العمل يعاني العوز، ليقوم بعد خمسة وثلاثين عاماً المطرب الكردي التركي أحمد كايا بتلحينها وغنائها وهو يعاني الوضع المادي نفسه للشاعر تقول القصيدة: «صغيراً كنتُ، صغيراً جداً / رميتُ صنارتي إلى البحر/ اجتمعتِ الأسماك حولها معاً / رأيتُ البحر!../ صنعتُ طائرة ورقية بسلك معدني/ ذيّلتُها بألوان قوس قزح / أطلقتُها إلى السماء / رأيتُ السماء!. / كبرتُ / عاطلاً عن العمل، جائعاً كنتُ / كان علي كسب المال / دخلتُ بين الناس/ رأيتُ الناس!.. / لا أستطيع التخلي / لا عن حبيبتي ولا رأسي/ لا الخير ولا الشر/ من البحر والسماء ولكن.../ آخر شيء رأيته لا يتركني/ أقول هذا ما رآه الشاعر المسكين وسيراه....

وختاماً إلى فرنسا عندما كتب الشاعر والفنان الفرنسي سيرج غينسبور في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي قصيدة قاطع التذاكر ثم لحنها وغناها كان سيرج يعمل قاطع تذاكر ويبدو ذلك جلياً في وصف التفاصيل الصغيرة أبرزها «ليلاس» هي محطة في مترو باريس تصل الخطين الأول والحادي عشر في الدائرة التاسعة من العاصمة الفرنسية. وتقدم أغنية غينسبور صورة ساخرة لحياة قاطع التذاكر وأوهامه وتطلعاته ومخاوفه، وهو يجلس طوال اليوم في مكتبه الصغير، ويثقب ثقوباً صغيرة في التذاكر، القصيدة هي انعكاس مرير على ضياع الهوية والملل وسرعة الحياة الحضرية الحديثة، وخاصة في مجال النقل كمحطة المترو وفي المناصب المهنية حيث كان التكرار هو القاعدة،

«أنا قاطع التذاكر في «ليلاس» / الذي تمر به ولكنك لا تراه أبداً / لا شمس تحت هذه الأرض / ولا ضوء هنا / يبدو أن الشمس في إجازة / هي رحلة غريبة../ لأراوغ مللي/ أحمل في ردائي قصاصات من مجلة «ريدرز دايجست» / وما مُدوّن فيها من حروف / من الممكن للشباب في «ميامي» أن يقضوا حياة حلوة / يقولون ميامي مسلّية كالكرة../ بينما أنا أدورُ هنا وهناك في هذه الحفرة / مثل الأحمق/ يبدو أنه لا توجد أدوار لا قيمة لها / لكن وظيفتي أن أخرم التذاكر / وأصنع دوائر صغيرة../ ثقوباً للدرجة الأولى / ثقوباً للدرجة الثانية / مزيداً من الثقوب/ أصغر.. ثقوباً صغيرة / أكثر.. دائماً ثقوب / ثقوب صغيرة / دوائر/ أنا مُثقّب التذاكر في «ليلاس» / كشخص أصم في أوبرا

/ من محطة "Invalides" إلى محطة أوبرا / أحيا في قلب هذا الكون الدائري/ وهناك سيرك من قصاصات الورق في رأسي يدور/ تتبعني من العمل إلى السرير /عندها أحدّق في سمائي الخزفية / لا نجوم فيها / أضواء مصابيح القطارات المتقاطعة فقط / مرة أحلم.. وأحياناً أخرّف وعقلي يدور في الماء / أرى دوائر الأمواج / وفي خضم الضباب عند الميناء ترنو لي سفينة/ تأتي للبحث عني / لأجل إخراجي من هذه الحفرة / التي أحفر فيها ثقوباً مدورة صغيرة / ثقوباً.. ثقوباً.. ثقوباً/ صغيرة.. أصغر.. أثقب ثقوباً دائماً / ثقوب / لكن القارب يغيّر وجهته ويعود إلى البحر/ عندها يدور عقلي مرة أخرى ويعود إلى مساره / لأبقى في هذه الحفرة / أحفر ثقوباً ثقوباً.. ثقوباً.. صغيرة.. أصغر.. مزيداً من الثقوب / أنا قاطع التذاكر في «ليلاس» / من محطة «Arts et Metiers» المتجهة فوراً إلى لافالوا / متعبٌ واكتفيت / لقد أُستهلكتُ / وأنا أكدح في هذا الكهف / بودي أن أكسر هذا القفص وأطير / لأترك بدلة هذا القرد ورائي / وسيأتي / سيأتي ذلك اليوم عندما تحتضني الطبيعة / مهما كان الثمن الذي سأدفعه / سأعبر إلى ذلك الطريق السريع العظيم / وإذا نفذ الوقت / سأرحل فقط من هنا / سأرحل ولو مستلقياً من هذه الحفرة / التي أصنع فيها الثقوب / أصنع ثقوباً صغيرة / لا يزال هناك الكثير من الثقوب / ثقوب صغيرة دائماً / ثقوب / هذا العمل.. أدار رأسي نحو هذا المنعطف / حتى دفعني لأضع مسدساً في رأسي / لعمل ثقب فيه / ثقب صغير / ثقب أخير / بعدها، سأرقد في حفرة كبيرة / ويتوقف الحفر / حيث لا ثقوب أخرى / ولا أذن تصغي ولا عين ترى / تلك الثقوب الصغيرة / الثقوب الصغيرة / ثقوب.

وبين نزيف الوطن ونزيف القلب تحيا الأغاني، تُكتبُ وتبقى لعلها تحرث في عيون القادمين بعض الأماني ■

شاعر وكاتب سوري

الله

شعر: الدكتور شهاب غانم

آمنت بالله رباً واحداً أحدا
إنْ شاءَ يُعطي حياةً أو يشاءُ ردى
في كلِّ لحظةِ عمرٍ أمرُهُ قدرٌ
ماضٍ يُمَيِّزُ من ألوى ومن سجدا
كلُّ السماواتِ والأرضين في يدِه
وكلُّ شيءٍ بهذا الكونِ قد وُجِدا
وعرشُهُ كان فوق الماءِ من أزلٍ
وأوجدَ الدهرَ والأزمانَ والأبدا
لم يخلق الله هذا الكونَ عن عبثٍ
وليس يوجِد شيئاً في الوجودِ سدى
لا ذرّة أو "كواركاً" بل وأصغر من
هذا وتلك عن الكرسيِّ قد شردا
وهو العليمُ بما تُخفي الصدورُ وما
في نيةِ المرءِ، ما أبدى وما قصدا
وإنما نحن لا ندري بحكمتِه
وهو العليم بما يَخفى بكلِّ مدى
والجنُّ والإنسُ بين الخَلقِ قد مُنحوا
عقلاً وحريةً كي يعبدوا الصمدا
شتّانَ بين الذي يسعى لطاعتِهِ
ومَنْ على طاعةِ الشهْواتِ قد مَرَدا
وكلُّ فردٍ غداً في الخلدِ موئلهُ
في جنّةٍ أو جحيمٍ حسبما عَبدا
فهبْ إلهي لنا نحو الصراطِ هدى
وهب لنا في الصراطِ المستوي جَلَدا

التوقيع الصوتي.. يضمّ أكثر من 15 دراسة متعددة الاتجاهات والرؤى..
تحتفي بتجربة الشاعر طلال الجنيبي

عبدالعليم حريص

عُرف الشاعر الإماراتي الدكتور طلال الجنيبي منذ بداياته بسعيه الدائم لإيجاد علاقة بين النص والإيقاع الصوتي؛ ليبتكر بذلك طريقة خاصة به، حتى عرف بشاعر (التوقيع الصوتي) من دون أي أدوات موسيقية وبلغة أخرى هي الإلقاء الملحن للقصيدة، حيث استحدث لنفسه مضماراً مختلفاً، يجري فيه بلا منافس، مكتسباً هوية شعرية مبتكرة الملامح والأسلوب. ومؤخراً صدر كتاب (التوقيع الصوتي.. قراءات في التجربة الشعرية للدكتور الشاعر طلال الجنيبي)، من إعداد الشاعر والباحث المغربي الدكتور زكرياء الزاير، وجاء الكتاب في (195) صفحة من القطع المتوسط، وهو من منشورات «مطبعة وراقة بلال».

وفي هذا الكتاب تحتفي أكثر من 15 دراسة وشهادة مختلفة المناهج والرؤى والمقاربات بأشعار الجنيبي، وتناولت هذه الدراسات أشعاره بأكثر من قراءة ودراسة نقدية من مختلف الحساسيات النقدية العربية. وتحاول هذه الدراسات والشهادات الاقتراب من العوالم الشعرية، والثقافية، والإبداعية للشاعر الإماراتي الدكتور طلال الجنيبي، باعتباره شاعراً يفتح آفاقاً جديدة لتلقي النص الشعري العربي المعاصر، وفق رؤية جديدة ومتجددة للشعر العربي.

يقول الباحث المغربي الدكتور زكرياء الزاير في تقديمه للكتاب: «إن الكتاب اعتراف بما قدمه طلال الجنيبي للشعرية العربية المعاصرة، واعتراف بالجهد الذي تبذله دولة الإمارات العربية المتحدة للنهوض بالجانب الثقافي والأدبي والفني على مستوى الوطن العربي برمته أيضاً، موضحاً أن شعر الجنيبي انتقائي تبدو عناصره منظومة على أساس إيحائي ينضح بالإحساس والوجدان والشعور الجياش، وفي تلك العناصر تكمن جمالية المتن لديه، وجمالية الغنائية المفتوحة على دلالات عديدة تزخر بها القصيدة العربية على العموم».

و«قدمت - القراءات - بحثاً مستفيضاً في الجوانب الدلالية والفنية والأسلوبية في القصيدة الجنيبة، مركزة - هذه الدراسات - على جانب التوقيع الصوتي، باعتباره ميزة تخصص بها شاعرنا، وقد كان ذلك، بالاعتماد على مناهج ورؤية نقدية تتميز بالجدة والموضوعية، مؤكداً أن العينة الشعرية المنتقاة في الدراسات نجحت في إبراز مختلف الجوانب التي يمتاز بها شعر الجنيبي، خاصة ميزة التوقيع الصوتي».

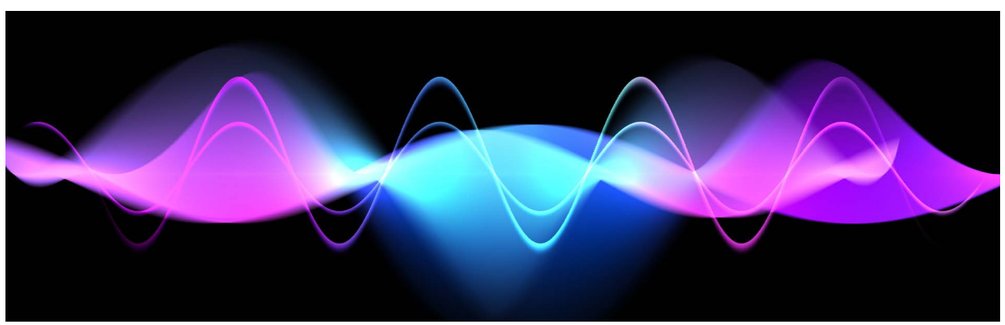

وقد شارك في هذا المؤلف أكثر من (15) دراسة صيغت بأقلام نقاد وأدباء من مختلف أرجاء الوطن العربي، حيث أضاؤوا بأقلامهم تجربة الجنيبي الشعرية، ومنهم: شعبان بدير من مصر، ومازن موفق صديق الخيرو من العراق، وحافظ المغربي من مصر، وعمر أبو الهيجاء من الأردن، وعلي الستراوي من البحرين، ونصر الدين شردال من المغرب، ومحمد أحمو الأحمدي من المغرب، وعبد الحكيم الزبيدي من الإمارات، ونزار أبو ناصر من فلسطين، وناظم ناصر القريشي من العراق، وبراء محمد النويران من سوريا، وزهور كرام من المغرب، وسمية وظيفي من المغرب، وأحمد عقيلي من سوريا، وقصيدة «فضاء زايد» ترجمة: نعيمة الغامدي من السعودية.

ونستشهد هنا بأبيات من شعر طلال الجنيبي، التي وردت في أولى هذه الدراسات حيث يقول شعبان بدير: ففي ديوانه (على قيد لحظة) نلاحظ من مفردات العنوان أن الزمن وما يتعلق به من معانٍ ومفردات يأخذ مساحة واسعة من شعر طلال الجنيبي بداية من عنوانه الذي يقبض على مرحلة زمنية معينة ويشير إليها بلفظة لحظة.. ويمتد هذا العنوان بخيوط الزمن المتشابكة في ثنايا الديوان وإلى عناوين بعض القصائد، مثل (إحساسنا الأبدي - قصة كل الفصول) إلى تكرار تداول الزمن وخصوصاً لفظة (لحظة) مجموعة ومنفردة في ثنايا الديوان ما يشي بأنه يتطلع لتحقيق شيء ما، ويتمنى حدوثه ولو للحظة يروي بها غليله، مثل قوله:

هـــي لمـــسة أحتاجهـــا لأعيشـــها
لأذكِّـــر اللحظـــات أن تحيينـــي
هي صولـــة الأشـــواق في ميدانـــها
هي قوة الذكـــرى بصـــوت أنينـــي
عند امتشاق العشق من غمـــد الهـــوى

زكرياء الزاير

طلال الجنيبي

هـي لحظـــــة تلك التـــي تعـــنيني
في العمـــر لحظـــات تمـر أربنـــي
منـــها الذي يحيـــي خيـال ســـنيني
سفـــري أطـال جـمال لحظـات لـــها
في عـــمر ماضـــي العمـــر ما يحميـــني
وتـذوق الـــسمُ الحـــياة للحظـــة
فمـضى بـــها صـوب الخلـود يربنـــي

ويشار إلى أن الشاعر والأكاديمي الإماراتي الدكتور طلال سعيد الجنيبي، صدر له (13) مجموعة شعرية منها: (الإمارات في القلب)، (كآخر من يعود)، (تهفو إليك)، و(لولاه). وترجمت أعماله إلى (16) لغة. حصل على العديد من الجوائز والألقاب من أهمها جائزة رئيس دولة الإمارات للإنجاز الثقافي عام (2017)، وجائزة الإمارات عام (2019)، كما يشارك الجنيبي في الكثير من المهرجانات والملتقيات العربية والدولية، وله حضور كبير في المشهد الشعري، وحاز العديد من التكريمات على المستويين المحلي والعربي، كما رشح من جهات عدة لجائزة نوبل في الآداب ■

كاتب من مصر

قراءة في كتاب «هنري موندرل»

«رحلة من حلب إلى القدس».. وصف تاريخي لسوريا ولبنان وفلسطين

خالد عمر بن ققه

تمثل قراءة أدب الرحلات، في جانبها التنظيري، مجالسة حاملة لزمن الفعل البشري معها باعتباره حركة في الحياة، وحَالَّة به في فضاء المعاصرة، ومنتهية به إلى معرفة قد تؤسس عليها صيغ جديدة، حاملة لميراث تصنع منه مشروعيةً لطرحها في الوقت الرّاهن، خاصة حين تتعلق بمعرفة الآخر في وجوده المعرفي معنا سواء كان ذلك ضمن مشاركة في التنوع الثقافي المقصود والواعي أو كان نوعاً من المعرفة العابرة، أو التعارف العميق والهادف.

هناك إذن، في حال القبول بالرأي السابق عن أدب الرحلات، ما يجعلنا ننجذب نحوه، ليس لأجل تحقيق متعة المعرفة فقط، التي هي أساس القراءة بما تحمله من سمو، وتعلق علوي بالرمز والكتابة بشكل عام، وإنما للوعي بعملية «التدافع» المتواصلة بين الأمم والشعوب والثقافات، في فترات: السلم والحرب، الرخاء والشدة، الأمان والخوف، الصحة والمرض، الإطعام والجوع.. إلخ. والبحث في عملية «التدافع» تشمل المجالات كلها، وقد يكون من أهمها: التدافع الإيماني، والتدافع المدني أو الحضاري، وهذان التدافعان كانا ولا يزالان، وسيبقيان، هما أساس العمليات الاجتماعية الأخرى كلها من مثل: التعاون، والتنافس، والصراع، وإن كانا في كثير من مراحل التاريخ البشري يعيشان الحالة الأخيرة، أي الصراع، لدرجة جعلت من تاريخنا المشترك حروباً دائمة، وإن تعددت أساليبها وتنوعت.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الحروب كما روتها كتب التراث، بما فيها تلك التي جاءت في أدب الرحلات والسير، وإن كنا نجد صعوبة في التخلص من تأثيرها عبر المراحل كلها، حيث هي سجينة «الفعل ورد الفعل»، وإنما سنركز في عرضنا هنا على البُعد الإنساني في حركة الآخر على أرضنا سلمياً، سعياً للمعرفة، أو انجذاباً للمعتقد، أو تجوالاً في الأرض العربية وسيراً في مناكبها، وتحديداً عن مجالسة من خلال الترجمة لأدب رحلات أحد الأوروبيين إلى مشرقنا العربي، وهو ما سنقدمه قراءة هنا

الأكاديمي الكاهن

الكتاب الذي بين أيدينا للأكاديمي الكاهن البريطاني «هنري موندرل [1]»Henry Maundrell حمل عنوان «رحلة من حلب إلى القدس.. في عيد الصفح من عام 1697م»، ترجمه إلى اللغة العربية «صفوح الذهبي» وحرره وعلق عليه «الدكتور أحمد إيبش»[2]، وهو من كتب أدب الرحلات[3]، التي تعطي القارئ انطباعاً أولياً على أنه سرد لتجربة حياتية تخص مؤلفها، لكنه حين يتعمق في قراءته، تجده يستحضر جزءاً من التاريخ الإنساني المشترك بين المسيحيين والمسلمين إبان الحكم التركي للمشرق العربي. كما يكشف الكتاب عن أبعاد أخرى متعلقة بالإنسان والزمان، إضافة إلى تفسيره للأمكنة التي حملت طابع القداسة أو تلك التي ليست لها صلة بالقداسة لا على مستوى الحقيقة ولا في التصور من منظور ديني.

تقوم الفكرة الأساسية للكتاب على رواية جانب من التاريخ الشخصي لرحلة قام بها المؤلف في مطلع عام 1697م، وذلك حين قرر هنري موندرل ومجموعة من رفاقه، عددهم 15 شخصاً، القيام برحلة حج من حلب؛ حيث يعملون في مصنع إنجليزي، إلى القدس، وفي 26 فبراير انطلقوا باتجاه اللاذقية على الساحل السوري، وتابعوا طريقهم على طول ساحل لبنان من شماله إلى جنوبه حتى بلغوا عكا في ساحل فلسطين، ومنها اتجهوا برّاً إلى القدس الشريف، وزاروا وادي الأردن والبحر الميت وبيت لحم، وعادوا إلى القدس ليشقوا طريق الرجوع عبر دمشق وبعلبك إلى طرابلس حتى وصلوا حلب في 18 مايو 1697م.

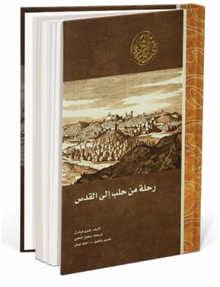

الوصف السابق للرحلة يشي بأنها رحلة عادية، وهي كذلك بالنسبة للعاملين في حلب، كانت تُقام في التاريخ المذكور من كل عام أيضاً، لكن

ما ميز رحلة عام 1697م، كما يرى الدكتور أحمد إيبش، «كان صحيفة ترحال كتبها موندرل مملوءة بملاحظات مفصلة عن الأماكن التي زارها وأصحابه، وهي تعد واحدة من أولى الروايات الدقيقة عن العصور القديمة لسوريا ولبنان وفلسطين تكتب باللغة الإنجليزية»، وحين نتابع تفاصيل الرحلة نجد أن إيبش محقاً إلى حدٍّ بعيد، رغم ما وقع فيها الكاتب موندرل من أخطاء إما بسبب جهله خاصة بعض الأحداث والمسائل المتعلقة بالإسلام، أو لتحامله أحياناً على سكان المنطقة، مثل الأتراك، وبعض البدو من العرب.

من ناحية أخرى، فإن هذا الكتاب يمثل نظرة الآخر الغربي إلى المنطقة أيام السلم، ذلك أن المؤلف ومن معه كانوا في رحلة حج إلى القدس، وهي بلا شك تحمل موروثات وأحكاماً مسبقة على المسلمين، كما تطرح تصورات كاتب للأمكنة من سوريا إلى فلسطين من منظور مسيحي، كما سبق الذكر، لكن تلك التصورات قُدمت بلغة شائقة وممتعة، ومتمكنة من وصف الأحداث، وإظهار التفاعل مع البشر، والآثار التاريخية، وتضاريس الجغرافيا.

خان العسل

والكتاب يُفصح من البداية عن نفسه بشكل موجز من خلال طرحه لعدد من الصور منها على سبيل المثال: «خريطة قديمة لفلسطين من عصر المؤلف، ونقيشة نادرة تمثل مدينة حلب عام 1703م، ونقيشة نادرة تمثل مدينة بعلبك عام 1703م، وخريطة أوروبية تمثل السلطنة العثمانية تعود إلى عام 1643م». الملاحظ، أن ذلك الإفصاح الظاهر من خلال الخرائط له ما يدعمه على مستوى النص المكتوب من أول الرحلة حتى نهايتها، وفيه نجد وصفاً للأمكنة منذ البداية، حيث يتحدث الكاتب عن ذلك قائلاً: «.. وكانت إقامتنا في ليلتنا الأولى هذه في خان العسل، وهو مكان لإقامة عابرة يبعد حوالي ساعة ونصف الساعة غرب حلب» (ص 23).

ومن الصفحات الأولى للكتاب يبدأ الكاتب هنري موندرل في وصف تقييمي لكل فعل يقوم به الأتراك، كما يأتي على ذكر العرب، وإن بدرجة أقل، ولا تخلو أحكامه من موقف يحمل - ظاهراً أو باطناً - منطلقات الصراع الديني، والتدافع البشري، والتصادم الحضاري، ولذلك يصحبه دائماً بالمقارنة بينه وبين ما يقع في أوروبا، خاصة بريطانيا. للتدليل عن ذلك نورد هنا بعض النماذج التي تحدّث فيها الكاتب عن الأتراك والعرب، وتتخلل معظم صفحات الكتاب، وهي أكثر ظهوراً في المواقف التي تتطلب المقارنة من زاوية دينية أو مدنية، ومنها حديثه عن ضرائب ينبغي للمسافرين دفعها عند ممرات على الطريق، حيث يداوم موظفون لاستلامها، وعنها يقول: «فرضها أولاً المسيحيون لتقدّم تعويضاً للبلاد لصيانة الطرقات وإبقائها بحالة جيدة، وتنظيفها من الغزاة واللصوص، ولا يزال الأتراك رابحين من تطبيق ذلك، ويتظاهرون بنفس الأسباب لحينها، ولكن تحت هذا الادعاء يغتنمون الفرصة ليفرضوا على المسافرين، وخاصة من الأوروبيين، مبالغ جائرة وغير معقولة؛ وبهذا فعوضاً من أن يكونوا حماة يثبتون بأنهم أنفسهم أكبر المحتالين واللصوص»(ص 26).

الهديّة.. والمكانة

ويكشف الكتاب عن معاناة حقيقية واجهها هو وأصحابه على طول رحلتهم، تبدّت في التعامل، الذي كان مزعجاً له، وظهر

في مواقف شتى، منها أنهم توجهوا في رحلتهم إلى مكان هو خان القرية وهو في الوقت نفسه بيت الأغا، وقد ذهبوا إلى زيارة هذا الأخير ومعهم هدية صغيرة بأيديهم لكي يحصلوا على استقبال لائق، لكنهم قوبلوا بمكافأة قليلة الامتنان من التركي، وبعد إلحاح شديد ظفروا باستعمال ناحية جافة من المنزل.

تقديم وإحضار هدية للحكام الأتراك، على مستوياتهم القيادية المختلفة، في البلاد العربية أتى على ذكره الكاتب مرات عدة، واعتبر تقديم الهدية دليلاً على الهيبة والمكانة لدى العظماء، وعن ذلك يقول: «من المعتبر في هذا البلد بأنه من غير اللائق أن تقوم بزيارة دون تقديم هدية، ويتوقع جميع الرجال العظماء الهدية كنوع من التقدمة بالنظر لشخصيتهم وسلطتهم؛ وعندما لا تتم هذه المجاملة ينظرون إلى أنفسهم بأنهم أهينوا، وحُطَّ من قدرهم حقّاً» (ص 45). ومن غير المعروف إن كان هذا الحكم صدقاً وعدلاً، أم إنه جائر، ونابع من خلفية ثقافية ودينية أنتجت أحكاماً مسبقة كان من الصعب تغييرها، لكن مقتضيات البحث والدراسة تدفعنا للتسليم بكثير مما جاء في هذا الكتاب قياساً على تجارب أخرى للأتراك في بلاد عربية مغاربية، كما سجلته المراجع التاريخية، مع العلم أن تلك الدول مسلمة أي إنها مع الأتراك على ملة واحدة، ومع ذلك فقد كتب عن معاناة السكان الأصليين من حكم الأتراك.

الموكب الفخم

ومع نقد الكاتب للأتراك إلا أنه يعترف لهم ببعض الحسنى تارة، وبالذوق الجمالي تارة أخرى، وقد يكون ذلك مرده إلى أفعالهم المنبثقة من الدين، «ففي جانب من خانٍ أنشأه الكوبريلي توجد مساحة مربعة تحتوي على غرف لعدد معين من المحسنين؛ وتلك الهبة الخيرية أوقفها الكوبريلي ذاته، وكان الخان الذي وجدناه عند وصولنا ممتلئاً بعدد كبير من الحجاج الأتراك المتجهين إلى مكة، ولكن مع ذلك قوبلنا باستقبال سلمي فيما بينهم على الرغم من أن وجوهنا كانت متجهة إلى مكان مختلف» (ص 26).

في تلك المشاهدة يزودنا هنري موندرل بمعلومات في غاية الأهمية تتعلق بالموكب المتجه إلى الحج، فيذكر أنه جاء أوله مشكلاً من ستة وأربعين دليلاً، يحمل كل منهم راية حريرية مختلطة الألوان، وبعدها أتت ثلاث فرق من «السَّكبان»، تلاهم جنود «السباهية»، وتبعتهم ثماني فرق من المغاربة مشياً على الأقدام»[4]، وفي أعقابهم أتى جنود قلعة دمشق، وتبعهم جنود من الإنكشارية، وبعد ذلك مرّ «طوخ الباشا»[5]. «وبعد هذه الخيول أتى المحمل وهو سُرادق كبير من الحرير الأسود مركوز على ظهر جمل كبير جدّاً، وتمتد ستائره من جميع أنحاء الحمل فتصل إلى الأرض، والسّرادق مزين في الأعلى بكرة ذهبية وبكنابيش ذهبية» (ص 129).

لقد وقف طويلاً الكاتب هنري موندرل متأملاً فعل الإنسان في الأرض، وعلاقته بالآخر، وزودنا بوصف من الكتاب المقدس لمعظم الأماكن التي زارها أثناء رحلة حجه من حلب إلى القدس، وأمدنا بكثير من الأسماء التاريخية للقرى والمدن، وسجل كل ما شاهده من حركة البشر والطبيعة، وكشف عن الجذور التاريخية لعدد من الآثار المسيحية، كما قدّم وصفاً لمشهد محمل الحج، حيث رحلة المسلمين إلى مكة، وبذلك أعاد التأكيد على أن الأرض العربية هي موطن الكتب السماوية وأهلها، رغم نقده للأتراك الذي كانوا قادة العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وسادته في المنطقة العربية ■

كاتب وصحفي - الجزائر

المصادر والمراجع

1. هنري موندرل Henry Maundrell (1665 . 1701م) كان أكاديمياً في جامعة أكسفورد، وعمل كاهناً أنغليكانياً في شركة المشرق في حلب عام 1695م.
2. الكتاب صدر عن هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، 2012م
3. صدرت أول طبعة للكتاب في أوكسفورد عام 1703م بعد وفاة مؤلفه بعامين.
4. هؤلاء، كما يذكر الكاتب، معدون للتمركز في حامية الأتراك في مكان ما في صحراء جزيرة العرب، ثم يُسرّحون كل سنة مقابل رجال جدد، وفي وسط المغاربة (المرجع: الكتاب، ص 12، بتصرف).
5. «الطوخ» في التركية ذيل الحصان، وكان بمثابة شعار يدلّ على رتبة الباشا، فمنهم من كان له طوخان، ومنهم من كان له ثلاثة، أما السلطان ذاته، فقد كان له سبعة أطواخ (المرجع: الكتاب - الهامش، ص 129).

حضور اللؤلؤ في الروايات والآداب المعاصرة

علي تهامي
كاتب مصري

كان اللؤلؤ على الدوام واحداً من رموز القوة والسمو المادي والمعنوي، ومفردة لها حضورها المتفرّد في التعبير عما يجيش في النفس البشرية من مشاعر وعواطف إنسانية، بل وكان وسيلة للتعبير عن الحب على مرّ العصور، وذلك لما يتفرّد به من سحر وألق وغموض، فقد خلَّدَتْه الأساطير والحكايات والملاحم ونصوص الأدب الشعبي، وربطته بقطرات الندى وحبات المطر المتساقطة من السماء، والدموع المترقرقة في عيون الحِسان وضوء القمر.

وقد تعددت صور ذكر اللؤلؤ في الكثير من الآداب العربية والأجنبية من شعر وقصة ورواية، وخلدته كتب التاريخ والتراث والأساطير، حيث تقول أسطورة يعود تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد، إن البطل السومري «جلجامش» ربط قدمه بثقل وغاص في أعماق المحيط باحثاً عن لؤلؤة الخلود في أعماقه حتى وجدها، وهي أسطورة تحمل في سطورها وصفاً ملحمياً لرحلة الغوص على اللؤلؤ التي امتهنها أهل الإمارات والخليج العربي. وكما تحدثت كتب الرحّالة والمؤرخين والدواوين الشعرية ورواة الأساطير عن اللؤلؤ والغوص في أعماق البحار من أجل صيده، فقد كان اللؤلؤ حاضراً في الكثير من عناوين الروايات العربية والأجنبية، وكان موضوعاً للكثير من القصص التي كُتبت باللغة العربية واللغات الأجنبية.

ونذكر في هذا السياق: رواية «في فمي لؤلؤة» للشاعرة والفنانة التشكيلية والروائية ميسون صقر، التي تتناول عالم صيد اللؤلؤ وحياة الغواصين على مراكب الصيد، وترصد المفارقة ما بين بريق اللؤلؤ الذي يشع من أعناق النساء وظلمة المغاصات وبؤس حياة جالبيه. ولا تكتفي الرواية بحياة البحر لتوثّق تواريخ الغوص وطقوسه فقط، بل تقدم رؤية لحياة الإمارات خلال زمن صيد اللؤلؤ في خيوط سرد متوازية، فتنتقل بين الحصون ومزارع الإبل ومناطق البدو ومدن الصيد وخيام الغواصين، وتحتفي بخصوصية كل مجموعة، وتقدم بين ثنايا القصة المتخيلة شخصيات وأحداثاً من الواقع تصل إلى حد التأريخ في بعض المواضع. ونذكر من تلك الروايات أيضاً التي جاء ذكر اللؤلؤ في عنوانها الرئيسي، رواية «لؤلؤ وأصداف»، للأديب المصري ذائع الصيت ثروت أباظة، وهي رواية تدور في فلك ثورة يوليو 1952، وتتناول رؤية جيل الثورة والجيل الذي سبق تلك الثورة والحقبة الناصرية بوجه عام في مصر، وأحلام وطموحات كل جيل ومدى إيمانه بوطنه ومستقبله.

وهناك رواية «اللؤلؤة»، وهي رواية قصيرة للكاتب الأمريكي جون ستاينبيك، نشرت في عام 1947، وتتحدث عن صائد لؤلؤ يدعى كينو، وتستكشف طبيعة الإنسان وكذلك الطمع والشر، وقد استوحى «ستاينبيك» أحداثها من الموروث الشعبي حول أرض غنية باللؤلؤ، وقد انتشرت تلك الرواية بشكل واسع واقتبس منها أكثر من عمل سينمائي.

وكذلك رواية «اللؤلؤة التي كسرت محارتها»، للكاتبة الأمريكية ذات الأصول الأفغانية، نادية هاشمي، وفي الرواية تفاصيل قصة حزينة يجد العجز فيها نفسه في مواجهة القدر، وتمسك الأعراف فيها برقاب المصائر، وبين طيّاتها ينبعث عبق ثقافة شعب مزقته الحروب، وعاطفة رقيقة تكاد تردد الجبال الأفغانية صداها..

ولا يغيب عنا حضور اللؤلؤ في الكثير من الأعمال الدرامية والسينمائية، ولعل أجلّ حضور للؤلؤ يتمثّل بذكره في العديد من آيات القرآن الكريم، حيث يقول رب العزة سبحانه: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ). سورة فاطر الآية 33. وقال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ). سورة الطور الآية 24. وقال جل جلاله: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ). سورة الرحمن الآية 22. وقال جل في علاه: (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ). سورة الواقعة الآية 23.

وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ

محمد محمد عيسى

جاءَ عن العرب، قولُهُم: (وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ)؛ وفيه إشارةٌ إلى تحرِّي المَصَادِرِ الصَّحِيحة، كما يُعَدُّ دَعْوةً لاختصارِ الوقتِ في البحثِ عن الحقيقةِ. وللعربِ بابٌ واسع فيما يُضربُ أو يُقالُ - من المثل - في المعرفةِ، ومعرفةِ الأخبارِ وصحَّتِها، منها على سبيل المثال: (أَنَا غَرِيرُكَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ)، وقولهم: (كَفَى قَوماً بِصَاحِبِهِمْ خَبِيراً)، أي كُلُّ قومٍ أَعْلَمُ بصاحِبِهم مِنْ غيرِهم، ومثله قولهم: (لِكُلِّ أُناسٍ في جَمَلِهم خُبْر)، وَيُرْوَى جُمَيْلِهم، عَلَى التَّصْغِيرِ، يُرِيدُ صَاحِبَهُمْ؛ قَالَ ابْنُ الأَثِير: هُوَ مَثَلٌ يُضْرب في مَعْرِفَةِ كُلِّ قَوْمٍ بِصَاحِبِهِمْ... وَيُرْوَى: (لِكُلِّ أُناسٍ فِي بَعِيرِهم خُبْر)، فَاسْتَعَارَ الْبَعِيرَ والجَمَل لِلصَّاحِبِ»[1]. ومنه أَيْضاً: (أَتُغْلِمُنِي بِضَبٍّ أَنَا حَرَشْتُه!) يقول: (أتخبرني بأمر أنا وليته!)، ومن أمثالهم في المعرفةِ، والعلمِ، والإحاطةِ بالشيء قولهم: (أَنَا ابْنُ بَجْدَتِها)[2]، يُقالُ ذلك للعالمِ بالشيءِ المُتقِنِ المُمَيِّزِ له[3]، وغير ذلك كثيرٌ مِمَّا يُضْرب في العلمِ واليقينِ بالأُمورِ.

وعلى الرَّغم من كثرةِ ما ورد عن العرب من أَقاويل وأَمثال في معنى العلم والخبرة، وَمَنْ إليه يُسندُ القول الصحيح، والخبر الأَكيد، ومعرفة الأَثر؛ فإنَّ قولَهُم: (وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ) لم يدع لغيرهِ من الأَمْثالِ مِنْ شهرة، بل لعله اختصرها، أو كفاها الذيوع.

وقصَّة هذا المثل كما حكاها - أبوعبيد في كتابه (الأمثال) - أَنَّ بني جُهينة حيٌّ من قضاعة من القحطانية، «وكان من حديثه أَنَّ حُصين بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب خرج ومعه رجلٌ من بني جُهينة يقال له الأخنس فنزلا منزلاً؛ فقام الجهني إلى الكلابي فقتله وأخذ ماله، وكانت صخرة بنت عمرو بن معاوية تبكيه في المواسم فقال الأخنس:

تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ
وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخبَرُ اليقينُ

قال الحمداني: ويُقال إِنَّ (جُهَيْنَةَ) كان يخدم ملكاً يمانياً، وكان له وزير اسمه (نجدة) إذا غاب الملكُ خلفه على حظاياه فبعث جُهينة يوماً من غير أَنْ يشعر به واختبأ حتى جلس الوزير في مجلس الملك وغلبه السكر وغنَّى بهذا البيت:

إِذَا غَابَ الْمَلِيكُ خَلَوْتُ لَيْلِي
أُضَاجِعُ عِنْدَهُ لَيْلِي الطَّوِيل

فقام (جُهَيْنَةُ) فقتل الوزيرَ ودفن رَأْسَه تحتَ وسادةِ الملك، فلمَّا حضر الملكُ؛ فَقَدَ الوزيرَ فَسأَلَ عنه فلم يقفْ له على أثرٍخبرٍ، فسكر (جُهَيْنةُ) ليلةً عنده؛ فقال:

تُسَائِلُ عَنْ (نُجَيْدَةَ) كُلَّ رَكْبٍ
وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخبَرُ اليقينُ

فسأله الملك فأوقفه على الخبر؛ فقرَّبَه وأَحْسنَ في عَطَايَاه»[1].

وقد أَصبح هذا المثلُ مشهوراً في زمان مورده، وفي كُلِّ مضربٍ فيما أَتى بعد من أَزمانٍ، حتى يومنا هذا؛ حيث ورد في سياقاتٍ عديدةٍ من الشعر قديماً وحديثاً، ومنه على سبيل المثال ما ذكره إبراهيم الطرابلسي، صاحب كتاب (فرائد الدلائل في مجمع الأَمثال):

عَنْ فَضْلِهِ سَلْنِي بِلَا تَفَكُّرِ
عِنْدَ جُهَيْنَةَ يَقِينُ الْخَبَرِ[1]

ومنه ما ورد في كتاب (معالم الكتابة ومغانم الإصابة) أيضاً، من قولِ أحدِهم:

فَدُونَكَ مِنْ جُهَيْنَةَ مَا حَكَتْهُ
وعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ[1]

وقد صار لهذا المثلِ مِن الشهرة أَنَّه أَخذَ مكانةً فنيَّةً كبيرةً لدى الأُدباء؛ لا سيَّما وهو يُمثلُ عبارةً جاهزةً تحملُ كثيراً من الدلالات، ويمكن الاستعانة به داخل النصّ على سبيل التناص والاستدعاء، كما يُمكن استخدامه في العنوان باعتباره نصّاً مُوازياً أيضاً، وهو في الأَحوال كلِّها يُمثلُ مفتاحاً للنصّ - أَيّ نصّ - كما يُعَدُّ نقطةً دلاليةً رامزةً في الأَغْلب.

وعلى سبيل المثال، قد عَنْوَنَ جرجي زيدان للفصل الثالث والثلاثين من رواية (فتاة غسَّان) بهذا المثل (وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ)[1]، وعلى الرَّغم من ضعف العلاقة بين الإشارة في المثل، والمشار إليه في النصّ؛ ذلك أَنَّ هذا الفصل لم يحمل الدلالة القويَّة على المثل؛ يقول جرجي زيدان: «وباتوا تلك الليلة وحمّاد لم ينم إلا قليلاً لِما تراكم عليه من الهواجس، أَمَّا سلمان فقضى ليلته ، يُفكر في سبيلٍ يوصله إلى المراد فنهض في الصباح التالي وفي نيَّته الشخوص إلى صرح الغدير لاعتقاده أَنَّ (الخبر اليقين عند هند)؛ فلبس ثياب الرهبان وركب جواده...»[1].

على الرغم من ضعف العلاقة بين الإشارة في المثل، والمشار إليه في النص؛ فإنَّ الكاتب التقط أَبرز التراكيب المعبِّرة في هذا الفصل، ولعل أبرز ما جاء فيه قوله: (الخبر اليقين عند هند).

إِنَّ هذا المثل يُعبِّر في الأَحوال كُلِّها عن المصداقية والثقة في المعلومة أو الخبر، وقد يُشبه التعبير القائل: «عند جهلي يقيني» الذي يُشير في الأَغلب إلى التأكيد على الشيء بناءً على المعرفة والإلمام الدقيق بالأمور، كما أَنَّ فيه دعوة إلى ترك الأُمور إلى العالمين بها؛ فعلى سبيل المثال إذا قلنا: (إِنَّ الفريق اللُّغوي قد قام بالبحث الدقيق، وقد توصل إلى صِحَّةِ اسْتعمالِ عبارة كذا...)؛ فعند ذلك نُطلق بصدق ويقين: (وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ)، وعلى شاكلةِ هذا المثالِ يُمكن التعقيبُ بهذا المثل.

ولعل استخدام هذا المثل قد يكون مرتبطاً بثقافة أو تقاليد معينة، وقد لا يكون مألوفاً في جميع اللُّغات والثقافات، وهو يُضربُ في معرفة الشيء حقيقةً، كما يُشيرُ إلى أَنَّ هناك

تأكيداً قوياً أو يقيناً في المعرفة أو الفهم الخاص بشيءٍ ما، وأَنَّ المعلومة أو الشيءَ المعروف يُعتبر صحيحاً وثابتاً بشكل لا يدع مجالاً للشك أو الريبة. كما أَنَّ مجيئه في السياقِ؛ يكون للتأكيد على قوةِ الإيمان أو اليقين بصحَّة المعرفة أو الحقيقة ومع مرور الوقت اتَّسعت دلالةُ هذا المثل؛ حتى صار ذكرُه رمزاً للتعبيرِ عن كثيرٍ من المفقودات، مثل الإنسانية، والحرية، وكذا الانتصار، وقد استدعى هذا المثل الشاعر المصري محمد محمد الشهاوي، ضمن قصيدته (تنويعات على وتر الفجيعة)؛ ليرمز إلى المرأة المصرية، وهي تبحث عن أخيها أو زوجها أو ابنها الذي ذهب ولم يعد في حرب عام 1967م، أو هو من البحث عن الحقيقة:

على كل دربٍ غرابٌ وبومةْ
ووشمٌ لدارٍ قديمةْ
وسائلةٌ:
أين زوجي؟
وسائلةٌ:
أين أهلي؟
وسائلةٌ:
هل لأولادنا من رجوعْ؟

فأوَّاهُ من حيرتي والدموعْ!
وأوَّاهُ! أوَّاهُ ممَّا تعاني الضلوعْ![1]

ثمَّ يذهب إلى الوافر والقافية النونية المضمومة؛ ليختتم المقطع الثالث من القصيدة ناسجاً على نول الجهني، يقول الشهاوي:

أراها تقطعُ الأيامَ بحثاً
وما غيرُ الرِّمالِ لها سفينُ
تُراودُها المُنى طَوْراً، وطَوْراً
تُساورها الوَساوسُ والظُّنُونُ
تَسير وملء عينيها ذُهولٌ
وفوقَ جبينِها ارْتسمتْ شُجونُ
تَودُّ لقاءَهُ في أيِّ وادٍ
وآهٍ لو دَرَتْ أنَّى يكونُ!
(تُسائلُ عن حُصَيْنٍ كلَّ ركْبٍ
وعند جُهيْنَةَ الخبرُ اليقينُ)![1]

مُتكئاً على قول الأخنس الجهني:

وَكَـمْ مِنْ ضَيْغَـمٍ وَرْدٍ هَمُـوسٍ
عَلَـوْتُ بَيَـاضَ مَفْرِقِـهِ بِعَضْـبٍ
وَأَضْحَـتْ عِرْسُـهُ ولَهـا عَلَيْـهِ
وكَـمْ مِنْ فَـارِسٍ لا تَزْدَرِيـهِ
كَصَخْـرَةِ إِذْ تُسائِـلُ في مِـرَاحٍ
تُسَائِـلَ عنْ حُصَيْـنٍ كُلَّ رَكْـبٍ
فَمَـنْ يَكُ سائِـلاً عَنْهُ فَعِنْـدِي
جُهَيْنَـةُ مَعْشَـرِي وَهُـمُ مُلُـوكٌ
أَبِي شِبْلَيْـن مَسْكَنُـهُ العَرِيـنُ
فَأَضْحَـى في الفَـلاةِ لَهُ سُكُـونُ
بُعَيْـدَ هُـدُوءِ ليلتِهـا رَنِيـنُ
إِذَا شَخَصَـتْ لموقِعِـهِ العُيُـونُ
وأنْمَـارٍ وعلمُهُمـا ظُنُـونُ
وَعِنْـدَ جُهَيْنَـةَ الْخَبَـرُ اليَقِـنُ
لِصَاحِبِـهِ البَيَـانُ المُسْتَبِـينُ
إِذَا طَلَبُـوا المَعَالِـيَ لَـمْ يَهُونُـوا[1]

فيستدعي الشهاوي النصَّ من سياقه الشعري، وزمانه، إلى سياقٍ جديدٍ وزمانٍ جديدٍ؛ ليصبح هناك أكثر من (صخرة)، تُسائل عن فقيدها، وأكثر من (حُصين) ضلَّ سبيله، أو قُتل، ولم يتم التعرف عليه، أو الوصول إلى جسده، كما أنَّ هناك أكثر مِن خيانة، بل وأعظم وأفدح !

قال الأصمعي وابن الأعرابي: هو جُفَينة - بالفاء - وكان عنده خبر رجل مقتول، وفيه يقول الشاعر:

تُسَائِـلُ عَنْ أَبِيهَا كُلَّ رَكْـبٍ
وَعِنْدَ جُفَيْنةَ الخبَرُ اليقيـنُ

قال: فسألوا حفينة، بالحاء المهملة، يضرب في معرفة الشيء حقيقةً[1].

كاتب وناقد مصري

الهوامش والمصادر:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط 3 - 1414هـ، 1993م، 11/ 125.
2. أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي: الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط 1، 1980م، ص 202- 203.
3. مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المتخصصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965 - 2001م، 399/7.
4. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت - لبنان، ط 2، 1980م، ص: 222.
5. إبراهيم بن السيد علي الأحدب الطرابلسي: فرائد الدلائل في مجمع الأمثال، (د.ت)، 3/2.
6. عبد الرحيم بن علي بن شيت القرشي: كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تعليق: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت - لبنان، 1913م، ص: 108.
7. جرجي زيدان: فتاة غسان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص 177.
8. المصدر السابق نفسه.
9. محمد محمد الشهاوي: الأعمال الشعرية الكاملة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، 2013م، ص 257.
10. المصدر السابق نفسه، ص 257 - 258.
11. أبو الفضل النيسابوري، الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1955م، 4/2-5.
12. المصدر السابق نفسه.

مظاهر **التفكير الفلسفي** في الأمثال الشعبية الإماراتية

عبد المنعم همت

هنالك أهمية بالغة لدراسة التراث لكونه يُشكل مرآة لحياة الشعوب من خلال عكس الهوية الثقافية والتي تحدث نتيجة تراكم كمي ونوعي عبر العصور ممثلةً عصارة الوعي والتجربة والممارسة. نستطيع من خلال دراسة التراث معرفة حركة المجتمع صعوداً وهبوطاً كما يمكننا أن نصف التراث بالجهاز العصبي للأمم والشعوب.

يمتلك كل مجتمع خصائص تميزه وهي عبارة عن تراكم الوعي الجمعي والفردي على مستويات الحياة المختلفة وكلما ازدادت التجربة نضجاً تحولت إلى ثوابت ذات أبعاد وجذور في المجتمع وهنا يمكن أن نسميها بالخبرة حيث يصل الانسان إلى حقيقة الأشياء. هنالك نوعان من الخبرة: خبرات مباشرة وهي نتيجة تجارب شخصية وهنالك الخبرات غير المباشرة وهي تجارب الآخرين ومن الضرورة بمكان أن تتناسب تجارب الآخرين على المستوى الفردي و/ أو الجماعي لتأخذ قابليتها وهذا ما أشار إليه المثل الإماراتي «لا تأخذ من الغريب عادة؛ لأن الغريب راجع بلاده». إن هذا المثل يظهر خصوصية المجتمعات وتجاربها ونلاحظ أن المثل لم يعب تجارب الغير وثقافتهم بل أظهر أهمية الهوية وخصوصية التجربة وكلمة غريب تحمل أبعاداً ومستويات مختلفة وهي غرابة الوجه واليد واللسان.

يقول ابن خلدون بأن الإنسان ابن بيئته يتفاعل معها مكتسباً منها ومضيفاً إليها بحكم العلاقات التبادلية ومن خلال خبراته الحياتية يتصرف عندما تواجهه مشكلات وتكون الحلول بناءً على الظرف الذاتي والموضوعي وهذا ما عبّر عنه المثل الإماراتي «السكران ينبر عن راسه» وهنا تتضح أهمية فهم البناء اللغوي فكلمة ينبر هي الطريقة التي يأكل بها السمك الطُعم وكلمة السكران تُطلق على الشخص الذي يغطس في الماء ويعاني من صعوبة التنفس وانقطاعه فينبر بمعنى يقوم بتحريك الحبل المتصل بالشخص المسؤول عن جر الحبل عند الانتهاء من الصيد ويتواجد هذا الشخص أعلى القارب . هذا المثل يحمل معنى أن الإنسان أعلم بمشكلته وهذا يشابه قول الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام:" أنتم أعلم بأمر دنياكم».

من خلال تناولنا للأمثال أعلاه لاحظنا قدرتها على عكس الثقافة الشعبية للمجتمع الإماراتي واستنطاق المفردات المحلية بالإضافة إلى القدرة التعبيرية المرتبطة بالواقع كما لاحظنا التكثيف اللغوي والتبسيط غير المخل. إذن المثل الشعبي يمثل عصارة التجربة الإنسانية وتمظهرها في التفكير الفلسفي للمجتمعات ومن خلال التمعن فيها نستطيع معرفة اتجاه القيم المجتمعية السائدة وارتباطها بالحق والخير والجمال.

يقول ألكسندر كراب: «المثل يعبّر في شكله الأساسيّ عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر سهل، حتّى يتداوله جمهور واسع من النّاس، فهو يعبّر عن حقيقة عامّة أو صدق عامّ». فلنأخذ مثلاً إماراتياً كنموذج تطبيقي «القطو العود ما يتربى» والمثل يشير إلى صعوبة تعديل سلوك الصبي بعد أن يكبر وهذا ما يحدث في حالة احضار قط كبير وتريد تدريبه فبحكم الخبرات والتجارب التي اعتاد عليها القط في صغره فلن يقبل العادات الجديدة أو الترويض وبتفكيك المثل، القطو يعني القط والعود هو الشيء الكبير. لقد اجتمعت في هذا المثل أربعة أشياء وهي إيجازٌ في اللفظ، إصابةٌ في المعنى، حُسنٌ في التشبيه وجودةٌ في الكتابة وهي خصائص المثل الشعبي.

يشهد المجتمع الإماراتي تحولات كبيرة على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية حيث بدأت معالم الدولة تتشكل في العام 1971 والذي تمثل في تشكيل دولة الإمارات العربية المتحدة ومن أكبر التحديات التي واجهت مؤسس الاتحاد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الحفاظ على الهوية فقال: «ترك لنا الأسلاف من أجدادنا الكثير من التراث الشعبي الذي يحق لنا أن نفخر به ونحافظ عليه ونطوره ليبقى ذخراً لهذا الوطن وللأجيال القادم» ولذلك اهتم الشيخ زايد كثيراً بالمزج بين التراث والمعاصرة فلم يدخل إلى بوابة المستقبل من بوابة الماضي، كما أنه لم يُحدث قطيعة معرفية بترك الماضي كلياً فعمل على عصرنة المباني وتأصيل حياة المواطن فكانت دولة الامارات تلك البقعة المزدانة بالقيم الاجتماعية النبيلة ذات البعد التاريخي وفي ذات الوقت نجحت في وضع مسبار الأمل على مدار كوكب المريخ .

عرّف ديفيد هيلد بناء الهوية الوطنية باعتبارها محاولات لربط الناس مع بعضهم في حيز مكاني من أجل توسع الدولة واكسابها السطوة. لقد أدركت الإمارات أهمية الحفاظ على مظاهر التفرد الثقافي وذلك بإحياء التراث والمحافظة عليه في ظل موجات التحديث التي طالت الحياة العامة فلم تتأثر سلباً الجوانب المتعلقة بالسلوك والتربية وهي ما يطلق عليه في الإمارات (السنع).

إن للأمثال الشعبية قدرة كبيرة على التأثير على القيم وتشييد صروح معرفية متماسكة وهنا لابد من الإشارة إلى أن بعض الأمثال لا تحمل قيماً إيجابية بل هي انعكاس لتجارب ومفاهيم يمكن وصفها بالسالبة ومثل هذه الأمثال ينبغي استبعادها من منظومة القيم لأنها لا تمثل الحركة الإيجابية للمجتمع بل تُعبّر عن تجارب خارجة عن الصياغ المتعارف عليه.

يقول المثل الإماراتي «إذا ما طاعك الزمن طيعه، حتى تصير ربيعه» ويستخدم المثل كدعوة للتكيف مع الواقع والعمل على تجاوز الأزمات. وهنالك مثل آخر قريب المعنى من الأول وهو «إذا فاتك اللحم عليك بالمرق» ويستخدم المثل في ضرورة بلوغ الغايات بالتدرج فإذا لم تجد فرصة في المحاولة الأولى فلا تيأس وأقبل بالمتاح حتى تنال ما تريد. كما يقول المثل الإماراتي «إذا ياتك عويه من السفيه خلها» يعنى إذا أتتك مذمة من سفيه فلا تكترث وفي هذا تعزيزٌ للثقة بالنفس لأنها نتاج لتراكم الخبرات الحياتية وكلما كبرت النفوس تجاوزت صغار الأمور.

في سعي المجتمع نحو استخدام الحكمة والتعقل يأتي هذا المثل «جانك خياط بصير، عليك بالهدب القصير» جانك تعني كأنك، والهدب الخيط والمثل يعني أن الخياط الماهر يستخدم الخيط القصير وهو يخيط طرف الثوب حتى لا يعقد أثناء الخياطة. والمثل يضرب لاستخدام التّبصر والتعقل في التعامل مع الأشياء واختيار الحلول التي تناسب كل مشكلة، كما يضرب المثل في الشخص الي يعمق علاقاته مع الناس قبل أن يعرف حقيقتهم.

تتناول الأمثال آنفة الذكر أهمية التعقل والنظر إلى الأشياء برؤية نقدية وعدم الأخذ بظاهر الأمر مع ضرورة تكوين رأي خاص يعبر عن تجربتك الذاتية وهذا التناول يحفز الخصوصية والقدرة على استجلاء المواقف ومعرفة زيفها من صدقها وهذه الطريقة من أهم خصائص التفكير الفلسفي والتي يمكن أن نطلق عليها الفلسفة الشعبية.

عرفت كل المجتمعات - تقريباً - القيم الأخلاقية واختلفوا أهي تنتمي إلى الأشياء ذاتها أم أن الانسان هو الذي يعطي الأشياء القيم؟ هنالك شبه اجماع على خيرية الصدق والأمانة والإخلاص ولكن هنالك فئات قليلة تعتقد خلاف ذلك ومن هنا نستطيع القول بأن لكل مجموعة من الناس قواعد ومعايير للتمييز بين الخير والشر وفقاً لمنظومة القيم التي يتبعونها؛ ولأن الإنسان كائن أخلاقي يتحمل وبشكل كبير أمانة القيم ويقول سقراط: «أعرف نفسك بنفسك» ويقصد أن كل إنسان عليه إدراك الخير والسعي لتحقيق الفضيلة.

وإذا رجعنا للأمثال الشعبية الإماراتية نجد منها ما يحث على الخير وفي سعي مستمر للوقوف ضد الشر ونأخذ على سبيل المثال «قوم تعاونوا ما ذلوا» «ما في عيد كرم ولا في حاضر مدح» «الناس بالناس والكل بالله» «لا تزيد الهرموز ملح» الهرموز في اللهجة الإماراتية جبل ملح أو قطعة الملح الكبيرة. ينهي المثل عن تصعيد الأمور وتحميلها فوق طاقتها فهي في الأصل معقدة. هنالك مجموعة من الأمثال الإماراتية تشجع على الحفاظ على منظومة القيم السائدة في المجتمع ومنها « الصدق ناقة سمينة، والكذب ناقة هزيلة» في هذا المثل يظهر تأثير البيئة والمثل يحض على الصدق. «الزين مب من زانت ثيابه الزين من زانت معانيه «ومضرب المثل يشيد بجمال الأخلاق.» الحنظلة ما تطول وعرجها في الثرى» المثل يشير إلى بقاء الكلام السيء في الذاكرة.

كما أن هناك مثل يدعو إلى الوسطية في التعامل فيقول «كثر الزر يرخي» الزر يعني الشد في الرباط ومقصد المثل أن شدة الحزم والتشدد تؤدي إلى نتائج عكسية.

يقول المثل الاماراتي «تحطه في الثبان ويلدغك في اللسان» الثبان في اللغة ما تثنيه من طرف الثوب لتحمل عليه الأشياء. يستخدم المثل عندما يُرد الإحسان بالإساءة وهنا تظهر قيمة الوفاء وعدم الغدر وضرورة الحفاظ عليها.

إن الصورة النمطية للمرأة في المجتمعات العربية تميل إلى التقليل من شأنها والتعامل مع مكوناتها الجمالية الحسية وإهمال المعنوي منها وذلك يرجع لأسباب أهمها أن صياغة المثل تأتي من الرجال في الغالب الأعم. لقد نالت المرأة الإماراتية حظها في الأمثال (الإيجابية) وتم وصفها بالذكاء والفطنة والحيلة «الحريم مدخلات البعير الينز» وجاءت بصيغة أخرى» الحريم دخل ابعير بشداده» والمثل يعني أن النساء يقدرن على إدخال الجمل في مخزن بابه صغير.

تلعب الأمثال الشعبية دوراً مهماً في تغيير حياة الفرد والمجتمع وذلك بتشكيل الوعي الإيجابي والتحفيز على الفضيلة وبذلك تسهم وبقدرٍ وافرٍ في بناءِ التماسك الاجتماعي والحفاظ على الهوية خاصة في ظل وجود مؤثرات كبرى من أهمها العولمة التي تسعى إلى تجريف المجتمعات ونزعها من صياغها ليتم تشكيلها على نسق أخلاقي جديد يطمس الهوية ولقد كانت للشيخ زايد - رحمه الله - رؤية استشرافية لهذا الأمر حيث قال: «إن لنا تقاليدنا وعاداتنا ومثلنا التي نحافظ عليها، إننا لا ننقل حياة شعوب أخرى إلى بلادنا، في المجتمع الغربي هناك أساليب للحياة لا تروق لنا، وبالتالي فإننا لا ننقلها إلى بلادنا، لكن هناك نواحي مثل التقدم الصناعي فإننا نستفيد منها» ■

كاتب وباحث سوداني

نسرين جعفر النور:

القصة والتعدد المعاصر لاهتمامات الطفولة العربية

هشام أزكيض

تُحلق الكاتبة البحرينية نسرين جعفر النور في سماء العالمين العربي والدولي بأجناس مشرقة ومنوعة بين الإصدارات القصصية والنشاطات المخصصة لعالم الطفولة، فهي مجازة فنون تربوية من جامعة البحرين، وكاتبة قصص ومسرحيات أطفال، وحكواتية ومؤدية صوتية، هذا إضافة إلى مشاركاتها الكثيرة في إعداد مجلات وملاحق صحفية ثقافية فنية خاصة بأدب الطفل، داخل البحرين وخارجها، نذكر منها الملاحق: أجيال البلاد التابع لصحيفة البلاد البحرينية، مناهل الوسط للأطفال، أطفال الأنباء الكويتية، إلى مجلات منها: أنس التابعة للمؤسسة الخيرية للأعمال الإنسانية في بداياتها، وطني البحرينية، حكايا مع مركز تنوير التعليمي، بيئتي الكويتية، فارس المصرية، قطر الندى المصرية، عطاء السورية الصادرة من تركيا، العربي الصغير، سندباد العراقية، غيمة الإلكترونية، واز المغربية، الرائد لصحافة الطفل المغربية، موقع أدب الأطفال العربي، كما شاركت في دبلجة وكتابة قصص أفلام كرتونية وأغانٍ للأطفال لمجموعة عشاق الزمن الجميل.

نسرين النور ناشطة في مشاركات عديدة في مؤتمرات لأدب الطفل أيضاً منها مع: أكاديمية الإبداع الأمريكية في دولة الكويت، جامعة جواهر لال نهرو في الهند، ملتقى عبري العُماني بالتعاون مع مملكة الأطفال، مؤسسة عبير الود الكويتية، مهرجان الشارقة القرائي للطفل الثاني عشر، المنظمة الدولية لتمكين المرأة وبناء القدرات، مركز وصلة للغة العربية وآدابها في لندن، النادي العُماني ومنصة إف دبليو للتدريب، مدارس اقرأ الخاصة بالمملكة المغربية، مركز الفجيرة لذوي الاحتياجات الخاصة، منصة لغتي البديعة العربية في هولندا.

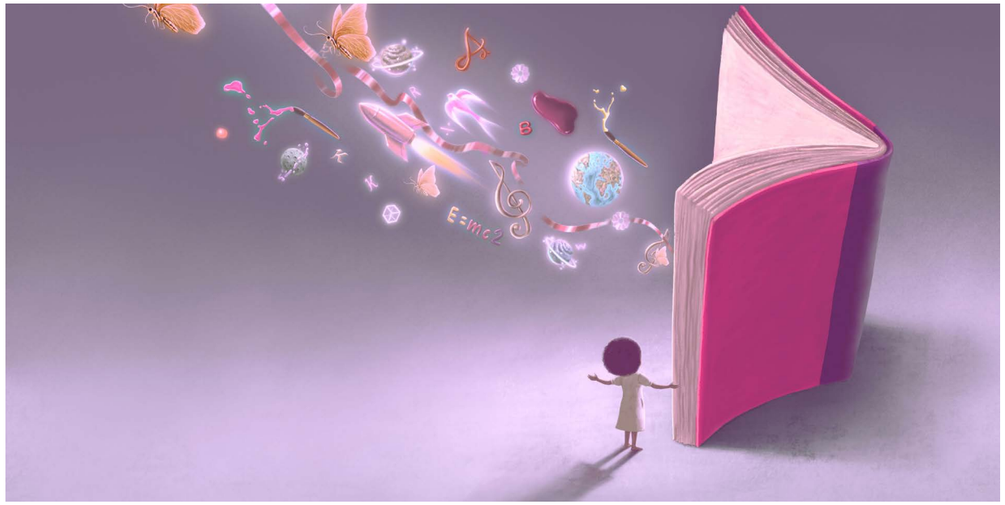

وهي عضو ناشط في غير هيئة ثقافية منها: رابطة ثقافة الطفل العربي، ملتقى القصة البحريني، مختبر سرديات البحرين، أكاديمية هوبيز لتنمية الإبداع والمواهب، وفي مجموعة عشاق الزمن الجميل.

أصدرت نسرين النور- حتى الآن - مجموعات قصصية للأطفال هي: «قصص ذهبية من بلادنا العربية»، (إصدار مشترك مع مجموعة كتّاب ورسامين من الوطن العربي)، 2018. و«عائدون يا قدس» 2019. «ونبقى أصدقاء» 2019. و«قصة الفنان ومساعدة الألوان»، 2021. ومجموعة قصصية 2021. «نعيش معاً ونكبر معاً»، 2021. و«روان تحب الرسم والألوان»، 2022. كما فازت نسرين النور بالمركز الأول في مسابقة (أكتب وأرسم قصتي) التي نظمها مركز تنوير التعليمي عن قصة «حزاية المحرق» 2021.

لنا مما تقدم أن نتقصى مكونات تلك الشخصية الإبداعية من ألفها إلى يائها وهي تتناول قضايا الطفل العربي في عالم القصة تحديداً في الحوار التالي.

• سأنطلق معك من البدايات، بحكم كونك قاصة وكاتبة مسرح للأطفال وحكواتية، ولديك تجارب في هذه المجالات، ما الروافد الثقافية التي أسهمت في صقل هذه المواهب الإبداعية؟

في البداية أود أن أتوجه بفائق الشكر والتقدير على دعوتكم الكريمة، وألفت النظر إلى دور الأسرة متمثلة بدعم والدي وتشجيعه - رحمه الله - في غرس حب القراءة والكتابة وتنميتهما في نفسي، وتشجيعي على القراءة منذ صغري دوماً، وشراء القصص ومجلات الأطفال، ومتابعة أسلوبي في الكتابة والتعبير، وضرورة تصحيح الأخطاء الإملائية إن وجدت، وكذلك تشجيعه لي بالمشاركة في مختلف الفعاليات التي تهتم بمجال القصة، مثل: مسابقات المدارس، ومركز سلمان الثقافي

للأطفال، وقد كان لمركز سلمان دور في دعمي وتشجيعي أيضاً، ومعلمة اللغة العربية في المرحلة الابتدائية كان لها فضل في صقل موهبتي، ولا أنسى دور البرامج التربوية التي كنت أتابعها بشغف حتى نهلت منها كبرنامج «افتح يا سمسم» و«المناهل» وغيرهم.

بين هذه الأجناس الأدبية، أين تجدين نفسك كمبدعة؟

أحببت كل ما يتعلق بعالم الأطفال، ربما وجدت نفسي كثيراً في مجال صحافة الطفل، إلا أن كل شيء في هذا المجال الحيوي بات يستهويني، من كتابة القصص إلى سردها، إلى تمثيلها، إلى ترجمتها، وحتى مجال الدبلجة وأناشيد الأطفال.

هل تحضر المرأة (الأم تحديداً) في أعمالك. مثال؟

بالطبع، للمرأة دور كبير ومهم كيف لا وهي مَنْ تُسهم في تنشئة المجتمعات ورقيها، الأم والجدة والمعلمة، فقد ذكرتهن في بعض القصص والأناشيد، مثل أنشودة «أمي»، وقصة «حزاية المحرق»، وأم الخير في مسرحية «النخلة أم الخير» التي ترمز للنخلة وتعلق أهل البحرين بها.

حدثينا عن تجربتك الأولى في كتابة القصة؟

بداياتي كانت في المرحلة الابتدائية، كنت أكتب القصة وأرسم شخصياتها، أحب الرسم لأعيش مع أحداث القصة وتفاصيلها،

ومع مرور الزمن، وجدت نفسي في كتابتها فقط، أميل للكتابة أكثر، وانطلقت كتاباتي عام 2009 عبر موقع «أدب الطفل العربي» الذي أسسه الأديب الدكتور رافع يحيى، وشاركتُ ببعض القصص والأناشيد باللغتين العربية والإنجليزية، ولكن الموقع مغلق منذ عشر سنوات تقريباً، وأول قصة كانت بتعاون مشترك مع جماعة أدب الطفل في إصدار بعنوان «قصص ذهبية من بلادنا العربية» من إصدار دار الحافظ الدمشقية عام 2018م، وجاء إصداري الأول بعنوان «عائدون يا قدس» في عام 2019 مع دار نور للنشر في الإمارات.

«حَزايَة المُحَرَّق»، عنوان مجموعتك القصصية للأطفال الصادرة عن مركز تنوير التعليمي، ما سر هذا العنوان؟

المحرق جزيرة ومدينة من أهم المدن البحرينية وأعرقها، تمتاز بحب أهل البحرين لها، فكرة القصة تناولت موضوع الترابط الأسري، من خلال الجدة وهي (المحرق) التي تجتمع مع أبنائها وبناتها وأحفادها في إجازة نهاية الأسبوع والمناسبات ليلتئم الشمل والاستماع إلى «حزاويها» كما تسمى باللهجة الخليجية «الحزاية» وهي القصة، يستمع الأحفاد والأبناء أيضاً كما اعتادوا في صغرهم إلى القصة التي كما وردت إلى أهمية التواصل ولمّ الشمل وعدم التفكك، جاءت شخصيات القصة بأسماء مدن وقرى تابعة لمدينة المحرق، مثل: سماهيج، والدير، وقلالي، وعراد، والبسيتين، والحد. أما الأحفاد فهم المدن الحديثة التابعة أيضاً، مثل: أمواج، والديار، ومراسي، ودلمونيا، كون المحرق محبوبة الشعب البحريني، وتمثلت في القصة في دور السيدة الكبيرة التي تغمر الجميع بحبها وحنانها ودعواتها الطيبة، وتحثهم دوماً على الألفة والترابط.

أهم القضايا التي تناولتها قصصك «نعيش معاً ونكبر معاً»، و«البلاد التي لم يزرها السندباد» و«عائدون يا قدس»؟

«نعيش معاً ونكبر معاً» تُعرّف الطفل بالكائنات الحية حوله، تعيش معه في منزله وبيئته، تأكل وتشرب وتتنفس وتحتاج إلى كل ما يحتاجه مثل الشمس والهواء والماء والغذاء والمسكن، والحيوانات الأليفة والنباتات تعيش معه في البيت، وتكبر كلما حظيت بالعناية والاهتمام. أما «البلاد التي لم يزرها السندباد» فهي تتحدث عن عودة السندباد ليجد عالماً رقمياً عجيباً، ويحاول خوض هذه المغامرة ليدخل جهاز الحاسوب ويعبر الأسلاك والأزرار حتى يساعد صديقه عمار الذي توقف جهازه الحاسوب فجأة، ومن المعروف عن سندباد حب المغامرات، فقرر معرفة كيفية عمل الحاسوب، ووجد أنه عالم جديد في زمن غريب يصله بالأشخاص والبلدان دون أن يلتقي بهم، وكان هذا هو عنوان القصة.

أما «عائدون يا قدس»، وهي أولى إصداراتي بعد الإصدار العربي المشترك، فتناقش قضية الحنين إلى الوطن والاشتياق للعودة إلى القدس، أسرة رامي التي تعيش في الخارج تترقب حق العودة.

لديك تجربة في المساهمة بتأسيس مجلات للأطفال في الوطن العربي، فما أبرز القضايا التي تتطرقين إليها؟ وما مدى تفاعل القراء معها؟

أحببت التطرق إلى أمور عدة تسهم في تنشئة الطفل، فقد شاركت في بعض المجلات بقصص قصيرة، وفي بعضها في مجال الأشغال اليدوية، وفي بعضها الآخر مراسلة صحفية، وموضوعات في مجال التربية وأدب الطفل، وباب الأنشطة والفعاليات للأطفال، وآخرها كان مع مجلة توت الإلكترونية المصرية في باب اللغة العربية بعنوان (بيت الضاد).

حصلت على بكالوريوس فنون تربوية من جامعة البحرين. كيف أسهمت دراستك وخبرتك المهنية الصحفية في توافر أدوات الكتابة القصصية والمسرحية للطفل؟

من حسن الحظ أن مجالي الأكاديمي كان قريباً جداً من أدب الطفولة، غالبية المقررات الدراسية شملت فن الطفل والموسيقى وإعداد الفيديو التعليمي واستخدام الحاسوب في المجالات التربوية، مثل: النحت والخزف والعرائس بالإضافة إلى المقررات التربوية، أعجبني توظيف كل ذلك في مجال صحافة الطفل، أحببت أن اقتطف من كل بستان زهرة ومن كل قطر أغنية.

شاركت في العديد من الملتقيات الثقافية داخل مملكة البحرين وخارجها، فما آثارها في نظرك في المستقبل الثقافي العربي، وهل تشجعك على الإبداع؟

بالتأكيد، لقد أضفت وأضافت الكثير وذلك لدورها الكبير في تبادل وجهات النظر، والاطلاع على الأمور كافة التي تجمعنا في مجال أدب الأطفال، والعمل على تنميته والارتقاء به، هناك قواسم مشتركة نتشابه فيها، وأخرى تعرفنا عليها، وجميل أن يتعلم ويتبادل الجميع هذه الخبرات التي حتماً ستسهم في تقديم الأفضل، وبدورها تدفع الجميع إلى المنافسة الشريفة في الإبداع والعطاء لكي نخدم الطفولة العربية بما تستحقه.

كيف تمكنت من الفوز بالمركز الأول في مسابقة (أكتب وأرسم قصتي) التي نظمها مركز تنوير التعليمي عن قصة «حزاية المحرق» 2021؟

الفضل لله تعالى في تحقيق ذلك، قبل العزم على المشاركة، فكرت بكتابة قصة عن المحرق وذلك لاختيارها عاصمة الثقافة الإسلامية، ورأت الفكرة النور في هذه المسابقة، أحببت أن أشيد بدور مدينة المحرق، كما ذكرت لكم أنها كانت وما زالت من المدن المحببة والمعروفة في البحرين، وبقية المدن في المملكة أخواتها، وحزايتها التي سردتها لأحفادها في القصة تعبر عن نبض حبها لجميع أبناء الوطن، أعتقد أن هذه الرسالة من المحرق، من حب الأم لأبنائها وأرض الوطن لشعبه، هي التي أسهمت في تقديرها.

كيف تنظرين إلى أدب الطفل العربي اليوم مقارنة بأدب الطفل الغربي؟ وأين تكمن صعوبتهما في نظرك؟

أدب الطفل العربي لا يقل عن أدب الطفل الغربي، ولكن ما يميز الأخير هو الدعم الكبير له، رغم تطور الأدب العربي في الآونة الأخيرة فإنه يحتاج إلى دعم وتشجيع أكثر، لو حصل عليهما فإنه سينافس الأدب الغربي، ولا أبالغ بالقول إنه سيتفوق عليه.

نود لو تختصرين لنا جهود مملكة البحرين في خلق مناخ ثقافي محلياً ودولياً، ومنها ما ارتبط بزمن كورونا مثلاً.

سعت البحرين في الآونة الأخيرة إلى الاهتمام والنظر إلى بذل الجهود الكبيرة، من خلال تفعيل القراءة قبل بدء الحصص الدراسية في المدارس، وذلك لغرس أهمية القراءة لدى الأطفال وتحفيزهم للمشاركة في تحدي القراءة العربي الذي يتنافس عليه الكثير من الأطفال العرب، وبرز دور فعاليات سرد الحكايات التي تقوم أكثرها بجهود الحكواتيين وكتاب القصص أيضاً، كما برزت دور النشر المهتمة في نشر قصص وكتب الأطفال، وبالنسبة لزمن الكورونا، تم تفعيل هذه الأنشطة عن طريق برامج الاتصال المرئي نظراً للظروف والأوضاع الصحية آنذاك.

كيف ترين مستقبل أدب الطفل والأدب عامة في زمن الرقمنة التي فرضت نفسها على الأدباء اليوم. موقفك من هذه القضية مع سيطرة الكتاب الإلكتروني بشكل يثير الانتباه في منصات التواصل الاجتماعي؟

هو سلاح ذو حدين، الكتاب الإلكتروني سريع الانتشار، لكن من وجهة نظري الشخصية لا أحبذه ولا أجده أفضل من الكتاب العادي، مواكبة للعصر والتطور، سهّل الكتاب الإلكتروني الكثير من الوقت والجهد، وفي حال عدم توافر الكتب، يمكن الحصول عليها إلكترونياً، لكنه لن يغني عن الكتاب الحقيقي، بالإضافة إلى أن الكتب ذات الصفحات الكثيرة مرهقة في قراءتها ■

كاتب وقاص مغربي

الزراعة وأرَق الشعراء

خالد صالح ملكاوي

لم يكن الشعراء يوماً أقل من غيرهم من أبناء المجتمع الإماراتي اهتماماً بالزراعة، سيما وقد شكّلت الزراعة قديماً مصدر الدخل الرئيس للأهالي، وحافظت على رواجها بين أنشطة حياتهم اليومية، فمن الشعراء من اهتم بالزراعة ومارسها بالوراثة وبما هو سائد في المجتمع، ومنهم من انشغل بهمومها وهواجسها كواحدة من القضايا التي لازمت الأهالي في واقعهم وأحلامهم وأمنياتهم، وجميع هؤلاء الشعراء تركوا في إبداعاتهم الكثير مما يثري هذه المهنة العزيزة. ترسم فتاة العرب لوحة فنية لخيرات الطبيعة في مواسم العطاء، وتبدع في تكوينها بتضمينها ما تشتهي النفس وتثري حوّاس صاحبها بالأجمل، كي يتذوّق ويشمّ ويسمع ويرى: فمزارع النخيل تزخر بأنواع الرطب التي من أصنافها (غرايس الباسم)، وهي ترتوي من مياه الأفلاج المندفع عبابها هادرة عبر السواقي التي تروي كذلك أشجار التين والعنّاب، وأزهار الياسمين التي تتفوق رائحتها الزكية على خلطات العطور الفاخرة، فيما طيور الراعي تشجي الأسماع بجمال صوتها الطَّرِب.إذ تختزل فتاة العرب تلك التفاصيل بالقول:

والقيـــظ لذّاتـــــه إلى قرّب الخيـــر
غَرايِـــسْ الباســـم إلى جَنْيِهِنْ طـــاب
عبّابْ يسقيهـــا اشروعـــه مهاديـــر
وانهـــار تجـري من عِطـى ربّ لارْبـاب
فيها السِّمِّـــن ايفـــوق طِيبْ المخامير
واشجارهـا من تيـــنْ تزخـــر وعِنّـــاب
والرّاعـــي فيهـــا لصوتـــة تعابـــير
يشتـــاق له قلبٍ على الشّوق طـــرّاب

ويصف عبد الله بن سلطان بن سليم ثمر تمر الخصايب في مزرعته التي رعى نماءها، وصفاً هو أقرب إلى التغزّل والتغنّي بلون رطبها الأحمر الذي يشبه بنان الفتاة الجميلة وأصابعها المغرية:

شـــروى حمـــر الروايـــب
خناصـــــــرٍ وابهـــوم
مـــن حلويـــن السلايـــب
لـــعزازعـــن لِوْهـــوم

مواكبة التطور الزراعي

ولأهمية الزراعة، واحتفاء بإنتاج المزارعين من مختلف أصناف ثمار مزروعاتهم، كانت تقام معارض زراعية لذلك الأمر، واهتم الشعراء بمتابعة مثل هذه المعارض، بل وثّق بعضهم ذلك في قصائد خاصة، فقد قال سعيد بن محمد بن هلال الظاهري في أول معرض زراعي وطني في مدينة العين في السبعينيات من القرن الماضي:

أحيّي الوفـــود وأحيّي القائميـــن مـــعاً
الـكلّ أدّوْا مـــن الإنتـــاج تبـــيان
انتـــم بنـــاة الغد هـــذي مرابعنـــا
فزيـــدوا من الإنـــتاج عنـــباً ورمـــان
إن الزراعـــة حيـــاة العصر قاطبـــة
فـــي ظلهـــا قـــام عزٌّ لأوطـــان

وعاد الظاهري بعد سنوات ليقول في المعرض الزراعي السابع مزهوّاً بتطور المعرض:

وجتنـــا مـــن العالـــم حـــشود
للمـــعرض السابـــع شهـــود
أهـــلا بكـــم يـــا ذا الوفـــود
معنـــا علـــى قـــدر وْوفـــاه
لواحتكـــم الخضـــراء تجـــون
لامزاحـــها وتـــشاهدون
إنتاجهـــا مـــن كـــل لـــون
لأنظاركـــم بلّـــي تـــراه
نأمـــل تكونـــوا شاكريـــن
علـــى الأشـــقاء المزارعيـــن
أهـــل الجهـــود الباذليـــن
أنتـــم وصحـــب الاتجـــاه

الزراعة وانحباس المطر

يصف خميس بن حمد السماحي حال الزراعة في سنين المحل، وما آلت إليه أحوال المزارعين مفصّلاً معاناتهم وما يواجههم من مشكلات ومعضلات لا تخدم مساعيهم وغاياتهم من الزراعة، فيشيد بداية بأيام الخير التي كانت تعمّ المزارعين في الماضي بسبب غزارة الأمطار وكفايتها، فيقول:

الأوّل مزارعـــنا عجيـــبه
نسقـــي النـــخل من غـــيلٍ زْلال
المـــايْ لـــي يحـــلا شربيـــه
له ذوق يشفـــي كـــل الأعـــلال

ويشرح في قصيدة أخرى مآلات سنين المحل التي تخلّف كل سوء:

واليـوم يانـــا المحـــل لمْطـــيل
قـــزّر لـــه سْنيـــنٍ طوالـــي
ســـت وعشـــر قـــزّر بتكمـــيل
واللـــه علـــيمٍ بالتوالـــي
يبْســـت أفـــلاج وماتت نْخيـــل
وحتـــى اشتـــقى راعـــي الحلالـــي
ع كـــل صبـــاح يُحـــطّ ويْشيـــل
ويـــشري تربـــاتٍ ثقالـــي
رودس وجـــت ومعهـــن يْظـــيل
ســـبوس وشعـــيرٍ أشكالـــي
وكـــل شـــي يبغالـــه مقابيـــل
المـــاء مـــن التنكـــر وغالـــي
ويـــن الرباحـــه والمحاصـــيل
خلّـــص وتـــمّ الكـــفّ خالـــي

الزراعة والحكمة

وحافظت الزراعة على تَمَوْضعها في صلب الشعر الزاخر بالحِكَم. فها هو راشد بن محمد بن عبلان الكتبي يقول:

ولي بـا يفكّـــر يفتكـــر في شجرهـــا
وبعض الشجـــر مثـــل الكريم وفعايله
الناس تزرعهـــا وتقطـــف ثمرهـــا
وقت الهجيـــره نـــلتي في ظلايلـــه

ويلخّص سعيد بن ماجد بن راشد العنصا المنصوري كثيراً من واقع الزراعة وأمورها بهذه الحكمة:

زرعنا العِنـــب صرفنـــا الذهـــب
لقيـــنا عـــجب لنا في الزمـــان
زرعـــنا الورود ليالـــي السعـــود
عســـى لي تعود مـــعك يا زمـــان

ويقول فارس الشعر صالح بن علي بن عزيز المنصوري:

وصرم النخل قدام وَقت الصرامـــي
وقمنا نحصّل من ورا الليـــف تقطير
ولا يجهل الموضـــوع كون البغامـي
خالي إحساس الرَّاس ما فيه تفكيـــر

الشاعر العُماني حمد بن عبد الله الخروصي
2015 - 1976

مريم النقبي

شاعرنا رحمه الله يُعدّ واحداً من أبرز شعراء الشباب في سلطنة عُمان، ومن الأسماء الشعرية المهمة في الساحة الشعرية الخليجية. اسمه حمد بن عبد الله بن مبارك الخروصي، ولقب بـ «شاعر الشباب» و«شاعر الوطن» وهو شاعر شعبي عُماني وطني ولد عام 1976 في ولاية السويق في محافظة الباطنة في سلطنة عُمان، وشغل منصب نائب رئيس مجلس الشعر الشعبي العُماني، وهو مدرس في الكلية التقنية قسم الهندسة في سلطنة عُمان. بدأت علاقته بالشعر من خلال ولعه بالشعر العربي في مراحل الدراسة، ونشر كتاباته في الصحف والمجلات الشعرية المتخصصة، وله العديد من الإسهامات الأدبية والمبادرات الثقافية في مجال الشعر والأدب. وقد أسهم الشاعر حمد في تأسيس مجلة «وهج الشعرية» وتعتبر أول مجلة عُمانية تهتم بالشعر الشعبي، كما أنه شارك في برنامج «البيت» على قناة سما دبي برعاية مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، وشارك كذلك في العديد من الندوات والفعاليات والمسابقات الشعرية داخل السلطنة وخارجها. عُرف الخروصي بمقالاته النقدية في الصحف العُمانية والخليجية. وتناول في قصائده قضايا إنسانية كالغربة والفقر وقضايا الشباب. ومن قصائده:

مـــرّت سنـــــه والـــسوس ينخر بعظمـــي
وانتـــي بعيـــد بعيـــد عن كـــل مكـــرووه
أنا أحتـــفل بالدمـــع وشمـــوع همـــــي
وانتي احتـــــفالك طـــفل يلعب معا ابوه !
كأنـك نسيتـي الـــود يـــا ثـــقل دمـــي !
وانا بحـــبك صـــرت مجنـــون.. معتـــوه
أسمـــع غيابـــك فـــي سواليـــف أمـــي
أقـــرا غيابـــك في شـــعر صـــار مشبـــوه
حتى وانتـــي بعيـــد ألقـــاك يمـــــي
أصبـــحت أشـــمك في زواياي واتـــوه
مرّت سنـــه وش عـــاد باقـــي بعظـمي؟
مبروك لك هالطـفل عقبالنـــا اخـــوه!

وهذه قصيدة أخرى:

بعد ما ضاقـــت حياتي وطـال دربـــي
ولا تغيّر حـال مـن حـــالٍ لحـــال
في ظلامـــي ما ألامـــس غيـــر قلبـــي
وأحـمس مـن الحـــزن مـــا يمـلا دلال
أشربـــه فـــي سهرتـــي الســـودا بحبـــي
وأنثمـــل وأكـــتب عن الواقـــع خيـــال
صرت أمـــنع بعـــض أشعـــاري وأخبّـــي
كـــارهٍ للـــضو وأصـــباغ الظـــــلال
كـــان ذنبـــي يوم تبـــت وخنـــت ذنبـــي
تبـــت.. مدري بتوبـــة الشاعـــر محـــال
القلـــوب دروب وأنت أستـــريا ربـــي
مـــا طلبـــتك لقـــمةٍ إلا حـــــلال
والشـــعر ما عـــاد يكفي قـــوت شربـــي
ولا يســـد الجـــوع ويعيـــل العيـــال
هـــب يا كوســـي وقيّضـني يا غربـــي
الريـــاح تهشنـــي لأمطـر شمـــال
وأن مطرت أنـــزل لهم ثلجـي وعشبـــي
وأن غـضبت أوقـــف ولو مزنـــي ثقـال
رحت شاعـر شاهـرٍ في الـحرب حربـــي
وجيـــت شاعـر راميّ للسلـم مـــال
أطفي نيـــران العـــدو وأصيـح شبّـــي
ولا أجالـــس في الـــنزال إلا الرجـــال
جـــيت شاعـــر جاهلي وبشعر شعبـــي
شـــعر من حكـــمة وشعـــرٍ مـــن خبـــال
وارثٍ بيـــــدا وخيـــل المتنبـــي
وتاركٍ لأهلـــي شعـــر يوزن جبـــال
بعد مـا ضاقـــت حياتـــي وطال دربـي
ولا تغيّـــر حـــال من حـــالٍ لحـــال ■

شاعرة وباحثة من الإمارات

من أحاديث الموقد

فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

تجلس الجدة متوسطة أحفادها، في جزيرة الشويهات في الظفرة، وقد ازدادت برودة الجو في المساء، وضع أمامها الكوار حيث قطع الجمر المتقدة، على طرفه المزلة، حيث تتناول منها الجدة القهوة، وفي الوسط إبريق الشاي الذي يغلي. بقي الأطفال جالسين حولها؛ لأنها طلبت تخصيص فترة ما بعد المغرب للحوار والسّمر، واستراحة من الإلكترونيات للجميع.
بدأت الجدة خروفتها: خريريفه مديريفه/ فيها بو علي يردوا/ يأكل سحيحات الفردو/ يا بت سلموه سبع كريوات/ وعلقتهن في التنور/ والتنور يبغي حطب.
وفي خروفة الجدة، التي روتها لها بالأمس سيدة من البحرين، أن فتاة رمت قطاً في البئر، حتى تغيظ زوجة أبيها القاسية في معاملتها. قالت سهيلة لنفسها: لا تقترب البنت عادة من القطط، فكيف تحمل القط وترميه، هي تخاف من القطط، وليس لديهم بئر في البيت؟ فقاطعت، منادية جدتها. صرخت فيها الجدة، وتضايقت من مقاطعتها: اسكتي، وإلا لن أكمل الخروفة.
تضع سهيلة يدها على فمها، وقد تكاثرت الأسئلة في عقلها.
أكملت الجدّة:
هربت البنت من زوجة أبيها، ونامت أمام بيت امرأة، أدخلتها بيتها وعاملتها كابنتها، ثم زوّجتها أميراً، رزقها الله منه بولدين. وذات يوم كانت تجلس مع ابنيها في المزرعة، فظهرت لها عجوز قبيحة، لتسألها: «وين القطو؟». فرمت المرأة العجوز في البئر.. بعد أيام نمت شجرة في البئر وسألتها: «وين القطو؟». تردد صدى السؤال، فقطعت الشجرة من جذورها؛ لتقفز بعدها الأفعى وتأكل لسانها.
همّت سهيلة بمقاطعة جدتها، فعضّت لسانها بالخطأ.
أكملت الجدة، وهي تنظر شزراً إلى سهيلة، كاتمة غيظها وانتهت الحكاية بأن «ساحراً قلى للمرأة كبد الغزال، فأحست بشيء يحتك بأسنانها، فتحت فمها، لتندفع الأفعى لالتهام الكبد، واحترقت على المقلاة».
قاطعتها: جدتي. ضربتها الجدة الغاضبة قائلة: إن شاء الله أفعى تأكل لسانك، ألا تعرفين كيف تسمعين الخرايف؟
تمسك الآن بعباءتها، وهي تمضي، مع أمّها إلى المطوع وقد اختلطت عليها الحكايات والخرايف، وصوت ابنتها الباكية، يتردد صداه في المدينة: أمي لا أعرف أن أنام من دونك.
تهمس للقمر الذي يستمع إلى حكايتها، وتكتب حكايات لا تنتهي.
تمرّ السنوات، لكن سهيلة لا تنسى الخرايف، كتبتها، غيّرت بعض أحداثها، قرأتها للأطفال، سمعوها وسمعتهم. ثم نشرتها فيما يسمّى في أدب الطفولة بإعادة القراءة للحكايات الشعبية الخرايف مفردها خروفة، هي حكايات شعبية، تمزج الواقع بالخيال. هي مستمدة من كلمة خرافة، وتعني في اللغة الأحاديث المستملحة، التي يختلط فيها الواقع بالخيال. تعدّ جزءاً من الأدب الشعبي، روتها الجدات والأمهات، مستمدة من واقع البيئة التي سكنوها، ومن المعتقدات والأفكار التي تبنوها، من أمنياتهم، ومن أحلامهم، ومن مخاوفهم أيضاً ■

نادي تراث الإمارات

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خُطّةً لرفد المشهد الثقافي الإماراتي بإصدارات متنوعة تَخُصُّ تراث الإمارات وتاريخها؛ قَصْدَ إغناءِ المكتبة التراثية الإماراتية، وفَتْحِ منافذَ معرفيةٍ جديدةٍ أمام الباحثين، ويَدعوهم إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها في «المركز»، ليشارك بها في المعارض والفعاليات الثقافية. ويُقدِّمُ «المركز» لمؤلِّف الكتاب مكافأةً مالية تتراوح بين (10000 - 15000 درهم إماراتي).

شروط النشر:

- أن يَتّصف موضوع الكتاب بالجِدّة، والموضوعية، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفية.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً، أو مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغةُ الكتابِ العربيّةَ الفصيحة المُصحَّحة لغوياً.
- ألا يكون الكتاب مترجَماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجية العلمية في التأليف، والأمانة العلمية، والنهْل من المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش أسفلَ كلِّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب.
- أن يُرسَل الكتاب بصيغة الوورد، مرفَقاً بملخَّص من نحوِ مئتي كلمة باللغة العربية، وبنبذة مختصرة عن سيرة المؤلِّف العلمية.
- أن يكون عدد كلمات الكتاب بين 30 و70 ألف كلمة.
- تَتَولّى هيئة تحكيم مختصة مراجعةَ الكتاب وتقييمَه وإصدارَ قرار نهائي بشأن طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله. وفي حال الموافقة، يلتزم الكاتبُ بإجراء التعديلات المقترحة.
- مدة العقد خمس سنوات.
- تُرسَل الكتب بصيغتَي Word وPDF إلى الإيميل التالي: torathbook@ehcl.ae

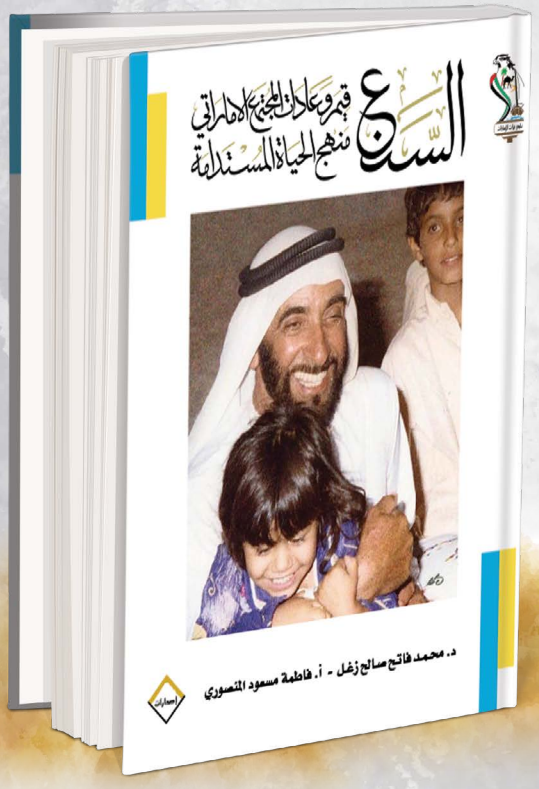

السَّنع
قِيَم وعادات المجتمع الإماراتي
منهج الحياة المُستدامة

كتاب «السَّنع: قِيَم وعادات المجتمع الإماراتي منهج الحياة المستدامة» ينطلق من مقولة المغفور له الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - بأنّ «الثروة الحقيقية للأمة هي في رجالها»، وكذلك من مقولة الشيخ محمد بن زايد، رئيس الدولة - حفظه الله: «القِيَم والعادات والأخلاق والتفاني موجودة في كل مواطن وبيت وعائلة». ويُشكِّل هذا الكتابُ مساهمةً رائدة لنادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث في مقاربة السَّنع الإماراتي بوصفه منهجَ حياةٍ إماراتيّةٍ مستدامة. ويأتي الكتاب في مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة. يتناول الباب الأول بفصلَيْه مفهومَ التراث الشعبي؛ أدباً وألغازاً وأهازيجَ ومأثوراتٍ وفنوناً وعاداتٍ وتقاليدَ ومعتقداتٍ ومعارفَ شعبيةً. كما يقف على التراث بوصفه هويّةً ثقافيةً للأجيال، مُذكِّراً بالموقف الرسمي للدولة ومؤسساتها وموقف الشعب الإماراتي من التراث. ويتطرق الباب الثاني بفصوله الثلاثة إلى أهميّة السَّنع الإماراتي في بناء شخصية الإنسان الإماراتي، وإلى قواعد السنع في الكلام والسلوك؛ فهي جميعاً تَدعو إلى الرجولة وما يرتبط بها من مفاهيم جوهرية كالاحترام والإخلاص وغيرهما، وما لذلك كلِّه من آثار إيجابية على الفرد والأسرة والمجتمع قاطبةً. ويقف عند الشعر الشعبي وفارسه الشيخ زايد، وكذلك عند شعراء الحكمة الإماراتيين. ويُخصَّصُ البابُ الثالث للحديث عن القوة الناعمة الإماراتية بوصفها من منجزات السَّنع - التاريخ والأصالة وآفاق المستقبل، والدعوة إلى التسامح ووثيقة الأخوّة الإنسانيّة وغيرها.